التجميعات الثرية

من الخطب المنبرية

تفريغُ نصي

لخطب فضيلة الشيخ/ د. خالد الغامدي

إمام المسجد الحرام وخطيبه

- حفظه الله ورعاه -



وتشمل:

- خُطب الجمعة من المسجد الحرام.
- خُطبة عيد الأضحى من المسجد الحرام.
- خُطب الاستسقاء من المسجد الحرام.
- خُطب الخسوف والكسوف من المسجد الحرام.
- بعض خُطب الجمعة التي أُلقيت خارج المسجد الحرام.


أولًا: خُطب الجمعة
من المسجد الحرام

الخطبة الأولى: ٢٠ ذو القعدة ١٤٣٦هـ.

بعنوان: مقاصد الحج العظمى

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينُه ونستغفِرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه، وعلى آله وأزواجه وذريَّاته وصحابتِه الكرام، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد: فأُوصيكم ونفسي – عباد الله – بتقوى الله في الغيب والشهادة؛ فإن المتقين هم أولياءُ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزَنون، وهم أكرمُ الخلق على الله، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. أمة الإسلام: إن أعظمَ ما يُستفتَحُ به المقال، وتُسطَّر فيه الأقلام، وتفنَى فيه الأعمارُ هو تحقيقُ التوحيد الخالِص لله، الذي بيدِه مقاليدُ السماوات والأرض. يرفعُ من يشاءُ بفضلِه، ويخفِضُ من يشاءُ بعدلِه، يُعزُّ من يشاء، ويُذلُّ من يشاء، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]. أحاطَ بكل شيءٍ علمًا وقُدرة، فما من دابَّةٍ في الأرض، ولا طائرٍ يطيرُ بجناحَيه، وما تسقُط من ورقة، وما يلِجُ من شيءٍ في الأرض وما يخرُج منها، وما ينزلُ من شيءٍ من السماء وما يعرُجُ فيها، ولا حبَّةٍ في ظُلمات البرِّ والبحر، ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا وسِعَه علمُ الله، وأحاطَت به قُدرةُ الله وسُلطانُه، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. ذلكمُ الله أعظمُ من كل شيءٍ، وأكبرُ من كل شيءٍ، ما خلقَ خلقَه ليستكثِرَ بهم من قِلَّة، ولا ليتعزَّز بهم من ذِلَّة؛ بل خلقَهم وأوجدَهم ليعبُدوه وحدَه – سبحانه –، ويُوحِّدوه، ويُسلِموا إليه وجوهَهم ومقاصِدَهم وأعمالَهم، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. أمة الإسلام: أكبرُ المقاصِد، وأهمُّ المطالِب، وقضيَّةُ القضايا، ولُبُّ دعوة الرُّسل: تحقيقُ التوحيد لله تعالى وإفرادُه بالربوبية والألوهية، إنها قضيَّةُ الكون والحياة، وسرُّ القرآن وأساسُه.

ما قامَت السماوات والأرض، ولا نُصِبَت الموازين، ولا خُلِقَت الجنةُ والنار، ولا أُرسِلَت الرُّسُل، وبُعِثَت الأنبياءُ وأُنزِلَت الكتب، ولا أُقيمَ علَمُ الجهاد إلا من أجل التوحيد وتحقيقه، وتقريره في النفوس والقلوب. التوحيد أعظمُ الحقوق .. التوحيدُ حقُّ الله الأعظمُ على العبيد، وصراطُه الأقوم .. وأولُ دعوة الرُّسُل .. ومُفتَتَحُ خطاب الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. وكل دعوات الرُّسُل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – مبنيَّةٌ بإحكامٍ، ومُشيَّدةٌ بإتقانٍ على هذا الأساس العظيم، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي

كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وأعظمُ الرُّسُل، وسيِّدُ الأنبياء، وإمامُ الدعوة – صلى الله عليه وآله وسلم- مكثَ يدعُو إلى التوحيد ولوازمِه وتكاليفِه، ويُحذِّرُ من الشرك وأنواعه ووسائلِه ثلاثًا وعشرين سنةً في مكة والمدينة، ما فترَ – عليه الصلاة والسلام –، ولا توانَى، ولا استكانَ، وهو يُقرِّر التوحيدَ ومسائلَه بأساليب مُتنوِّعة في كل خُطبه ومواعِظه ومجالسِه – صلى الله عليه وآله وسلم- ولم يبدأ – عليه الصلاة والسلام – بشيءٍ في دعوته في مكة إلا بالتوحيد وكلمته الكُبرى: "لا إله إلا الله"، صدحَ بها في شِعاب مكة ووديانها، وأعلنَها في محافِل قومه ونوادِيهم، وعرضَها على وفود الحَجيج والقبائل، داعيًا إياهم إلى عبادة الله وحدَه لا شريكَ له، وتوحيده قصدًا وعملاً، ومُخاطِبًا بها الملأَ من قُريش، فكان جوابُهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]. أيها المسلمون: في "المسند" و"الصحيحين": أن النبي – صلى الله عليه وسلم- بعثَ مُعاذَ بن جبلٍ – رضي الله عنه – إلى اليمن، وأوصاه بوصيَّةٍ عظيمةٍ، يجبُ أن تكون نِبراسَ الدعاةِ والمصلِحين، أوصاه بأن يجعلَ التوحيدَ أولَ الدعوة وأساسَها وروحَها وعمادَها، فقال له – عليه الصلاة والسلام –: «**إنك ستأتي قومًا أهلَ كتاب، فليكُن أولَ ما تدعُوهم إليه: توحيد الله**». وفي روايةٍ: «**فإذا جئتَهم فادعُهم إلى أن يشهَدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**». وثبتَ عند أحمد وأبي داود، عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه قال: «**من كان آخرَ كلامه: لا إله إلا الله، دخلَ الجنة**». إن التوحيدَ بدايةُ الإسلام وختامُه، وأولُ الدعوة وآخرُها، والقرآنُ كلُّه من أوله إلى آخره إنما هو دعوةٌ إلى التوحيد وتحقيقِه، وتربيةٌ للعقول والقلوب على حقائِق التوحيد ومعانِيه، وأمرٌ بلوازِمه ومُقتضياتِه؛ من أحكامٍ، وتشريعٍ، وأخلاقٍ، وآدابٍ، ومروءاتٍ، وبيانٌ لجزاء أهل التوحيد وإكرام الله لهم. كما أن في القرآن العظيم التحذيرَ الشديدَ من الشرك وصوره، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. فالقرآنُ العظيمُ الذي هو عهدُ الله الأخير للبشرية كلُّه حديثٌ عن التوحيد وحقوقه وواجباته ونواقِضِه. فلا عجبَ إذًا – يا مُسلمون – ولا غرْوَ أن يكون هو التوحيدُ هو سرَّ القرآن ولُبَّ الإيمان، كما قرَّر ذلك كلَّه شيخُ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم –رحمة الله عليهما–.

معاشر المسلمين: إن حقيقةَ التوحيد الذي دعَت إليه الرُّسلُ – عليهم الصلاة والسلام – هو: إفرادُ الله تعالى بكل ألوان العبادة، والتوجُّه إليه – سبحانه – وحده بالقصد والعمل، ومعرفتُه – سبحانه – بأسمائِه وصفاته وأفعاله، فتنجذِبُ إليه – سبحانه – الأرواحُ والقلوب، وتقطعُ التعلُّق بمن سِواه كائنًا من كان، وتتحرَّرُ النفوسُ من عبودية الشهوات ورِقِّ الشبهات، وأسر المطامِع والأهواء، وتتخلَّصُ القلوبُ من الخُضوع للمخلوقين والعمل لأجلهم رجاءً

وخوفًا وطمعًا، وتُوقِنُ الأفئدةُ إيقانًا لا شكَّ فيه أنه لا رازِق إلا الله، ولا مُدبِّر ولا مُصرِّف للكون غيرُ الله، ولا مُعينَ ولا ناصرَ ولا مانِعَ ولا مُعطِيَ ولا رافعَ ولا خافِضَ ولا مُحيِي ولا مُميتَ، إلا الله وحده لا شريك له. إن القلبَ إذا امتلأَ بحقائِق الإيمان وتوحيده ومعرفة الله وإجلاله، صفا وأشرقَ واستنارَ، وعلِمَ حقيقةَ الدنيا، وحقيقةَ وجوده في هذه الحياة. فيعيشُ في سعادةٍ وانشِراح صدرٍ، ولذَّةٍ ونعيمٍ، ويُصبِحُ ويُمسِي ولا همَّ له إلا ربُّه – سبحانه –. فإذا سألَ فإنه لا يسألُ إلا الله وحده، وإذا استغاثَ فبالله وحده، وإذا توكَّل واستعانَ فعلى الله وبالله وحده، لا يرجُو إلا الله وحدَه، ولا يخافُ إلا من الله وحدَه، ولا يُعطي ولا يمنَع، ولا يغضبُ ولا يرضَى، ولا يُوالِي ولا يُعادِي إلا لله ومن أجلِ الله – سبحانه وتعالى –.

إن التوحيدَ – يا مُسلمون – تسليمٌ واستسلامٌ لله –تعالى–، وخلعٌ وقطعٌ لكل شهوةٍ تُخالِفُ الأمر، أو شُبهةٍ تُعارِضُ الخبر، أو اعتراضٍ على شرعٍ أو قدَر، ولا يزالُ التوحيدُ الصادقُ يُطهِّرُ القلوبَ ويُصفِّيها من أمراضِها وآفاتها، ويتدرَّجُ بها في مقامات الكمال، حتى تُصبِح بيضاءَ نقيَّةٍ كالسّراج المزهِر، لا تضُرُّها فتنةٌ ما دامَت السماوات والأرض.

يا مسلمون .. يا عباد الله: إن التوحيدَ والعقيدةَ الصحيحةَ سفينةُ النجاة، من ركِبَها نجا من ظُلمات الشرك، وأهوال الوثنيَّة، وسلِم من تخبُّطات الإلحاد، وآلام البُعد عن الله، وشقاء النفوس التي لم ترضَ بالله ربًّا وإلهًا ومُدبِّرًا حكيمًا. وفي خطاب مُؤمن آل فرعون عبرةٌ وأيّ عبرة! حين نادَى قومَه فقال:

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)﴾ [غافر: ٤١-٤٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ ما تسمعون فإن كان حقًّا فمن الله وحدَه وله الفضلُ والمنَة، وإن كان غيرَ ذلك فإني أستغفرُ الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفِروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، الحمد لله البادئ بالمِنَن والنِّعم، أحلَّ على أهل التوحيد رِضوانَه وألوانَ الكرم، وتوعَّد من عاندَ التوحيد وناقضَه بأصناف النِّقَم، وصلَّى الله وسلَّم على السِّراج الأنور، والميزان الأكبر، صاحب المجد الأشَمّ، وعلى صحابته الكرام، والتابعين لهم بإحسانٍ الحامِلين مشاعلَ التوحيد في دياجِير الظُّلَم. وبعد، أمة الإسلام: إن التوحيد هو فِطرةُ الله التي فطرَ الناسَ عليها، ولا أزكَى ولا أعدلَ منها، كما أن الشرك هو أخبثُ الخبائِث، وأظلمُ الظُّلم، وهو طارِئٌ ودخيلٌ على البشرية، فقد خلقَ الله عبادَه حُنفاءَ على ملَّة التوحيد، وأخذَ من آدم – عليه السلام – وذريَّته الميثاق على أن يُوحِّده – سبحانه –، ولا يُشرِكوا به شيئًا. فكانت البشريةُ من بعد آدم – عليه السلام – على التوحيد عشرة قرون، كما قال ذلك ابن عباسٍ – رضي الله عنهما –، حتى اجتالَتهم الشياطين وأغوَتهم، ففسدَت فِطرُهم وعقولُهم، وخرجَت أجيالٌ من البشرية من عبادة الله إلى عبادة الكواكِب، والجنِّ والشياطين، والقبور والمشاهِد، وأفسدَت عقولَهم لوثاتُ الشرك والإلحاد والخُرافة، والأفكار الضالَّة والبدع المضلَّة، وخاضَ كثيرون في آراء ونظرياتٍ وفلسفاتٍ وكلامٍ وجلٍ عقيمٍ لا طائِل تحته.

وكرِه أناسٌ الحديثَ عن العقيدة، وألصَقوا بها أفكار التطرُّف والإرهاب، واستكثَروا العنايةَ بها، والحِرصَ عليها تعلُّمًا وتعليمًا ودعوةً، فكانوا كما قال الله –تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥]. وما علِموا أنه لا صلاحَ للنفوس والقلوب إلا بأن يكون الله هو مولاها وإلهَها وربَّها ومفزعَها ومهربَها وملجأَها عند الشدائِد والأهوال، وفي كل الأحوال. أيها المسلمون: إن التوحيد وحقائِقَه هو السِّياجُ المنيعُ للأمة من كل انحِرافٍ عقديٍّ وفِكريٍّ، أو تحلُّلٍ سلوكيٍّ وأخلاقيٍّ. إن منهجَ العقيدة الصحيحة هو العاصِمُ – بإذن الله – من قواصِم الغُلوِّ والتطرُّف والتفجير والتكفير، التي نتجَ عنها سفكُ الدماء البريئة في المساجِد وغيرها، وتكفيرُ المسلمين أفرادًا ومُجتمعاتٍ وحكوماتٍ.

إن كلمة التوحيد تُوحِّدُ المسلمين في مشارِق الأرض ومغاربِها، وتجمعُهم ولا تُفرِّقُهم، وتُؤلِّف بين قلوبهم في محبَّةٍ وأُخوَّةٍ وتعاطُفٍ وتناصُر، وتمنعُهم من التفرُّق والنِّزاع والشِّقاق. ومهما ابتغَت الأمةُ الوحدةَ والاجتماع، والنصرَ والتمكينَ فلن تبلُغه إلا بتوحيد الكلمة على كلمة التوحيد، وتحقيقها قولاً وعملاً وسُلوكًا ومنهجًا، وحينَها يفتحُ الله للأمة أبوابَ النصر والتمكين والعزَّة، ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال – سبحانه –: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، لهم الأمنُ العقديُّ، ولهم الأمنُ الفكريُّ، والنفسيُّ والاجتماعيُّ، ولهم الهدايةُ التامَّة لكل ما يُحقِّقُ لهم مصالِح دينهم ودُنياهم. وإذا أقامَت الأمةُ حياتَها ونظامَها وإعلامَها ومناهِجَها على التوحيد وحقائقه، ومُحكَمات الشريعة، وجعلَتها مُنطلَق التربية والحضارة والرُّقِيِّ، فوالله الذي لا إله غيرُه ليفتحنَّ الله عليها أفرادًا ومُجتمعاتٍ بركاتٍ من السماوات والأرض، وليأكلنَ من فوقهم ومن تحت أرجُلهم، وليُبدلنَّهم من بعد خوفّهم أمنًا، وليرُدَّن عنهم كيدَ الكائدين، وإفسادَ المفسدين من أهل الغلُوِّ والتشديد والتفريق.

حُجَّاج بيت الله الحرام: إن شرائِع الإسلام القولية والعملية مبنيَّةٌ على أساس التوحيد إخلاصًا لله تعالى، ومُتابعةً للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم –، وكلما عظُم التوحيد في القلوب قامَت الجوارِح بفعل الشرائع بقوَّةٍ وثباتٍ وانشِراح صدر. وإن من أجلِّ العبادات التي تتجلَّى فيها حقائِقُ التوحيد ومعانيه ودلائِلُه: عبادةَ الحجِّ التي ستُظلُّنا بعد أيامٍ – بإذن الله –، تلكُم العبادةُ العظيمة التي تزخَرُ بالدلائل والبراهين على التوحيد، ومناسِكُها وشعائِرُها آياتٌ بيِّناتٌ، ودلائِلُ باهراتٌ على العلاقة الراسِخة بين التوحيد والحجِّ.

حيث إن من أعظم مقاصِد الحجِّ وتكراره كل سنةٍ: إعلانَ التوحيد وترسيخَه في القلوب، وإقامةَ ذكر الله تعالى في التلبية، والإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف بعرفة ومُزدلفة، ورمي الجِمار والنحر، وغير ذلك.

فدُونَكم – يا حُجَّاج بيت الله –، دُونَكم موسِمُ الحج معلَمةُ التوحيد الكبرى، ومدرسةُ العقيدة العُظمى، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

إلهَنا ما أعدلَك ... مليكَ كل من ملَك
لبيكَ قد لبَّيتُ لك ... لبَّيكَ إن الحمدَ لك
والمُلكَ لا شريكَ لك ... ما خابَ عبدٌ سألَك
أنت له حيثُ سلَك ... لولاك يا رب هلَك
لبَّيك إن الحمدَ لك ... والمُلكَ لا شريكَ لك

ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشريَّة وهادِيها، وسِراجها المنير؛ فإن الله – عز وجل – قد أمرَنا بالصلاة والسلام عليه، حيث قال في مُحكَم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦

الخطبة الثانية ١٠ محرم ١٤٣٧هـ

بعنوان: أم لم يعرفوا رسولهم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينُه ونستغفِرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه، وعلى آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد: فأُوصيكم ونفسي – عباد الله – بتقوى الله في السرِّ والعلانية؛ فهي الموصِلةُ إلى علام الغيوب، المنجيةُ من الكُروب، المزكيَةُ للأرواح والقلوب، ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩].

أمة الإسلام: إن هذا الدين العظيم مبنيٌّ على رُكنَين وأصلَين جليلَين، لا يقبلُ الله من عبدٍ صرفًا ولا عدلاً حتى يأتي بهما: معرفةُ الله وتوحيدُه وعبادتُه، ومعرفةُ النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ومحبَّتُه وطاعتُه واتباعُه. وهما مُقتضَى الشهادتين، وحقيقةُ الإسلام وجوهرُه، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

إن معرفةَ النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ومحبَّته وطاعتَه أمرٌ مُتحتِّمٌ لا محيدَ عنه لكل مُسلم ومُسلمة، وفرضٌ واجبٌ، وشريعةٌ غرّاء، ومنهجٌ أبلَجٌ وضّاء، يسعَدُ بها العبدُ سعادةً لا شقاءَ معها أبدًا، ويُبارِك الله له بها في عُمره وحياته، ويُزكِّي روحَه وعقلَه، فينعمُ بالحياة الطيبة التي هي أثرٌ من آثار محبَّته – صلى الله عليه وآله وسلم – وطاعته. ولقد وبَّخ الله –تعالى– الذين لم يعرِفوا رسولَهم، وقرَّعهم بقوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩].

عباد الله: إنه ليس هناك أحدٌ من البشر يستحقُّ أن يُحبَّ ويُعظَّم ويُطاعَ من كل وجهٍ إلا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، ذلكم النبي الكريم الذي صنعَه الله على عينه فاختارَه واصطفاه، واجتبَاه وانتَقاه، وكمَّله ربُّه بكل الكمالات البشرية، والفضائل الخَلقية والخُلُقية، ورقَّاه في مدارِج العزِّ والكمال والشرف،

حتى بلغَ مُستوًى لم يبلُغه أحدٌ من صَفوة الخَلق، لا نبيٌّ مُرسَل، ولا مَلَكٌ مُقرَّب، وسدَّ جميع الأبواب الموصِلة إليه إلا باب مُحمدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم –، ومنعَ الخلقَ كلَّهم من التعبُّد له إلا بما شرعَ محمدٌ – صلى الله عليه وآله وسلم–. فهو أعظمُ الخلق حُرمةً عند الله، وأتقاهُم وأخشاهم وأعلمُهم بالله، ما طرقَت العالَمَ شخصيةٌ

كشخصيةِ مُحمدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم –، ولا عرفَت الإنسانيةُ مُعلِّمًا ولا قائدًا ولا قُدوةً أكملَ ولا أعلى مقامًا من هذا النبي المختار سيِّد ولدِ آدم – صلى الله عليه وآله وسلم –.

يا أمة محمد .. يا أمة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم –: مهما تحدَّث المتحدِّثون، ووصفَ الواصِفون، وألَّف المؤلِّفون، ونظمَ الشعراءُ المجيدُون، فلن يبلُغوا جلالَة وصف القرآن العظيم وبلاغتَه وبيانَه في الحديث عنه – صلى الله عليه وآله وسلم –. فليس هناك أحدٌ أعلمَ برسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– من ربِّه وخالقِه، كما أنه ليس هناك أحدٌ أعلمَ بالله تعالى، وأعرفَ به من رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –. لقد تحدَّث القرآنُ المجيدُ بحلاوتِه وطلاوتِه عن هذا النبي الكريم حديثًا عجَبًا مُشرقًا باهرًا مُتدفِّقًا، يعرِضُ فيه بأساليبَ مُونِقةٍ مُغدِقةٍ جوانبَ العظمةَ والكمالات النبوية؛ حيث نشأَ – عليه الصلاة والسلام – يتيمًا، فآواه ربُّه وربَّاه، ووجدَه ضالاً ما يدري ما الكتابُ ولا الإيمان، فهداه مولاه واجتباه، ووجدَه عائلاً، وكان عائلاً فقيرًا فأغناه ورعاه، حتى ابتعَثه على حينِ فترةٍ من الرسل، رجلاً كريمًا في قومه، وهو صاحبُه الذي يعرِفونَه كما يعرِفون أبناءَهم. فكان أولَ ما أنزلَ عليه صدرَ سورة اقرأ، ثم صدرَ سورة المدثِّر، وفيهما بيانٌ مُركَّزٌ لمعالِمِ الإسلام وأُسس الدعوة، فصارَت بعثتُه – صلى الله عليه وآله وسلم – أعظمَ منَّةٍ إلهية، ورحمةٍ ربانيةٍ طوَّقَت عُنُق كل مُسلم، ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤]. أيها المسلمون: لقد عظَّم الله –تعالى– شأنَ هذا النبي الكريم – صلى الله عليه وآله وسلم – في القُرآن، وأثنَى عليه ثناءً عاطرًا في عبادتِه وأخلاقه وسيرته وجهادِه، ولم يكُن يُنادِيه إلا بـ ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**﴾، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيّ**﴾ إجلالاً له وإعظامًا. كيف لا، وهو النبي الأميُّ الذي ما ضلَّ وما غوَى، وما ينطِقُ عن الهوَى، إن هو إلا وحيٌ يُوحَى، علَّمه جبريلُ شديدُ القُوى.

وكيف لا يُعظِّمُه ربُّه وهو خاتمُ الأنبياء، والشاهدُ الشهيد، والصادقُ المصدَّق، الذي جاء بالصدق وصدَّق المرسَلين، المرسَل للثقَلَين الإنسِ والجنِّ كافَّةً بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسِراجًا مُنيرًا. نبيٌّ أمِّيٌّ لا يخُطُّ بيمينه ولا يقرأ، وجاء بأعظم الشرائِع، وبُعث بالحنيفيَّة السَّمحة، وعلَّمه ربُّه ما لم يكُن يعلَم، وزيَّنه وجمَّله بالأخلاق الحسنَة العظيمة، من التواضُع، وخفض الجناح للمُؤمنين، والصبر، والسماحة، واللِّين، والعفو، والصفح. فأحبَّته القلوبُ والأرواحُ، ولو كان فظًّا غليظَ القلب لانفضَّ الناسُ من حولِه.مُلِئَ قلبُه الشريفُ – صلى الله عليه وآله وسلم – حُبًّا لأمته، عزيزٌ عليه ما أعنتَها وشقَّ عليها، بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، وكان أشدَّ ما يكون حرصًا وتلهُّفًا على هداية أمَّته،

حتى كادَ أن يُتلِف نفسَه فيبخَعَها، فعزَّاه ربُّه وصبَّره وسلاَّه بأنه رسول، وإنما عليه البلاغ، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[فاطر: ٨]، ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]، ولا يضِق صدرُك بما يقولون، - صلى الله عليه وآله وسلم -.

نبيٌّ كريم قامَ لله فأنذرَ بقوةٍ وثبات، وبلَّغ رسالات ربِّه، وما فترَ ولا توانَى، وما أخذَ على تبليغ رسالات ربِّه ولا عرضًا من الدنيا، ولم يكُن من المتكلِّفين المتنطِّعين؛ بل جاء بالسماحة واليُسر والوسطية والاعتِدال، ولم يكُن بِدعًا من الرسل، ولم يأتِ بشيءٍ من تِلقاءِ نفسِه، بل مُبلِّغٌ أمينٌ - صلى الله عليه وآله وسلم -. عصمَه ربُّه، وكلأَه بعينِه من أن يُضِلَّه الناسُ أو يضُرُّوه، أو يُزلِقوه بأبصارهم، أو يفتِنوه عن بعضِ ما أُنزِلَ إليه ليفترِيَ على ربِّه، ﴿وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)﴾ [الإسراء: ٧٣، ٧٤].

أمة الإسلام: هذا النبي الكريمُ الأمِّيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - يأمرُ الناسَ بالمعروف، وينهاهُم عن المنكَر، ويُحلُّ لهم الطيبات، ويُحرِّم عليهم الخبائِث، ويضعُ عنهم إصرَهم والأغلالَ التي كانت عليهم، نجَّاه الله من مكر الماكرين وكيدهم، ونصرَه إذ أخرجَه الذين كفروا من قريته التي أحبَّ، وأيَّده بجنودٍ لم ترَوها، وأنزلَ عليه سكينتَه، وثبَّته، وأثنَى على شجاعته ورباطَة جأشِه، ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]. أمرَه ربُّه بالعدل، فحكمَ وما جار، وما كان للخائنين خصيمًا، بشَّرت به الرسل وأُخِذ عليهم الميثاق: إذا جاءكم محمدٌ - صلى الله عليه وآله وسلم - أن تُؤمنوا به وتنصُروه، وهو مكتوبٌ عندهم في التوراة والإنجيل.

من أبغضَه وكرِه سُنَّته فهو الأبترُ المقطُوع، ومن آذاه فعليه اللعنةُ والعذابُ الأليم، شرَّف الله أهلَ بيته، وأبعدَ عنهم الرِّجسَ وطهَّرهم تطهيرًا، وأعلَى قدرَ نسائِه وفضَّلهن على نساء العالمين، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. عظَّم شأنَ صحابته الكرام، وهم السابِقون الأولون من المهاجِرين والأنصار، ورضِيَ عنهم وتابَ عليهم. عباد الله: ويتحدَّثُ القرآنُ بأساليب مُشرِقةٍ مُتألِّقةٍ عن جهاده - صلى الله عليه وآله وسلم - ومغازِيه، ويُعالِجُ أسبابَ النصر والهزيمة، ويُصرِّحُ بذكرِ معركة بدرٍ والأحزاب وحُنين، ويُشيرُ إلى أُحد وصُلح الحُديبية وفتح مكة وغزوة تبُوك، ويُلمِحُ إلى بعض الأحداث المهمَّة في سيرته؛ كحادثة الفيل، والهجرة المبارَكة، وإبطال التبنِّي، وحادثة الإفك الشهيرة، وتشريع الاستئذان والحِجاب، وحادثة الإسراء والمعراج، والإشارة إلى قُرب أجله في سُورة النصر، وغير ذلك من الأحداث والقضايا التي أفاضَ فيها القرآنُ بإعجازٍ وبيانٍ لا مثيلَ له. بارك الله لي ولكم في

القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولِي هذا، وأستغفرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفِروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبِه. وبعد...

أيها المسلمون: لقد أكَّد القرآنُ في مواطِن كثيرةٍ على أنه لا يصحُّ إيمانُ الناس حتى يُؤمنوا بهذا النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –، ويُصدِّقوه ويُطيعُوه، ويُوقِّروه ويُحبُّوه، وذلك فرضٌ واجبٌ على كل مُسلم ومُسلمة. وأمرَ – سبحانه وتعالى – الأمةَ باستعمال الأدب العظيم مع هذا النبي الكريم – صلى الله عليه وآله وسلم – فنهاها عن رفع الصوت فوق صوته، والجهر له بالقول خشيةَ أن تحبَط أعمالُهم وهم لا يشعرُون، وأمرَها ألا تُناديَ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – باسمِه فقط، كما يدعُو بعضُهم بعضًا، وحثَّها على أن تُصلِّي وتُسلِّم عليه في كل وقتٍ وحينٍ، حُبًّا له واعترافًا بفضله وبركته على الأمة. يا أمة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم –: إن أعظمَ الحب والأدب مع النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –: طاعتُه واتباعُه والتمسُّك بسُنَّته ظاهرًا وباطنًا، وتقديمُ أمره على كل أحدٍ، والتحاكُم إلى سُنَّته، وذلك من أعظم دلائِل محبَّته والإيمان به، ومن أجلِّ أسباب النصر والتمكين في الأرض، وائتِلاف القلوب واجتماعها وتوحُّدها. ونقيضُ ذلك: الاعتراضُ على سُنَّته بالبدع المحدَثة، والآراء والأهواء، ومُخالفةُ أمره – صلى الله عليه وآله وسلم –، والتشكيكُ في سُنَّته وجعلُها قابلةً للأخذ والرد، وعدمُ التسليم لها تهوينًا واستخفافًا. وذلك من أوضَح علامات أهل النفاق، الذين سقطَت من قلوبهم هيبةُ مقام النبُوَّة، وزلَّت أقدامُهم في الفتنة والأهواء. وهو أيضًا – أعني: مُخالفةَ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – من أعظم أسباب الفتنة بين المسلمين وتنازُعهم وتفرُّقهم، وتسلُّط الأعداء عليهم، وذهاب رِيحهم وفشَلهم وذلَّتهم.

وإن الأمة مهما ابتغَت العزَّة والنصرَ والشرَف فلن تجِد ذلك إلا في لُزوم غرزِه – صلى الله عليه وآله وسلم –، واقتِفاء أثره، والسير على منهاجِه. أيها المسلمون: إن هذا النبيَّ الكريمَ – صلى الله عليه وآله وسلم – يجبُ أن يكون قُدوتَنا العُليا في كل شيء، وحديثَ مجالِسنا ومُنتديَاتنا، وسميرَ محافلِنا وندوَاتنا، ومُرتكَز خطابِنا الدعويِّ ومناهِجنا وتربيتنا. إنه – صلى الله عليه وآله وسلم – القُدوةُ الخالِدة، والأُسوةُ التالِدة للحاكِم، والقائِد، والعالِم، والمصلِح، والمربِّي، والناصِح، والزوج، والأب. إننا في هذا الزمان المليء بالفتن والشُّبُهات، وأفكار التطرُّف والإرهاب، واتخاذ الناس رُؤوسًا جُهالاً، وأُغيلِمةً سُفهاءَ الأحلام، يُفسِدون ولا يُصلِحون، ويهدِمون ولا يبنُون، لأشدُّ ما تكونُ

حاجتُنا إلى اتخاذ النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قُدوةً وأُسوةً ومنهاجَ حياةٍ، وإلى تعظيم مقام النبُوَّة، والحذَر الشديد من ردِّ سُنَّته، أو الاعتِراض عليها، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

إن الأمةَ اليوم وهي تتعرَّضُ لمكائِد الأعداء، وظُلم المعتَدين المحتلِّين في المسجِد الأقصَى، وفي غيره من بلاد المسلمين، لأحوَج ما تكونُ إلى الرجوع إلى سُنَّته – صلى الله عليه وآله وسلم – وسيرته المبارَكة، لمعرفة المنهَج الحقِّ في التعامُل مع الأعداء ومُواجهتهم، ورفع الظُّلم والاعتِداء، وردِّ كيد الكائِدين والحاقِدين.

أيها المسلمون: هذه بعضُ شذَراتٍ مُضيئة، ونفائِسُ مُتلألئةٌ من حديث القُرآن الباهِر عن هذا النبي الكريم – صلى الله عليه وآله وسلم –، وما تُرِك أكثرُ مما ذُكِر. فهلُمُّوا – يا عباد الله –، يا مُسلمون! هلُمُّوا وأقبِلوا على القرآن مأدُبة الله في الأرض، وانظُروا كيف تحدَّث القرآنُ عن هذا النبي الكريم – صلى الله عليه وآله وسلم –.

معاشر المسلمين: ومع إطلالَة كل سنةٍ هجريَّة تبرُزُ لنا حادِثتان عظيمتان غيَّرَتا مجرَى التاريخ: نجاةُ موسى – عليه الصلاة والسلام – وخروجُه من مصر، ونجاةُ محمدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم – وخروجُه من مكة، مع أن زمنَ حدوثِهما مُختلِف؛ حيث كانت نجاةُ موسى – عليه الصلاة والسلام – في العاشِر من شهر مُحرَّم، ونجاةُ محمدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم – في أوائِل ربيعٍ الأول. إلا أن اعتمادَ الخليفة عُمر –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– للتاريخ الهِجري من بداية مُحرَّم، جعلَ هاتين الحادثتين تلتقِيان فتُذكَران مع بدايةِ كل عامٍ هجريٍّ، وأصبحَتا من أهم الأحداث لما فيهما من التشابُه والعِبَر والحِكَم والآيات الباهِرات.

ولا ريبَ – يا عباد الله – في ذلك؛ فكتابُ موسى – عليه الصلاة والسلام – وكتابُ محمدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم – هما أفضلُ الكتب المنزَّلة، وكثيرًا ما يقرِنُ الله بينهما في كتابِه، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: ٤٩].

ولذلك كان صيامُ يوم عاشُوراء سُنَّةً نبويةً مُبارَكة، تُؤكِّدُ عظيمَ الصِّلة بين نبي الله موسى – عليه الصلاة والسلام –، ونبي الله محمدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم –.

ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشريَّة وهادِيها، وسِراجها المنير، فإن الله – عز وجل – قد أمرَنا بالصلاة والسلام عليه؛ حيث قال في مُحكَم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة الثالثة ١٥ صفر ١٤٣٧هـ

بعنوان: نعمة العقل

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينُه ونستغفِرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه، وعلى آله وأزواجه وذرياته الطيبين الطاهرين، وسائر صحابتِه الكرام الأبرار الأطهار، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فأُوصيكم ونفسي - عباد الله - بتقوى الله في السرِّ والعلانية؛ فإنها أعظمُ الكرامة، وهي التي وصَّى الله بها الأولين والآخرين، وضمِن للمتقين ألا يضِلُّوا ولا يشقَوا، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. أيها المسلمون: ليس هناك نعمةٌ إلهيةٌ بعد الإيمان أجلَّ ولا أعظمَ أثرًا من نعمة العقل، تلك الكرامةُ الربانيَّة التي هي من أكبر بدائِع صُنع الله الذي أتقنَ كلَّ شيء، وكل الدلائل والحقائق والبراهين تشهَدُ أن البشرية جمعاء شهِدَت الوفاقَ التامَّ بين منهَج الله ووحيِه، وبين العقل البشريِّ حينما جاء النبيُ محمدٌ - صلى الله عليه وآله وسلم - بهذا الدين الكامل الهادي. وتكاثَرَت النصوصُ الشرعيَّةُ على ضرورة إعمال العقل واستِخدامه في التفكُّر والتذكُّر والنظر والتبصُّر والاعتبار، والاهتداء من أقرب الطرق وأصحِّها إلى معرفة الله وتوحيده، والتعرُّف على أسرار التشريع والخلق والكون، وبدائِع أقدار الله وحِكَمه، والإفادة من ذلك كلِّه فيما يعودُ بالنفع والخير على العبد في دينِه ودُنياه وآخرته. وأناطَت الشريعةُ قيامَ التكليف بتوافُر العقل، وضرورة حفظِه مما يُفسِدُه ويُغيِّرُه ويُعطِّلُ ملكَتَه ويطمِسُ نورَه، وجعلَت ذلك من الضرورات الخمس التي لا صلاحَ للعالَم إلا بالقيام بها والحِفاظ عليها. وأصبحَ التكامُل بين الوحي والعقل عنوان الشريعة، فلا تعارُض بين صحيح المنقول وصريح المعقول.

أمة الإسلام: إن العقلَ الصحيحَ عُدَّةُ المرء في النوائِب، وجُنَّتُه في النوازِل، وقائدُه إلى الخيرات ودفع المضرَّات في العاجِل والآجِل، وإذا تمَّ العقلُ تم معه كلُّ شيء،

وإذا فسدَ وذهبَ صارَ أمرُ العبد فُرُطًا، ولا تجمُلُ الحياةُ ولا يُستطابُ العيشُ إلا به، فهو يُعينُ العبدَ على معرفة طرق الصواب والرَّشَد فيسلُكُها، ويَستبينُ سُبُل الخطأ والغوايةِ فيجتنبُها.

والعقلُ والدينُ صِنوانِ لا ينفكَّان؛ فلا يتمُّ دينُ المرء حتى يتمَّ عقلُه، والعقلُ بلا دينٍ ضلالٌ وانفلاتٌ وغواية، والتديُّن بلا عقلٍ بريدُ الفهم المنكوس والسُّلوك المشين، وضيق العطَن. وكم في ذلك من إساءةٍ إلى النفس والناس، وتشويهٍ لصفاء الإسلام ونقائِه.

وقد كان الحسنُ البصريُّ – رحمه الله – إذا أُخبِر عن صلاح رجُلٍ قال: "كيف عقلُه؟ فما تمَّ دينُ عبدٍ قطُّ حتى يتمَّ عقلُه". ومِصداقُ ذلك من كلام الله – تبارك وتعالى –: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠]. العقلُ من أجلِّ مواهِب الله لعبده، وكلما عظُم حظُّ العبد من العقل انتفعَ بمواعِظ القرآن وهداية الوحي أيَّما انتِفاع، وأمسكَ بمفاتيح الحضارة والرُّقيّ، وتسخير أسباب الأرض وخيراتها للعيش فيها عيشةً كريمةً هانِئة، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧] يعني: عقل ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾. وبيَّن – سبحانه وتعالى – آياته الحسيَّة والمعنويَّة والآفاقية: لعلكم تعقِلون، وتتفكَّرون، وتتذكَّرون.

وأفضلُ قَسم الله للمرء عقلُه *** فليس من الخيراتِ شيءٌ يُقارِبُه
إذا أكملَ الرحمنُ للمرء عقلَه *** فقد كمُلَت أخلاقُه ومآرِبُه

سُئِل ابن المُبارك – رحمه الله –: ما أفضلُ ما أُعطِيَ الرجل؟ فقال: "غريزةُ عقل"، قيل: فإن لم يكن؟ قال: "أدبٌ حسن"، قيل: فإن لم يكُن؟ قال: "أخٌ صالحٌ يستشيرُه"، قيل: فإن لم يكُن؟ قال: "صمتٌ طويلٌ"، قيل: فإن لم يكُن؟ قال: "فموتٌ عاجل". وقال لُقمانُ لابنِه وهو يعِظُه: "يا بُنيَّ! اعلَم أن غايةَ السُّؤدَد والشرف في الدنيا والآخرة حُسن العقل، وإن العبدَ إذا حسُن عقلُه غطَّى ذلك عيوبَه وأصلحَ مساوئَه". وسُئِل قتادةُ – رحمه الله –: أيُّ الناس أغبَط؟ قال: "أعقلُهم". وسُئِل: أيُّ الناس أعلَم؟ قال: "أعقلُهم". ولذلك قالوا: "عدوٌّ عاقلٌ خيرٌ من صديقٍ جاهل". أيها المسلمون: إن العقلَ الذي مدحَته الشريعة ورفعَت من شأن صاحبِه،

وحثَّ القرآنُ في خطاباته على استدعائِه لإعماله والإفادة منه، كقوله – عز وجل –: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص:٧٢]، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠]، وغير ذلك كثير. ليس هو العقلُ الغريزيُّ فحسب؛ بل هو قدرٌ زائدٌ على مجرد الآلة والملَكة، إنه الفهمُ عن الله وعن رسولِه – صلى الله عليه وآله وسلم –،

الفاتِحُ لأبواب البركات والعطايا، الجاعلُ ما على الأرض من زينةٍ للخيرات والفلاح مطايا، المعِينُ على الطاعات واجتِناب السيئات والرزايا. إنه العقلُ الذي يعقِلُ صاحبَه عن المساوئ والدنايا، ويُطلِقُه في اكتِساب الفضائل وكريم السجايا. العقلُ الذي يحجُزُ صاحبَه عن خوارِمِ المروءة وقوادِحِ الشرف، وسِفساف الأمور، ويحمِلُه على معالي الأخلاق وكرائِمِ الصفات. العقلُ الذي يرفعُ الأفرادَ والأُمم لتصلُح للاستِخلاف في الأرض فتعمُرَها حضارةً وتقدُّمًا ورُقيًّا. هذا هو العقلُ الممدوحُ في الشريعة الذي أراد الله من خلقِه أن يتَّصّفُوا به، ويتحلَّوا بزينتِه، ويستثمِروه في كل نافعٍ ومُفيد. هذا هو العقلُ الذي رتَّب الله عليه بلوغَ الكمالات، وحصولَ الهُدى والفلاح، والنجاة من الآفات الحضارية، والأمراض القلبية والأخلاقية، فيرضَى الله عن صاحبِه، ويُبارِك له في حياته، وينتفعُ بهذه الموهِبة نفعًا عظيمًا، ويُصبِحُ شامةً مُتميِّزًا بين الناس. ومن أجل عدم فهم الكفار لحقيقة العقل الممدُوح في الشريعة، قالوا: ﴿**لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الملك: ١٠]. ولما سُئل عالِمِ مكة وفقيهُها عطاءُ بن أبي رباح – رحمه الله –، لما سُئل عن أفضل عطايا الله لعبده، قال: "العقلُ عن الله". فالعقلُ عن الله والفهمُ لخطاباته ومُراداته هو البابُ الأكبر للحصُول على خيرَي الدنيا والآخرة، وهو في الحقيقة تمكينٌ للعقل من تحقيق المقصُود من إيجاده وخِلقَته. أيها المسلمون: إن معرفة حقيقة العقل الممدُوح في الشريعة، وضرورة حِفظِه فيما يُرضِي الله – سبحانه وتعالى – يُصحِّحُ عند الناس مفهوماتٍ خاطئةً في كيفية استِعماله؛ حيث وظَّف بعضُهم ملكَة ذكائِهم وعقولَهم في نشر الأفكار والآراء الضالَّة، وتوليد الشُّبَه والأهواء المضِلَّة، والحِجاج لها لإضلال الناس. وتفنَّن فِئامٌ في أساليب المكر والدهاء والحِيلة والخِداع، وإلحاق الضرَر والأذَى بالناس في دمائِهم وأموالِهم وأعراضِهم ومكانتِهم، وعند أمةٍ من الناس غلبَت المعرفةُ بزينة الحياة الدنيا وشهواتها، والمنافسةُ فيها على المعرفة بأمور دينهم وآخرتهم، وظنَّ أولئك كلُّهم أن ذلك هو العقلُ كلَّ العقل.

إن هذا العقلَ المعيشيَ المصلَحيَّ الذي يُفكِّرُ به البعضُ لهو سببُ كثيرٍ من المشكِلات الحضاريَّة والأمراض النفسية والسلوكية والتربوية والاجتماعية، وعلَّةُ عِلل الكثيرين الراضِين بالتخلُّف مع الخوالِف الذين كرِه الله انبِعاثَهم فثبَّطهم وخذلَهم فقعدوا مع القاعِدين. ولو أنهم أرادوا الخلاصَ من مُشكِلاتهم وأمراضهم، والانعِتاق من التخلُّف الحضاريِّ لأعدُّوا لذلك عُدَّته، وأعملوا هذه الملكَة العظيمةَ والهِبةَ الربَّانيَة فيما يعودُ عليهم وعلى مُجتمعهم وبلادِهم بكل خيرٍ وصلاحٍ وفلاحٍ، ولتخلَّصوا من الآفات والمفسِدات الحسيَّة والمعنويَّة التي تغتالُ العقلَ، وتُقيِّدُه عن الإبداع والإنتاج المفيد. ومن أشدِّها أثرًا: الخوضُ فيما استأثرَ الله بعلمِه، وحجبَ العقولَ عن إدراكه، والأفكار الضالَّة

والأهواء المردية، والخُرافات، والتقليد المذموم، والتعصُّب والتبعيَّة المقيتة، والمعاصي القلبية، وذنوب الجوارِح، والخمرُ والمخدِّرات والمسكِرات، وغيرُ ذلك من العِلَل التي تُكبِّلُ العقل، وتتسلَّلُ إليه فتُعطِّله وتحرِفُه عن المقصُود من إيجاده وخِلقَته، وتُؤثِّرُ فيه، وتسلُبه نورَه وبركتَه. كما قال الله – تبارك وتعالى –: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩].

وثبتَ عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – عند الإمام أحمد والشيخين: «**أنه يُقال للرجل: ما أظرفه، ما أعقله، وليس في قلبِه مِثقالُ حبَّةٍ من خردَلٍ من إيمان**». بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولِي هذا، وأستغفرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفِروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهِه وعظيم سُلطانه، وصلَّى الله وسلَّم على نبيّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبِه. وبعد، أيها المسلمون: إن العقلَ هو آلةُ الفهم والوعي والإدراك، وهو يعملُ بكل كفاءةٍ واقتِدارٍ إذا استنارَ بنور الوحي وآداب النبُوَّة، واستفادَ من تجارب الناس،

واعتبرَ بأحداث الحياة والتاريخ وتقلُّب الأيام وتبدُّل الأحوال، ومصارِع الغابرين. فإذن كل ذلك يزيدُ من عقله الغريزيِّ ويُوسِّعُه ويُنمِّيه، ويُكسِبُه عقلاً واعيًا سديدًا مُجرِّبًا.

ويظهرُ عقلُ العاقل المهتدِي بنور الله، المجرِّب الواعي في مواطِن كثيرة؛ فهو لا يُقدِّم على أمر الله وأمر رسولِه – صلى الله عليه وآله وسلم – شهوةً ولا شُبهةً ولا قولاً ولا رأيًا، وإذا اجتنبَ عليه أمران اجتنبَ أقربَهما إلى الهوى، وهو دائِمُ التفكُّر والتذكُّر والاعتِبار بالمآلات والأحوال، والمحاسَبة للنفس، مما يُعينُه على حسم الداء قبل أن يقعَ فيه، وتقديم العافية على البلاء، فإذا ابتُلِي رضِيَ وصبرَ. وهو يعلمُ أن البلاءَ مُوكَّلٌ بالمنطِق، فلذلك تراه يحرِصُ على الصدق ويتخيَّرُ الكلام النافع المفيد، ويحذرُ من آفات اللسان المردِية التي تقدَحُ في عقله ومروءته؛ من الكذب وهو أشنعُها، والغِيبة والنميمة، والشماتة. وهو لا يأمرُ الناسَ بالبرِّ وينسَى نفسَه، ولا يسألُ عن أشياء لا تنفعُه ولا تَعنِيه، ولا يتكلَّمُ فيما لا يُحسِنُه؛ فمن حُسن عقل المرء وإسلامه تركُه ما لا يَعنيه، ومعرفته مِقدارَ نفسِه. والعاقلُ يعلمُ حقيقةَ الدنيا، وأنها متاعٌ زائلٌ، ولهوٌ ولعبٌ وتفاخرٌ وتكاثُرٌ في الأموال والأولاد، وزينةٌ تخلُبُ الألباب، وتغُرُّ أهلَها، وتميلُ

بصاحبِها، فيأخذُ عرَضَ هذا الأدنَى ويقول على الله غيرَ الحقّ،﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].

أيها المسلمون: ليس هناك أحرصَ من العاقل على جمع الكلمة والوحدة، والأُلفة، والتغافُل عن الهفَوات والزلاَّت، ونبذ التفرُّق والنزاعات والخُصومات، والتحريش الشيطاني. وزينةُ العاقل التواضُع للناس كافَّة، وإنزالُهم منازِلهم، ومُعاملتهم بظواهِرهم، وترك سرائِرهم إلى ربِّهم. وهو لجَودة عقله لا يحسُد أحدًا، ولا يحتقِرُ، ولا يحمِلُ الحقدَ من تعلُو به الرُّتَبُ، ولا يستخِفُّ بأحد، فإن من احتقرَ العلماء والأتقياء أهلكَ دينَه، ومن استخفَّ بالسلطان واستهزأَ به أفنَى دُنياه وأهانَ نفسَه، ومن تتبَّع عوراتِ إخوانه خرمَ مروءَته وأزرَى بنفسِه. وحُسن السَّمت، وطُولُ الصمت، والرَّزانةُ من دلائل عقل العاقل الذي لا تستفِزُّه الأحداث، ولا يستخِفُّه الذين لا يُوقِنون، ولا تستجِرُّه الأهواءُ، ولا تطيشُ به النَّزَوات. والعاقلُ هو الذي قد غلبَ حلمُه غضبَه، وعدلُه ظُلمَه، وتواضُعُه تكبُّرَه، وإنصافُه بغيَه وإجحافَه، وتثبُّتُه تسرُّعَه، وأناتُه وترِّيه عجلَتَه وطيشَه، وصبرُه جزعَه، ووقارُه حُمقَه، ومُشاورتُه للعُقلاء استبدادَه برأيه، وحُسن تدبيره واقتِصادُه في معاشِه تفريطَه وتضييعَه، ومروءتُه وترفُّعُه حِرصَه على الشرف والجاه. فكم أذلَّ الحرصُ والطمع أعناق الرجال؟!

وهو يُجِلُّ الكبير ويرحمُ الصغير، ويبرُّ والدَيه، ويعطِفُ على أهله وعِياله، ويُكرِم جارَه وضيفَه، ويصِلُ أرحامَه، ويهتمُّ بأمر المسلمين، ويُعينُ على نوائِب الدهر. وبكل حالٍ فهو إلى كل خيرٍ أسرَع، وعن كل زلَّةٍ وخطأٍ يُنيبُ ويرجِع. فلله ما أهنأَ عيشَه! وأطيبَ حياته! وأسعدَ نفسَه! وأشرحَ قلبَه وصدرَه! وتلك جنَّةٌ مُعجَّلَةٌ في الدنيا، لا يدخلُها إلا الموفَّقون المسدَّدون الذين عقَلوا عن الله وعن رسولِه – صلى الله عليه وآله وسلم –. أيها المسلمون: النساءُ شقائِقُ الرجال، ولهن في كل ما ذُكِر نصيبٌ وافِر، وكم من نساء المسلمين من كان لها في الماضِي والحاضِر مواقِفُ العُقلاء، ومروءةُ النُّبلاء. ونُقصانُ عقل المرأة إنما هو في أن شهادةَ رجلٍ تعدِلُ شهادةَ امرأتَين ليس إلا، كما بيَّن ذلك النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم –. فكفُّوا – أيها الناس – عن تعيير المرأة بذلك، بعد بيان رسولِ الله – صلى الله عليه وآله وسلم –. ثم صلُّوا على سيّدنا وحبيبنا رسولِ الله، فإن الله – عز وجل – قد أمرَنا بالصلاة والسلام عليه؛ حيث قال في مُحكَم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة الرابعة ١٤ ربيع الأول ١٤٣٧هـ

بعنوان: العدل والإنصاف

الخطبة الأولى:

الحمد لله، الحمد لله عدد خلقه، ورِضا نفسه، وزِنةَ عرشه، ومِداد كلماته، حمدًا يليقُ بجلاله وعظمته وكبريائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد: فاتقوا الله – عباد الله –، وراقِبوه في السرِّ والعلانية، وإن استطعتُم إن تلقَوا ربَّكم وأنتم خفيفةٌ ظهورُكم من دماء الناس، خميصةً بطونُكم من أموالهم، كافَّةٌ ألسنتُكم عن أعراضهم، مُلازِمون لأمر جماعتهم .. فافعَلوا، فوالله الذي لا إله غيره؛ إن ذلك لهو الفوزُ العظيم، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]. أيها المسلمون: عالَمُنا اليوم تتجاوزُ فيه صورٌ من الظلم والجَور والعُدوان حدودَ الزمان والمكان، وتظهرُ فيه ألوانٌ من البغي وانتِقاص الحقوق الإنسانية المشروعة بدوافع عُنصرية، وموروثاتٍ طائفية، وخلَلٍ عقديّ وفكريّ. مما يُؤَكِّدُ الحاجةَ الماسَّةَ إلى إصلاح النفوس والعقول، وتهذيبها بصالح الأخلاق ومكارِم الصفات التي جاء النبي – صلى الله عليه وسلم – لإكمالها ورعايتها، والتي تُقوِّمُ السلوك، وتُصلِحُ فسادَ القلوب. وإن من أعظم تلكم الأخلاق وأشملها لجميع نواحي الحياة: قيمةً إنسانيَّةً إسلاميَّةً كُبرى، ومبدأً رفيعًا بديعًا، غدَا مقصِدًا من أجلِّ مقاصِد الشريعة وكليَّاتها، ألا وهو: "الإنصافُ والعدل". الإنصافُ والعدلُ الذي ما بعثَ الله الرسل وأنزل الكتب إلا من أجل تحقيقه في الأرض، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. وأمر الله تعالى النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمَّته بالإنصاف والقسط، في الأقوال والأفعال والحُكم بين الناس، كما قال الله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وامتثلَ النبي – صلى الله عليه وسلم – أمرَ ربِّه وتوجيهه، وطبَّق العدل والإنصاف في كل أحواله وأيامه. وسُنَّتُه الشريفة وسيرتُه العطِرة خيرُ مِثالٍ وشاهِد، وتربيتُه – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه على الإنصاف والعدل مع الموافق والمخالف لا تُحصى شواهِدُه، ولا تُعدُّ نماذجُه.

أمة الإسلام: مرَّ عُمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه وأرضاه – بشيخٍ كبيرٍ من أهل الذمَّة وهو يتكفَّفُ الناسَ ويسألُهم، فوقف عليه وقال مقولته الشهيرة: "ما أنصفناك، أن كنا أخذنا منك الجزية في شَبيبَتك، ثم ضيَّعناك في شَيبَتك"، ثم أمر له برزقٍ دائمٍ. عدلٌ وإنصاف لا يقفُ عند حدودٍ وأعراف، يشملُ القريبَ والبعيدَ، والمسلمَ والكافرَ. هذا العدلُ والإنصافُ هو الذي جعل شيخَ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – لما سعَى في فَكاك أسرى المسلمين عند التَّتَر، وعلِم أنهم لن يُطلِقوا معهم أسرَى أهل الذمَّة، أصرَّ – رحمه الله – على إطلاق الأسرَى كلِّهم وقال – في سُمُوِّ نفسٍ وإنصافٍ لا نظيرَ له، قال –: "بل جميعُ من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهلُ ذمَّتنا، فإنا نفُكُّهم ولا ندَعُ أسيرًا لا من أهل الملَّة ولا من أهل الذمَّة".

أيها المسلمون: إن الإنصافَ حِليةُ الشريعة وزينةُ الملَّة، وركيزةُ الإصلاح، وهو خُلُق الأنبياء والنُّبلاء، وواسِطةُ عِقد السعادة وصلاح الأحوال، وما تحلَّى به أحدٌ إلا دلَّ ذلك على سلامة صدره، وطهارة قلبه، وجودة عقله.وإذا ضيَّعَت الأمةُ الإنصاف، فلا تسَل عن فُشُوِّ الأنانية والأثَرة والإجحاف، وبخس الناس أشياءَهم، فتفتُرُ هِمَمُهم عن تحقيق الأمانة والجودة في الأعمال والمنجَزات، ويذوقُ المجتهدُ والناجِحُ والمخلِصُ مرارةَ الجُحود والنُّكران، وإخفاء المحاسِن وإبراز المساوئ. مما يُضعِفُ في المجتمع روحَ الجدَة والابتِكار، والعمل المثمِر البنَّاء. إن الإنصافَ ثمرةُ العدل ورونَقُه وبهاؤه، ولا يُمكن أن يستفيدَ العبدُ من علمِه بالحق حتى يُقيمَ العدل والإنصاف، كما قال الله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، وقال – سبحانه –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، وقال: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥]. ولقد أنصفَ القرآنُ أهلَ الكتاب حينما قال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال: ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولذلك كان الواجبُ على العبد أن يزِن الأمورَ بميزان العدل والإنصاف، حتى يحيا حياةً كريمةً هانِئة؛ فإن لربِّه عليه حقًّا، ولوالدَيه عليه حقًّا، ولأهله عليه حقًّا، ولوُلاة أمره عليه حقًّا، ولإخوانه عليه حقًّا، والإنصافُ أن يُعطِي كل ذي حقٍّ حقَّه. و"إن المقسِطين على منابِر من نورٍ عن يمين الرحمن، وكِلتا يدَيه يمين. الذين يعدِلون في حُكمهم وأهلِيهم وما وُلُّوا". أمة الإسلام: إننا في زمنٍ أحوَجُ ما نكون فيه إلى فهم حقيقة الإنصاف والتأدُّب بآدابه. فليس من الإنصاف في شيءٍ أن يُعامَل به قومٌ لمحبَّةٍ أو قرابة، ويُغضَّ الطرفُ عنه في مُعاملة قومٍ آخرين، وليس من الإنصاف

أن تسوءَ العلاقات الأُسرية والاجتماعية بمُجرَّد زلَّةٍ أو هفوَة؛ بل الواجبُ أن تُلتمسَ الأعذارُ، ويُغلَّبَ جانبُ المحاسِن الكثيرة، ويُقبَلَ العفوُ من أخلاق الناس، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وما أعظمَ قول نبيِّنا - صلى الله عليه وسلم - في تأسيس هذه القاعدة التي هي من أهم قواعد الإنصاف؛ حيث قال - بأبي هو وأمي - صلى الله عليه وسلم-: «**لا يَفرَك مؤمنٌ مُؤمنة**» يعني: لا يُبغِضُ ولا يكرَهُ زوجٌ مؤمنٌ زوجتَه المؤمنة، «**إن سخِط منها خُلُقًا رضِيَ منها آخر**». رواه مسلم وغيره. وقال سعيدُ بن المسيَّب - رحمه الله -: "ليس من شريفٍ ولا عالمٍ ولا ذي سُلطان إلا وفيه عيبٌ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكرَ عيوبُه؛ فمن كان فضلُه أكثرَ من نقصه وُهِبَ نقصُه لفضلِه". إن هذه النظرة المتوازِنة الحكيمة يجبُ تطبيقُها في التعامُل مع الحُكَّام والوُلاة والعلماء وذوي الهيئات والشرف وسائر الناس، ومع المخالفين كذلك، فيُعامَلون جميعًا بهذا الميزان النبوي الذي يحفظُ لهم حقوقَهم ومحاسنَهم، مع الإصلاح والتقويم والنصيحة لهم. وإن من أبهَى صور الإنصاف ألا تفسُد علاقتُك بالمسلمين بسبب اختلاف وجهات النظر، فهو لا يُفسِدُ الوُدَّ والمحبَّةَ عند التجرُّد والإنصاف، ولا تأخذهم بلازِمِ قولهم، فهو ليس بلازمٍ لهم، وتُحسِنُ الظنَّ بهم، وتضعُ أمرَهم على أحسَنه ما لم يأتِك ما يغلِبُ ذلك، وإياك أن تظنَّ سُوءًا بكلمةٍ خرجَت من أخيك المسلم وأنت تجِدُ لها في الخير محمَلاً ومخرَجًا.

أمة الإسلام:إن مما يخدِشُ الإنصافَ ويخرِمُه: أن يتورَّط المرءُ في نشر أخطاء وزلاَّت مُسلمٍ ظاهر العدالة والسلامة، ويكتُمُ حسناته ومحاسِنَه، ولعلَّه قد حطَّ رحلَه في الجنة، والقادِحُ لا يشعُر. كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عن حاطب بن أبي بلتعَة - رضي الله عنه -: «**لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر، فقال: اعلموا ما شِئتُم فقد غفرتُ لكم**». وإن المنصِف إذا انتقَدَ فإنه ينقُدُ الأقوال لا القائلين، فيكونُ نقدُه للرأي والفعل هادفًا بنَّاءً، بنيَّةٍ طيبةٍ وأدبٍ حسنٍ، لا بقصد الإسقاط والتجريح والتوبيخ، والدخول في النيَّات والمقاصِد. فالقرآنُ حينما نقَدَ إنما نقَدَ الأقوال والأفعال، فقال: ﴿وَمِنْهُمْ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ﴾، ولم يُسمِّ أصحابَها. وتمثَّل ذلك النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فكان يقول: «**ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا وكذا**». وإن من أجلِّ عُرى الإنصاف: التثبُّت والتأنِّيّ في تصديق الأخبار وبناء الأحكام عليها، وما ثبتَ لمسلمٍ من العدالة والفضائل فلا تُنفى عنه ولا تُزال إلا بيقينٍ مثله أو أقوَى منه، لا بالظنُون والشُّكوك، وزعموا، وقالوا، فبئسَ مطيَّة الرجل: زعموا، و﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

أيها الناس: أخذُ الناس بظواهِرهم وتركُ سرائرهم إلى ربِّهم - سبحانه وتعالى -، وقبول الحقِّ من الحبيب والبغيض، والاعتراف بالخطأ، وكلامُ الأقران بعضهم في بعض يُطوَى ولا يُروَى ولا يُشاع، هو عينُ الإنصاف والتسامِي. ومُراعاةُ

اختلاف علماء مذاهب المسلمين المتبُوعة واجتهاداتهم السائغة، والإعذارُ لهم، وعدم التشنيع والذمّ، والسعيُ في جمع الكلمة على وُلاة الأمور، ونبذُ الفُرقة والاختلاف المذمُوم. كلُّ ذلك من أهم الأُسس التي يُبنى عليها الإنصافُ والعدل، والتي تُشيع الأمن والاستقرار في المجتمعات، وتبعثُ الطُّمأنينة وتُهيِّئُ النفوسَ والعقولَ للإنتاج والعمل المثمِر البنَّاء. إن الإنصافَ فِطرةٌ ربَّانيَّةٌ سويَّة، وقيمةٌ خُلُقيَّةٌ نبويَّة، من أخذ بها وتحلَّى سعِد وفازَ وعلا وترقَّى، والله يُحبُّ المقسِطين. ومن خالفَ ذلك، واتبعَ منهجَ المطفِّفين الذين يأخذون الذي لهم وافرًا كاملاً، ويُخسِرون ويُنقِصون في حقوق غيرهم وفي الذي عليهم. فما أبعدَه من منهج، وما أجدرَهم بقول ربِّنا – سبحانه –: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[المطففين:١]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولِي هذا، وأستغفرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفِروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهِه وعظيم سُلطانه، والصلاةُ والسلامُ على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وأصحابِه والتابعين. وبعد، أيها المسلمون:

الإنصافُ عزيز، وكلُّ الناس مُحتاجٌ إليه، وهو شاقٌّ على نفوس كثيرٍ من الناس، الذين تلبَّسُوا بآفاتٍ قلبيَّةٍ وسُلوكيَّةٍ منَعَتهم من التجرُّد لله والتحلِّي بحِلية الإنصاف العظيمة. ذلك أن كثيرًا من الناس يحمِلُهم هوى النفوس، والغضب، والغيرة، والحسد، والكِبر على عدم الإنصاف والتمادي في الإجحاف، وغمط الحق، وازدراء الناس وبخسِهم محاسِنَهم وكتمِها، وتمنِّي زوال النعمة عن إخوانهم حسدًا من عند أنفسهم.

وإن عينَ الرِّضا عن كل عيبٍ كليلةٌ * ولكنَّ عينَ السُّخط تُبدِي المساوِيا**

ومن أكثر ما يمنعُ العبدَ من أن يكون مُنصِفًا عادلاً التعصُّب المقيتُ لغير الحق، والتحزُّب لغير الله ورسوله – صلى الله عليه وآله وسلم –، والاستِبدادُ بالرأي. هذا وإن الغلُوَّ والتطرُّف لا يمنعُ المرءَ من الإنصاف فحسب؛ بل يحمِلُه على سفك دماء المسلمين وتكفيرهم وتفسيقهم بغير حقٍّ، واستِحلال دمائِهم وأموالهم وأعراضهم. ولذلك كانت الخوارجُ كلابَ النار، كما أخبر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –؛ لأنهم من أشدّ الفِرَق ظُلمًا وعُدوانًا وبُعدًا عن العدل والإنصاف، وتراهم لفساد رأيهم وعقلهم ينهَشُون ويتعاوَون ويتهارَشُون على المسلمين والمصلِّين، وقد سلِم منهم أهلُ الأوثان، كما هو الحالُ في بعض بُلدان المسلمين الذين ابتُلوا بأهل الغلُوِّ والعُنف والتشدُّد. أمة

الإسلام: إن كثيرًا من قضايا المسلمين المعاصِرة ومُشكلاتهم لا يُنظرُ إليها بعدلٍ وإنصاف، مما يزيدُ الجراحَ اتساعًا، والآلام إيلامًا، فتطولُ المحنةُ، وتتعاظَمُ المؤونةُ على بعض بلاد المسلمين. ولكن - بفضل الله ونعمته - تتضافَرُ جهودُ المملكة وإخواننا المسلمين في الدول الإسلامية لردِّ العُدوان ورفع الظُّلم الواقع على إخواننا في فلسطين وسوريا واليمن، ودحر أفكار التطرُّف والإرهاب بعاصفةٍ حزمٍ تارةً، وبتحالُفٍ إسلاميّ تارةً أخرى، وسعيٍ حثيثٍ لكشف المعتدين والحاقِدين، وردِّ كيدهم، وإبطال مكرهم. كما بيَّن ذلك بوضوحٍ ولاء خادمُ الحرمين الشريفين - أيَّده الله - في خطابه الضافي، الذي أكَّد فيه حِرصَ المملكة على الدفاع عن قضايا العرب والمسلمين في المحافِل الدولية. الواجبُ على المسلمين جميعًا هو نُصرةُ المظلومين، وغوثُ المستغيثين، ونجدةُ الملهُوفين، والوقوفُ مع كل صادقٍ وناصحٍ قام لله في سبيل تحقيق ذلك. والحذرَ الحذرَ من تخذيل المخذِّلين، وإرجاف المرجِفين الذين يفُتُّون في عضُدِ المخلِصين، ويفتِلون ضدَّهم في الذروة والغارِم، لكي يُشتِّتوا جهودَهم، ويُعثِروا نجاحاتهم. وإن على أصحاب الأقلام والكتَبَة في وسائل الإعلام المختلفة، وشبكات التواصُل الاجتماعي واجبًا شرعيًّا بالقيام بالعدل والإنصاف، فيكونون صفًّا واحدًا مع حُكَّامهم وعلمائِهم وبلادهم ضدَّ أهل البغي والعُدوان والظُّلم، فترتقي الجهودُ وتتكامَل، وتشتدُّ اللُّحمةُ وتتعاوَن في الوقوف مع حُكَّامنا وعلمائِنا والمخلِصين في مثل هذه الأحداث والفتن والمدلهِمَّات، وأن يمتثِل الجميعُ قولَ ربِّنا - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]. ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشرية وهادِيها وسِراجها المنِير، فإن الله - عز وجل - قد أمرَنا بالصلاة والسلام عليه؛ حيث قال في مُحكَم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة الخامسة ٣ جمادى الأولى ١٤٣٧هـ

بعنوان: فضائل الأمة المحمدية

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفُسِنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد: فاتقوا الله – عباد الله –، واعلَموا أن المتَّقين هم أكرمُ الخلقِ على الله وأحبُّهم إليه، وأولاهُم بالنصر والتأييد الإلهيِّ والعطاءِ الربَّانِيِّ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. أيها المسلمون: تمرُّ أمةُ الإسلام اليوم بمرحلةٍ تاريخيَّةٍ غير مسبُوقة؛ حيث تتوالَى الأحداثُ الضِّخام والمتغيِّراتُ السريعة التي تدَعُ الحليمَ حيران. ويزدادُ كيدُ الأعداء وتربُّصُهم، مما جعلَ اليأسَ والوهَنَ يسرِي في قلوبِ كثيرٍ من أبناءِ الأمة، ودبَّ إلى بعضِهم الحُزنُ والشعورُ بالإحباطِ والعجزِ، وهم يرَون مكرَ الحاقِدين وقوَّتَهم وجلَدَهم، ويُشاهِدون صُورَ القتل والدمار والتشريد، مع تلبُّسِ نفَرٍ من أبناءِ الأمة بأفكارِ الخوارجِ والتفجير والتكفير. حتى تكوَّنَت عند فِئامٍ من الناسِ صُورةٌ قاتِمةٌ كئيبةٌ لحالِ الأمة الإسلامية ومُستقبلِها، وأحاطَت بهم خيالاتُ الوهمُ المحبِط والهزيمة النفسيَّة. ولقد حذَّرَنا الله – سبحانه وتعالى – في آياتٍ كثيرةٍ من الوقوع في حالةِ الوهَن هذه، والشعورِ باليأسِ والحُزن؛ حيث قال – سبحانه –: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقال – سبحانه –: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال – سبحانه –: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]، وقال – سبحانه –: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وأخبرَنا – سبحانه وتعالى – أن سُنَّته التي لا تتبدَّلُ، وعادتَه التي لا تتغيَّر أنه يُديلُ على عبادِه المؤمنين بالابتِلاء والضَّعفِ، ثم تكونُ لهم العاقِبةُ والنصرُ والتمكينُ، ويُهلِكُ أعداءَهم ببأسِه الشديد وعذابِه المهين. فأين هي عادٌ الأولى، وثمودُ، وقومُ إبراهيم، وقومُ لُوط، وفرعونُ، وأصحابُ الأيْكَة، وصنادِيدُ الكفر في قريش؟! أبادَهم العزيزُ الجبَّار، ونصرَ عبادَه المؤمنين وأنبياءَه ورُسُلَه. أيها المسلمون: نحن أمَّةُ محمدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم – من شرقِها إلى غربِها لا يجوزُ لها أن تيأَسَ ولا أن تبتَئِس، ولا ينبغي لها أن تقعَ فريسةَ الإحباطِ واليأسِ المهلِك الذي يشُلُّ تفكيرَها

ويُعطِّل طاقاتِها وقُدراتِها، ويُفقِدُها الأملَ والرجاءَ بسببِ ما يفعلُه الكائِدُون والطُّغاةُ المجرِمون، وبسبب ما تُشاهِدُه وتسمَعُه كلَّ يومٍ من مشاهِدِ الأسَى والألَمِ والقتلِ، التي تُساهِمُ وسائلُ الإعلام المختلفة والتواصُل الاجتماعيُّ مُساهمةً فاعلةً في نشرِها، لتزيدَ من مُعاناةِ المسلمين إرجافًا وإرهابًا وإضعافًا. نعم، لا يجوزُ أن تشعُر الأمةُ باليأسِ وقد بشَّرَها الله تعالى بالعزَّة والنصرِ والتمكين، وخصَّها بخصائِصَ كُبرى وفضائِلَ عُظمَى ليست لأحدٍ من الأُمَم، مما يجعلُها تفتخِرُ بتكريمِ الله لها، وتُباهِي الأُمَمَ، وترفعُ الرأسَ عاليًا، وهي التي اختارَها الله واصطفاهَا، فتبوَّأَت عنده – سبحانه – شرفًا عظيمًا، ومكانةً وفضلاً.

هذا، وإنه لمن المفيد جدًّا نشرُ هذه الفضائلِ الربَّانيَّة، والخصائِصِ الشريفةِ العليَّة، وإظهارِها لكلِّ من يشُكُّ في نصرِ الله لهذه الأمة، أو يُصابُ بالإحباطِ وفقدِ الأمل.

ولكي يعلَمَ الناسُ كلُّهم أن هذه الأمة المحمديَّة هي التي يُحبُّها الله ويُعلِي قدرَها، وهي الأمةُ المنصُورةُ شرعًا وقدرًا، عاجلاً أم آجِلاً، وأن ما أصابَها من بلاءٍ ومِحنةٍ، وتسليطِ الأعداءِ، ونقصٍ في الأموال والأرزاقِ، إنما هو تمحيصٌ ورِفعةٌ وتربيةٌ لها، لتقومَ بما وكلَها الله – سبحانه وتعالى – به، ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وثبتَ عنه – صلى الله عليه وسلم – في "مسند الإمام أحمد" أنه قال: «بشِّر هذه الأمةَ بالسَّناءِ والدِّينِ والرِّفعةِ والنصرِ والتمكينِ في الأرضِ».

أمة الإسلام: هذه الخصائصُ الشريفةُ للأمة المحمديَّة ثابتةٌ بنُصوص القرآنِ والسنَّة، وهي كثيرةٌ ومُتنوِّعة، وإن أعظمَها قدرًا وأثرًا: أن جعلَ الله مُحمَّدًا – صلى الله عليه وسلم – هو نبيَّها ورسولَها، فهو أعظمُ الرُّسُل وأجلُّهم، وأمَّتُه أعظمُ الأمم قدرًا ومنزلةً ومكانةً، وهي وإن كانت آخرَ الأُمم عددًا، إلا أنها تأتي أولَ الأُمم يوم القيامة، وهي خيرُها وأكرمُها على الله – سبحانه –. كما ثبتَ عند أحمد والطبرانيّ: قال صلى الله عليه وسلم : «إنَّكم تُتِمُّون سبعين أمَّة، أنتم خيرُها وأكرمُها على الله». هذه الأمةُ المحمديَّةُ المباركة هي أمةُ الوسَط والعدل، جعلَها الله شاهِدةً وحاكمةً على الأُمم، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فمن أثنَت عليه خيرًا وجبَت له الجنة، ومن أثنَت عليه شرًّا وجبَت له النارُ، وهم شُهداءُ الله في أرضِه، كما الملائكةُ شُهداءُ الله في سمائِه. وكلُّ نبيٍّ يوم القيامة يستشهِدُ بأمةِ مُحمدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم – لتشهَدَ له أنه بلَّغ الرسالةَ، كما في حديث أبي سعيدٍ الخُدريّ – رضي الله عنه –، عند البخاري.

وهذه الأمةُ المباركةُ اختارَ الله لها دينَ الإسلام ورضِيَه لها، وهو أعظمُ الأديان يُسرًا وسماحةً ومحاسِنًا، ورفعَ عنها -سبحانه وتعالى - الحرجَ في العبادات والمعاملات،﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

ووضعَ الله - سبحانه - عن هذه الأمةِ الأغلالَ والآصارَ والرهبانيّةَ الشديدةَ التي كانت على الأُمم قبلَنا. ومن كرامةِ هذه الأمةِ على الله - سبحانه وتعالى -: أنه عصمَها من أن تجتمِع على ضلالةٍ، وحفِظَ عليها دينَها وقُرآنَها وسُنَّةَ نبيّها - صلى الله عليه وآله وسلم -، فصمَدَت صمودًا عجيبًا في مُجملِها أمام كلِّ مُحاولات الغَزوِ الفكريّ والثقافيِّ والأخلاقيّ، ولم يستطِع أحدٌ أبدًا على مرِّ العُصور والدُّهور أن يتمكَّنَ من تحريفِ القُرآن والسنَّة لا لفظًا ولا معنًى، ومن حاولَ ذلك فضَحَه الله وردَّه يائِسًا بائِسًا. ومن عنايةِ الله بهذه الأمةِ ورعايتِه لها: أنه يبعَثُ لها على كلِّ رأسِ مائةِ سنةٍ من الحُكَّام، والعلماءِ، والمصلِحين من يُجدِّدُ لها دينَها، ويُذكِّرُها بما اندرَسَ من أُصول الملَّة والشريعةِ. أما غيرُنا من الأُمم فلا يأبَهُ الله بهم، فلذلك وقعُوا في التحريف والتبديلِ والضلال. أمة الإسلام: قدرُ الله تعالى على هذه الأمةِ أن تكون أقلَّ الأُمم عُمرًا في هذه الدنيا وبقاءً فيها، لكنَّها الأعظمُ بركةً في عُقولِها وفُهومِها وتجارِبها، والله - سبحانه وتعالى - يرزقُها من حقائِق الإيمان والعلومِ والمعارِفِ في فترةٍ وجيزةٍ ما تُدرِكُه الأُممُ الأخرى في أزمانٍ ودُهورٍ. ومن أجلِ ذلك صارَت حضارةُ الإسلام أعظمَ الحضاراتِ بركةً وخيراتٍ وعِمارةً للأرضِ، وأزكاها وأنفعَها للبشريَّةِ من حضارَةِ المادَّة والشهوات والخواءِ الرُّوحيِّ. وبسببِ قِصَرِ أعمارِ أفرادِ هذه الأمة - فهي ما بين الستِّين إلى السبعين في الغالِب - قبِلَ الله منها القليلَ من العمل، وأثابَها عليه الثوابَ الكثيرَ المضاعَفَ الذي تفوقُ به الأُممَ قبلَنا الأطولَ أعمارًا؛

كالأُجور المضاعفَةِ المرتَّبة على الصلاةِ والحجِّ، وقراءة القرآن، وليلة القدر، وصيام النوافِل، والصلاة في الحرمين الشريفين وفي المسجِد الأقصَى، وغير ذلك. ومن تمامِ حفظِ الله لهذه الأمةِ والعنايةِ الإلهيَّةِ بها: أنه - سبحانه - حماها من الهلاكِ العام بالغرق أو بالسنين والقَحط، ولن يُسلِّطَ الله على هذه الأمة عدوًّا من غيرها فيتمكَّن منها ويستبيحَ أصلَها وجماعتَها، ولو اجتمعَ عليها من بأقطارِها. وحفِظَ - سبحانه وتعالى - هذه الأمةَ من عذابِ الاستِئصال، وليس عليها عذابٌ في الآخرة، إنما عذابُها في الدنيا بالفتن والزلازِل والمصائِب. وقضَى الله - سبحانه وتعالى - أن تكون الكعبةُ البيتُ الحرام قيامًا للناسِ، وأمانًا لهم، وهُدًى للعالمين، وجعلَ مسجِد نبيّها - صلى الله عليه وآله وسلم - منارةً للعلمِ والنور، وتكفَّل الله بالشام وأهلِها، وأورثَ - سبحانه - هذه الأمة المسجِد الأقصَى

وبيتَ المقدِس، وجعلَه حقًّا مشروعًا لها، وفتحَ - سبحانه وتعالى - للأمة كنوزَ الأرضِ وخيراتِها، وجعلَها تَفيضُ بالنِّعَم الظاهرة والباطِنة، فهي أمَّةٌ مُبارَكةٌ كثيرةُ الخيرات، كالغَيثِ لا يُدرَى أولُه خيرٌ أم آخرُه.

أيها المسلمون: ثبتَ في "مسند أحمد": عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: «**إنَّكم أمَّةٌ أُريدَ بكم اليُسرَ**». وعند البخاريِّ: «**إن هذا الدِّينَ يُسرٌ**». وثبتَ عند الطبرانيِّ: «**إن الله تعالى رضِيَ لهذه الأمة باليُسر وكرِهَ لها العُسرَ**».

ومن آثارِ هذا التيسير والسماحَة: أن الله - سبحانه وتعالى - تجاوزَ عن هذه الأمة ما حدَّثَت بها أنفُسُها، ووسوسَت به صُدورُها، ما لم تكلَّم أو تعمَل، وعفا عنها - سبحانه - الخطأَ والنسيانَ وما استُكرِهُوا عليه، ويسَّر لها أمرَ طهارتها وعباداتها، وفضَّلها بالتيمُّم، وجعلَ لها الأرضَ مسجدًا وطهورًا، وخفَّف عنها الصلاةَ؛ فهي خمسٌ في الفعلِ وخمسُون في الأجر، وجعلَ صُفوفَها في الصلاةِ كصُفوفِ الملائِكةِ، وفضَّلَها وخصَّها بالتأمين خلفَ الإمام، والسلام، وصلاةِ العِشاء فلم يُصلِّها أحدٌ من الأُمم قبلَنا.

وهدانا - سبحانه - إلى يوم الجُمعة، وأضلَّ عنه الأُمم الأُخرى، وأكرمَنا بالغداءِ المبارَك "السَّحُور" الذي هو فصلُ ما بيننا وبين صيامِ أهل الكتاب، وأحلَّ للأمَّةِ الغنائِم التي حرَّمها على الأُمم قبلَنا، ونصرَها ونصرَ نبيَّها - صلى الله عليه وآله وسلم - بالرُّعب، فما تزالُ الأُمم تهابُ أمَّةَ محمدٍ - صلى الله عليه وآله وسلم -، وتُجِلُّها، لما وضعَ الله لها من المكانة والهَيبَة في قلوبِ الخلقِ. فما أعظمَ هذه الأمة! ما أعظمَ فضل هذه الأمة المبارَكة! وما أكرمَها على الله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولِي هذا، وأستغفرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفِروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله يختصُّ برحمتِه من يشاء، ويتفضَّلُ عليهم بالنِّعَم والآلاء، وهو الحكيمُ الخبيرُ الذي يختارُ ما يشاءُ ويُكرِمُهم بالاصطِفاء، والصلاةُ والسلامُ على خيرَ الأنبياء وإمام الأتقِياء، وعلى آله الأطهارِ الأصفِياء، والصحابةِ السَّادَة النُّجَبَاء، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الحِسابِ والجزاء. أما بعد، فيا أيها المسلمون: إن العبدَ ليدهَشُ من

كثرةِ الفضائِلِ والخصائِصِ التي تفضَّلَ الله بها على هذه الأمة المبارَكة، ويعجَبُ من تنوُّعها وشُمولِها للعبادات والمعاملات وشُؤون الحياةِ العامَّة والخاصَّة، حتى إن من ماتَ يوم الجُمعة أو ليلتَها وقاه الله عذابَ القبر، ومن ماتَ وهو مُرابِطٌ في سبيل الله أجرَى الله عليه أجرَه إلى يوم القيامة، وحمَاه من فتنةِ الفتَّان في القبرِ.

وهذا فيه تسلِيةٌ وبِشارةٌ لإخواننا المجاهِدين المرابِطين على الحُدود والثُّغور، فهم في جهادٍ عظيمٍ وثوابٍ جَزيلٍ. وجعلَ – سبحانه وتعالى – مرضَ الطَّاعون إذا أصابَ أحدًا من هذه الأمة رحمةً وشهادةً، بينما كان هذا المرضُ عذابًا ورِجزًا على من كان قبلَنا، كما ثبتَ في "مسند الإمام أحمد": قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: «**الطاعونُ كان عذابًا يبعثُه الله على من يشاءُ، وإن اللهَ جعلَه رحمةً للمُؤمنين**».

وعند الحاكمِ بسندٍ صحيحٍ: قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: «**الطاعونُ وخزُ أعدائِكم من الجنِّ، وهو لكم شهادةٌ**». ولم يجعل الله – سبحانه وتعالى – أجرَ الشهادة في هذه الأمة لمن يُقتلُ في سبيلِ الله في أرضِ المعركة فحسب؛ بل شُهداءُ أمةِ محمدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم – كثيرٌ؛ فمن ماتَ بالغرق فهو شهيد، أو مات في الحريق، أو تحت الهَدم، أو أكلَه السَّبُع فهو شهيد، ومن ماتَ بداء البطن، أو بذاتِ الجَنب، أو بالسِّلِّ فهو شهيد، والتي تموتُ في نِفاسِها شهيدة، ومن قُتِل وهو يُدافِعُ عن نفسِه أو عِرضِه أو مالِه، أو سألَ اللهَ أجرَ الشهادةِ بصِدقٍ بلَّغه الله منازِلَ الشهداء ولو ماتَ على فِراشِه. وكلُّ ذلك صحَّ عنه – صلى الله عليه وآله وسلم –، وهي كرامةٌ عظيمةٌ لهذه الأمة. أمة الإسلام: ليست هذه الخصائِصُ والفضائِلُ للأمةِ في الدنيا فقط؛ بل كذلك لهم خصائِصُ في الآخرة؛ فهي أولُ الأُمم التي يُبدأُ بها في الحسابِ أمام الله – سبحانه وتعالى –، وحوضُ نبيِّنا – صلى الله عليه وآله وسلم – أعظمُ أحواضِ الأنبياء وأكثرُها وُرودًا. وتتميَّزُ هذه الأمةُ يوم القيامة بأنَّهم غُرٌّ مُحجَّلُون من آثار الوُضوء، سِيماهم في وُجوهِهم من أثر السُّجود، وهذه الأمةُ المبارَكة أولُ الأُمم مُرورًا على الصِّراط، وأسبَقُ الناسِ دخولاً إلى الجنة هم فُقراءُ المهاجِرين، يسبِقون الأغنياءَ بخمسمائةِ سنة. ونبيُّنا – صلى الله عليه وآله وسلم – هو الذي يشفعُ الشفاعةَ الكُبرى للناسِ في الموقِفِ الأكبر، بعد أن يعتذِرَ عنها الأنبياءُ – عليهم صلواتُ الله وسلامُه –. ونبيُّنا – صلى الله عليه وآله وسلم – هو الذي يستفتِحُ بابَ الجنة، ولا تُفتحُ الجنةُ إلا له – عليه الصلاة والسلام –، ويدخلُ الجنةَ من هذه الأمة سبعُون ألفًا بلا حسابٍ ولا عذابٍ، مع كلِّ ألفٍ سبعُون ألفًا. وفي روايةٍ صحيحةٍ: مع كلِّ واحدٍ سبعُون ألفًا. وأهلُ الجنة مائةٌ وعشرون صفًّا، ثمانُون صفًّا من هذه الأمة المبارَكة، وأربعون من سائرِ الأُمم. وسيِّدا كُهول أهل الجنة: أبو بكرٍ وعُمر – رضي الله عنهما –، وسيِّدا شبابِ أهل الجنة: الحسنُ والحُسين – رضي

الله عنهما -، وسيّدةُ نساءِ الجنة: فاطمةُ بنتُ مُحمَّدٍ - رضي الله عنها -، وصلَّى الله على أبيها وسلَّم، وسيِّدُ الشُّهداء: حمزة - رضي الله عنه -، وكلُّهم من هذه الأمةِ المبارَكة. والمسلمُ من هذه الأمة يغفِرُ الله له ذنوبَه بالتوبة والاستِغفار بلا واسِطةٍ ولا قرابينَ للبشر، وإذا ماتَ المسلمُ على شهادةِ التوحيدِ دخلَ الجنةَ، وإذا لقِيَ اللهَ بقُرابِ الأرضِ خطايا وهو لا يُشرِكُ به شيئًا لقِيَه - سبحانه - بقُرابِها مغفرة. أيها المسلمون: إن خصائِصَ هذه الأمة وكراماتها أكثرُ من أن تُحصَى، والحديثُ عنها حديثٌ نافعٌ ومُفيدٌ، لكي نشكُرَ الله - سبحانه وتعالى - شكرًا عظيمًا، ونُثنِي عليه الثناءَ الكبيرَ أن أكرمَنا فجعلَنا من هذه الأمة المبارَكة أمةِ مُحمدٍ - صلى الله عليه وسلم -، فهي والله من أجلِّ نِعَم ربِّنا علينا، التي تستوجِبُ الشُّكرَ الدائِمَ له - سبحانه -، والتفاؤُلَ والاستِبشارَ. وهي نعمةٌ لها تبِعاتٌ ومسؤوليَّاتٌ عظيمة، كما قال - سبحانه -: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]. فخيريَّةُ هذه الأمة حقٌّ ثابتٌ، والمسؤوليَّةُ مُلقاةٌ على أبناءِ هذه الأمة ليُرُوا اللهَ من أنفُسِهم خيرًا، ويظهَروا بالمستوى اللائِقِ بهذه الخيريَّة وهذا التكريمِ الربَّانِيّ، فيقُوموا بالدِّين وينشُروه في العالمين بالوسطيَّة والاعتِدال والسَّماحة، ويأمُروا بالمعرُوف وينهَوا عن المنكَر، ولا يكونوا كالذين اصطفاهم الله ثم أعرَضُوا وجحَدوا نعمةَ الله عليهم، وسعَوا في الأرضِ فسادًا، فغضِبَ الله عليهم، وجعلَ منهم القِرَدةَ والخنازيرَ وعبدَ الطّاغُوت. ولا يجوزُ أن يتَّخِذَ البعضُ مما ذُكِر من الفضائلِ مُتَّكأً لمزيدٍ من الخُمول والضَّعفِ والتخاذُل، فإن للنصر أسبابًا وللتمكين أسبابًا، كما أن لنزول العذاب والعقاب أسبابًا، وتلك سُنَّةُ الله الجارِيةُ التي لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّر.

ألَم ترَ أن الله قالَ لمريَمٍ * وهُزِّي إليكِ بالجِذعِ يسَّاقَطِ الرُّطَب**

ولو شاءَ أن تَجنِيهِ من غير علَّةٍ * جنَتْه، ولكن كلُّ شيءٍ له سبَب**

ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشرية وهادِيها وسِراجها المنير، فإن الله - عز وجل - قد أمرَنا بالصلاة والسلام عليه؛ حيث قال في مُحكَم تنزيله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦]

الخطبة السادسة ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ

بعنوان: الأمن الاجتماعي وكيفية تحقيقه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفُسِنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد: فاتقوا الله – عباد الله –، واعلَموا أن التقوَى أساسُ كلِّ خيرٍ ومنبَعُ كل فضيلةٍ، والله تعالى لا ينظرُ إلى صورِكم ولا أموالِكم، ولكن ينظُر إلى قلوبِكم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]. فأصلِحوا قلوبَكم بالتقوى تصلُح لكم أعمالُكم.

أيها المسلمون: تُعاني البشريَّةُ من موجاتٍ عنيفةٍ من الصِّراعات الفكريَّة والثقافيَّة، والثورات المحمُومة، والحروبِ النفسيَّة والعسكريَّة، التي نتَجَ عنها ألوانٌ من الخوفِ والجُوعِ وسَفكِ الدماءِ، ونقصٍ من الأموال والأنفُس والثمرات. وتُؤثِّرُ هذه الصِّراعات المختلفة على كثيرٍ من الناسِ في عقائِدهم وتصوُّراتهم وأخلاقِهم، مما كان سببًا في اختلالاتٍ ظاهرةٍ في الأمن الاجتماعيِّ، الذي أصبحَ تحقيقُه في المجتمع والحفاظُ عليه يُشكِّلُ الهاجِسَ الأكبرَ في حياةِ الأفرادِ والمجتمعات اليوم، وتسعَى كلُّ الممالِكِ والأُمم إلى إرسائِه؛ ليعيشَ المجتمعُ حياةَ الهُدوءِ والاستِقرار والعمل المنتِج البنَّاء، وليأمَنَ الفردُ على نفسِه وأُسرتِه ومعيشتِه.

إن الأمنَ الاجتماعيَّ غايةٌ من أجلِّ الغاياتِ الشرعيَّة، ومقصَدٌ عظيمٌ من مقاصِد الدين، وهو منَّةٌ إلهيَّةٌ كُبرى يضرِبُ الله به الأمثال، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢]. وهو فريضةٌ ربَّانيَّة، وضرورةٌ من ضرُورات العُمران البشريِّ والاستِخلافِ والنُّهوضِ الحضاريِّ، ولذلك قرَنَ الله بين نعمةِ العيشِ ونعمةِ الأمن، وامتنَّ بهما على عبادِه، وجعلَهما من أهمِّ أسبابِ التمكينِ من عبادةِ الله، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤]. أمة الإسلام: إن شُعور كل فردٍ في الأمة بالطُّمأنينة والسَّكينة في غُدوِّه ورَواحِه، وسفَره وإقامتِه، وتمكُّنه من عبادة ربِّه، وهناءَه بالاستِقرار النفسيِّ والأُسريِّ والمعيشيِّ، فلا خوفٌ ولا فزَع، ولا تفرُّقٌ ولا تناحُرٌ، من أعظمِ نعمِ الله وأجلِّ كرائِمِه، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. وقد جعلَ النبي – صلى الله عليه وآله وسلم

- الشُّعورَ بالأمن في المجتمع أحد مُقوِّمات السعادة والقنَاعة؛ حيث قال - عليه الصلاة والسلام -: «**من أصبحَ منكم آمنًا في سِربِه، مُعافًى في بدنِه، عنده قُوتُ يومِه، فكأنَّما حِيزَت له الدنيا بحذافيرها**» [أخرجه الترمذي وابن ماجه]. وهذا كلُّه - يا عباد الله - أثرٌ من آثارِ شُيُوع الأمن الاجتماعيّ، فينعكِسُ ذلك إيجابًا على الأمة، وتظهرُ بمظهَر العزَّة والقوَّة، بسبب تلاحُم أفرادِها وترابُطهم، وتعايُشهم فيما بينهم بالحبِّ والمودَّة، والتناصُح والتباذُل، والتعاوُن والسَّتر، والصَّفح والعدل والإنصاف والعفو عن المسيء.

إن أمنَ المجتمع ضرورةٌ حياتيَّةٌ للعيش الهنِيء الرَّغيد، والسعادة والسُّلوك الحسَن، والتقدُّم والرُّقيّ، فلذلك توالَت النصوصُ من القرآن والسنَّة في التأكيدِ على الأمن الاجتماعيّ والحرصِ عليه؛ لينعمَ المجتمعُ بأسرِه بالهُدوءِ والاستِقرار، ويتمكَّنُ من إقامة شرعِ الله، وتسخيرِ الأرض وعُمرانها في تحقيقِ الخير والصلاحِ. ولن يحصُل لهم ذلك - يا عباد الله - إلا بالتعاوُن على البرِّ والتقوى، والحذَر من التعاوُن على الإثمِ والعُدوان، وهو أساسٌ عظيمٌ من أُسس بناءِ الأمنِ الاجتماعيّ، ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢]. أمة الإسلام: إن من أجلِّ ما يُبنى عليه أمنُ المجتمع: أن يقوم على قاعدةٍ راسِخةٍ ثابتةٍ من الأُخوَّة الإيمانيَّة، التي تُؤسِّسُ العلاقات بين أفراد المجتمع تأسيسًا قويًّا ثابتًا.

فتشيعُ بينهم أواصِرُ المحبَّة والإيثار والتناصُر والتعاوُن، وحبِّ الخير بعضِهم لبعضٍ، وتنتشِرُ بينهم صُورُ الإحسان والبرِّ للوالدَين والأرحام والجيرانِ، والتكافُل الاجتماعيّ، ورعاية الأيتام والأرامل والمساكين، والسعي في تفريجِ كُربات وحوائجِ الناسِ، وقضاءِ دُيونهم، وإنظارِ مُعسِرهم، والسَّتر على مُخطِئهم، وغير ذلك من صُور الإحسانِ والأُخوَّة الإيمانية، التي هي من أعظم مُقوِّمات المجتمع الآمِن.

كما قال - سبحانه -: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال - سبحانه -: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: ٧١]. وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**أفضلُ المُسلمين إسلامًا: من سلِم المُسلمون من لسانِه ويدِه**» أخرجه الطبراني بسندٍ حسن. وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**المؤمنُ من أمِنَه الناسُ على دمائِهم وأموالِهم**». أخرجه أحمد والترمذي.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**أحبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهم، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله سُرورٌ تُدخِلُه على مُسلمٍ، أو تكشِفُ عن كُربَة، أو تقضِي عنه دَينًا، أو تطرُدُ عنه جُوعًا**». أخرجه الطبرانيُّ بسندٍ حسنٍ.

إن الأُخوَّة الإيمانيَّة الصادقة من أهم أُسس فشُوِّ الأمن الاجتماعيّ، فيشعُرُ كلُّ مُسلمٍ أنه في مُجتمعٍ أفرادُه بَرَرةٌ رُحماء، مُتعاطِفون مُتحابُّون، هيِّنون ليِّنون، مُشفِقون مُتباذِلُون، يُكرِمون المحسِن ويُعينُونَه، ويستُرون على المخطِئ ويرحَمونَه، ولا يُقابِلونَه بالتشهير والتعنيفِ والإقصاء، ولا يُعينُون عليه الشيطان، فهو ما زال أخًا لهم. فينشأُ من ذلك كلِّه مُجتمعٌ آمنٌ، مُستقرٌّ مُتماسِكٌ قويٌّ، كما قال النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – في وصفِ هذا المجتمع الآمِن: «**مثَلُ المُؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم كمثَل الجسَد**» أخرجه أحمد ومسلم. وهذا الشُّعور – يا عباد الله – بالاستِقرار والأمن والمعاملة الحسَنَة لا يختصُّ بالمسلمين فقط؛ بل هو حقٌّ مكفُولٌ لكلِّ من يعيشُ بينهم من أهل الأديان الأخرى؛ كاليهود والنصارى، والمعاهَدين والمستأمَنين. فقد ضمِن لهم الإسلامُ الأمنَ والعيشَ والاستقرارَ، وأن يُعامَلوا بالعدل والإنصافِ والرحمةِ والإحسان، كما قال – سبحانه –: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: ٨].

وقد كان لابن عُمر – رضي الله عنهما – جارٌ يهوديٌّ، فكان أولَ ما يبدأُ بالإطعام والهدايا يبدأُ به، وكان يُوصِي به دائمًا. وهذه صورةٌ مُشرِقةٌ ناصِعةٌ من محاسِن الإسلام، وحِرصِه على شُيُوع الأمن الاجتماعيّ لكل أفرادِه ولمن يعيشُ تحت كنَفِه. فأين من يتَّهمُ الإسلام بالإرهاب، ويُحاولُ وصمَ أهله بذلك زُورًا وبُهتانًا؟!

أيها المسلمون: إن أمنَ المجتمع لن يتحقَّق ويسُود بين جميعِ شرائِحه إلا إذا كانت شريعةُ الله هي الحاكمةُ والمهيمِنة، وكان لها من قُوَّة السُّلطان والدولة

ما يجعلُ لها الثَّباتَ والشُّمولَ والهيبَة، فتطمئنُّ النفوسُ وتهدأُ الخواطِرُ، ويشعرُ كلُّ فردٍ أنه آمِنٌ على دينِه ونفسِه وأهلِه، فيعيشُ بحريَّةٍ وكرامةٍ وعزَّة. ولذلك جاءَت الشريعةُ بحفظِ مكانةِ وهيبةِ الحاكمِ والأميرِ المسلمِ، وأمرَت بطاعتِه في المعرُوفِ وإجلالِه وإكرامِه، وحرَّمَت عِصيانَه والخروجَ عليه، وإظهارِ عيبِه والتشهير بأخطائِه تشغيبًا وتأليبًا عليه، ورغبةً في زعزعة أمن المجتمع، وفشُوِّ الفوضَى والاضطِراب، وانفِراط قاعدةٍ من أهمِّ قواعد بناءِ الأمنِ الاجتماعيّ. إن المجتمعَ الآمِن هو الذي يقومُ على طاعة الله وطاعة رسولِه – صلى الله عليه وآله وسلم – وأُولي الأمر، ومن أطاعَ الأميرَ فقد أطاعَ الرسولَ – صلى الله عليه وآله وسلم –، ومن أطاعَ الرسولَ فقد أطاعَ الله، وإن الله ليَزَعُ بالسلطان ما لا يزَعُ بالقرآن. والشريعةُ تحُثُّ وتأمرُ أن تنشَأَ المحبَّةُ والوِئامُ والثِّقةُ بين الرَّاعِي والرعيَّة، والحاكم والمحكُوم، فتعيشُ الأمةُ في أمنٍ وارِفٍ، وظلٍّ ظليلٍ من الاستِقرار والتمكينِ والثَّبات. أيها المسلمون: أمرٌ آخرُ في غايةِ الأهمية، له أثرُه البالِغُ في أمنِ المجتمع، وهو أن يعلَمَ الواحدُ منَّا أنه لا يعيشُ لوحدِه في المجتمع، ولا يحيَا لذاتِه أو لتحقيقِ

مصالِحِه الشخصيَّة فقط؛ لأن المسلمَ الواعِيَ الصادقَ يشعُرُ بصدقٍ أنه مسؤولٌ عن نفسِه وأهلِه ومُجتمعه وأمَّته ووطنه، مسؤولٌ عن الأمن والاستقرار، مسؤولٌ عن كل ما يحفظُ للأمة عقيدتَها وعزَّها ومكانتَها، خاصَّةً في ظلِّ الهجَمات المتوالية، والحمَلات الإعلاميَّة المحمُومة من أعداء الأمة، التي تُهاجِمُ عقيدةَ الأمة وثوابتَها، وتُشوِّهُ صورةَ القائِمين عليها في بلادِ الحرَمين وغيرِها من بلادِ المسلمين. إن إحساسَ كل فردٍ في الأمة أنه مسؤولٌ مسؤوليَّةً مُباشِرةً عن الحفاظِ على عقيدتِه وكِيانِ أمَّته ووطنِه، يجعلُه عُنصرًا إيجابيًّا نافعًا ومُفيدًا لنفسِه ولمجتمعه، ومُدرِكًا للأخطار والمكائِد المحدِقة بدينِه ووطنِه وأمَّته. ويرتقِي بوعيِه، فلا يغشُّ أمَّتَه ولا يخونُها، ولا يكونُ عينًا وظهيرًا لأعدائِها، وتُكأةً للمُفسِدين والحاقِدين؛ بل يكون مُساهِمًا مُساهمةً فاعلةً في الحفاظِ على أمن المجتمع، ليرُدَّ عُدوانَ كلِّ مُعتدٍ وكائِدٍ في الداخلِ والخارجِ. إن الشُّعورَ بالمسؤوليَّة الفرديَّة والجماعيَّة من أهم أُسس بناءِ مُجتمعٍ آمنٍ مُستقرٍّ واعٍ مُتماسِك،

وسوف يُسألُ الناسُ جميعًا عن نعمة الأمن: هل شكَروها وحافظُوا عليها أم لا؟ ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. قال ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - وقتادةُ: "هو الأمنُ والصحَّة". وثبتَ في "الصحيحين": عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ راعٍ في أهلِه وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها وهي مسؤولةٌ عن رعيَّتها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيِّده وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ راعٍ في مالِ أبيه وهو مسؤولٌ عن رعيَّته، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته**». بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولِي هذا، وأستغفرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفِروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

اللهم لك الحمدُ حتى ترضَى، ولك الحمدُ ملءَ السماوات وملءَ الأرض وملءَ ما بينهما، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على المبعُوث رحمةً وأمانًا للعالمين، وعلى آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. وبعد .. أيها المسلمون: إن من كمال الشريعة: أنها تتشوَّفُ دائمًا إلى تحقيقِ الأمن واستِقرار المجتمع؛ لما في ذلك من المصالِح الكُبرى والمنافِع العُظمى في الدين والدنيا، ولذلك حرَّمَت الشريعةُ جُملةً من الأعمال المنافية لهذه المصالِح والمناقِضة لأمن المجتمع واستِقراره؛ كالظُّلم والبغيِ والخيانة، وعقوق الوالدَين وقطيعة الأرحام، وأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ بالرِّبا والرِّشوَة،

والسرقة والاحتِيال. كما حرَّمَت الشريعةُ قتلَ النفس بغير حقٍّ، وشُربَ الخمر، والزِّنا، والتبرُّج والسُّفور، والاعتِداء على الناس باللسان والقول من الغِيبة والنَّميمة والسُّخرية والاستِهزاء، والتنابُز بالألقاب، وشهادة الزُّور، والتجسُّس، وتتبُّع العورات، والظُّنون الكاذِبة، وغير ذلك مما يُشيعُ الفاحشةَ في المجتمع، ويُسبِّبُ شرخًا مُهلِكًا في بناءِ المجتمع الآمِن ووحدتِه وتماسُكِه.

ومن أعظمِ ما حرصَت عليه الشريعةُ لبناءِ المجتمع الآمِن: الحَصانةُ والصيانةُ الفكريَّة للأمة من فتنة الشُّبهات والأفكار الضالَّة، وأفكار التطرُّف والغلُوِّ التي تُسبِّبُ العنفَ والقسوةَ والجُنوحَ في التعامُل مع المجتمع. وهذا من أخطَر ما تُواجِهُه المجتمعات الآمِنة، فتُحيلُها إلى مُجتمعاتٍ ثوريَّة فوضويَّة مُتمزِّقة مُتناحِرة مُتقاتِلة، مما يُشكِّلُ أعظمَ مُناقضَةٍ لمقصد الشريعة العظيم: أن تكون الأمةُ جسدًا واحدًا قويًّا مُتماسِكًا. أمة الإسلام: إن من أهم وسائل الشريعة في حفظِ الأمن الاجتماعيِّ وبنائِه: نظامَ العُقوبات وإقامةَ الحُدود والتعزيرات، وتمكين القضاء العادِل، وتقوِية الحرَس والجُيُوش والشُّرَط، والعنايةَ بذلك، والعملَ بالإجراءات التي تردَعُ الظالِمَ والمعتدِي، وتأخُذ الحقَّ للمظلُوم والضَّعيف، فيعيشُ المجتمع آمنًا مُستقرًّا، مكفُولةً حقوقُه، مُحاطًا بسِياجِ العدلِ والرحمةِ والإحسانِ. هذا وإن من أفخَم أُسس بناءِ مُجتمعٍ آمِن: أن يتعاوَنَ الجميعُ على بناءِ اقتصادٍ قويٍّ مُتنوِّعٍ مُزدهِر، يُشارِكُ في بنائِه كلُّ من له قُدرةٌ وطاقةٌ ومعرفةٌ لتحقيقِ القوَّة الاقتصاديَّة والرُّقيِّ الحضاريِّ، لتكون الأمةُ آمنةً مُطمئنَّةً يأتيها رِزقُها رغدًا من كل مكانٍ، ولتكون مُهابةً مرهوبةَ الجنابِ بين الأُمم. أيها المسلمون: إن صناعةَ الأمن الاجتماعيِّ من الضَّرورات التي لا تقبلُ المساومَة والمراجعَة، وهي ليست مسؤوليَّةَ جهةٍ دون جهةٍ، ولا فردٍ دون فردٍ؛ بل هي مسؤوليَّةُ الجميع؛ لتتضافَرَ جهودُ الأفراد والمؤسَّسات، والعلماء والمصلِحين، وذوِي الرأي والمكانة، والمثقَّفين والإعلاميِّين، وأصحابِ الأقلام في الصحافة وشبكَات التواصُل الاجتماعيِّ، خاصَّةً في ظلِّ التحديَّات الداخلية والخارجية التي تمرُّ بها الأمة. لا بُدَّ أن يعرِفَ المسلِمون صديقَهم من عدوِّهم، وتتكاتَفَ جهودُهم للحفاظِ على أمن المجتمع في جميع بلادِ المسلمين، وبالأخصِّ هنا في بلاد الحرمين، أرض النبُوَّة والوحيِ، والأمن والأمان. إن الحفاظَ على أمنِ بلاد الحرمَين فريضةٌ واجبةٌ على كل مُسلمٍ ومُسلمةٍ؛ فقد جعلَها الله قيامًا للناسِ، وأمنًا للعالمين، ومهوَى أفئِدة المسلمين، والحفاظُ عليها وعلى أمنِها تحقيقٌ لدعوة إبراهيم الخليل – عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاة والتسليم –؛ حيث قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]. فلا يجوزُ بأي حالٍ من الأحوال – يا عباد الله – إثارةُ الفوضَى، والتفرُّق والخُصومات، أو الفتُّ في عضُدِ وُلاةِ الأمر القائِمين على أمنِها بكل ما يستطيعُون،

ولا يجوزُ الطَّعنُ في عقيدتِها ومناهجِها التي مصدرُها الكتاب والسنَّة، أو تشويه صُورتها بالأكاذِيب والتُّهم الباطلة والدعاوَى المضلَّة. لأن قيامَ الأمن – يا عباد الله – في بلاد الحرمين هو في الحقيقةِ أمنٌ للأمة كلِّها، واستِقرارٌ وثباتٌ لمجتمعاتِ المسلمين، ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقال – سبحانه –: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال – سبحانه –: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

إن "عاصفةَ الحزم" والتحالُف الإسلاميَّ و"رعد الشمال" أوضَح دليلٍ على الحَزم والعَزم والحَسم في مُواجهة الإرهابِ العالميِّ والإقليميِّ، والتطرُّف والطائفيَّة، وردِّ العُدوان في نحر الكائِدين والحاقِدين، للحفاظِ على أمن بلاد الحرمين وبلاد المسلمين جميعًا.

ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشرية وهادِيها وسِراجها المنِير، فإن الله – عز وجل – قد أمرَنا بالصلاة والسلام عليه؛ حيث قال في مُحكَم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

الخطبة السابعة ٦ شعبان ١٤٣٧هـ

بعنوان: الجزاء من جنس العمل

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي حكمَ وقدَّر، وبشَّر وأنذَر، أقامَ هذا الكونَ على الميزان والعدل، وامتنَّ على من شاءَ من عبادِه بالفضل، أحمدُه – سبحانه – حمدًا يليقُ بحكمته البالِغة وقُدرته الباهِرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وسِع كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا، وأحاطَ بكل شيءٍ قُدرةً وحُكمًا، . وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه الميزانُ الأكبر، والسِّراجُ الأزهر، صلَّى الله عليه وعلى الآل الطيبين السادة، والصحابةِ أُولِي القوة والأبصار والريادة، والتابعين لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليمًا كثيرًا ما سبَّحَت الأفلاكُ الدائرة، والخلائِقُ المتكاثِرة. أما بعد: فاتقوا الله – عباد الله – وراقِبُوه، واعلَموا أنكم ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩]. أمة الإسلام : إن الله –سبحانه وتعالى– قد أودعَ في هذه الحياة سُننًا ثابتةً لا تتغيَّرُ ولا تتبدَّلُ، والعاقلُ السعيدُ هو الذي يتعرَّفُ على هذه السُّنن الإلهية ليعملَ بمُقتضاها، ولا يُصادِمُها ولا يُخالِفُها، فيعيشُ في هذه الحياة عيشةَ الكرام الموفَّقين السُّعداء، وله في الآخرة الأجورُ والنَّعماء. ومن تلكُم السُّنن العظيمة: سُنَّةٌ طالما كان لها الأثرُ الكبيرُ في حياة الناس، وعاقِبة أمورهم ومآلهم، ألا وهي: سُنَّةُ أن "الجزاء من جِنسِ العمل"، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

إنها سُنَّةٌ إلهيَّةٌ كُبرى، وقبسٌ من قبَسات عدل الله وحكمته وقُدرته التي لا حدودَ لها، وقاعدةُ الجزاء الربَّاني في هذا الكون القائِم على العدل والميزان الذي لا يعولُ ولا يميلُ ولا يُحابِي أحدًا. ولو تفكَّر الناسُ جميعًا في ظاهر أمرهم وباطنِه، وما هم عليه؛ لوجدُوا هذه السُّنةَ تتجلَّى لهم في كل شُؤون حياتهم، ولفقُهُوا طرفًا من حكمة الله البالِغة في أقداره وأحكامِه، فالبرُّ لا يبلَى، والإثمُ لا يُنسَى، والديَّانُ لا يموتُ، وكما تدينُ تُدان، وكما تُجازِي تُجازَى. أليس من العجيب أن يرحمَ الله بغيًّا؛ لأنها رحِمَت حيوانًا كادَت أن يهلِك فروَّت عطشَه؟! أليس من المدهِش أن يخسِفَ الله بقارون وكنوزِه الأرض، ويُجرجِرَه فيها؛ لأنه طغَى وبغَى، وكادَ أن يفتِنَ الناسَ

ويُزلزِلَ إيمانَهم بربِّهم؟! وإن تعجَبُوا.. فعجبٌ ما أصابَ الصحابةَ يوم أُحُد، حتى قالوا: ﴿أَنَّى هَذَا﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فجاء الجوابُ من الحكَم العدل – سبحانه – فاصلاً قاطعًا: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾. إن هذه السُّنة الربَّانيَّة هي محورُ الجزاء بالعدل وبالفضل المماثِل لعمل العبد ومن جِنسِه، وهي مُطَّردةٌ شرعًا وقدرًا وزمانًا ومكانًا،

دلَّت عليها أكثرُ من مائة آيةٍ في كتاب الله، وتكاثَرَت النصوصُ النبويةُ في تقريرها وترسيخِها في النفوس. فهل سمعتُم أن الله يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]؟! وهل قرأتُم قولَه - سبحانه -: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]؟! ولقد توالَت الآياتُ تلوَ الآيات في بيان أن الله يُجازِي أهلَ الإيمان والتقوى بالحياة الطيبة، فيفتحُ لهم بابَ الأُنسِ به ومعرفته والفرح به - سبحانه -، ويُيسِّر لهم أمورَهم، ويكشِفُ كُروبَهم ويُنجِّيهم، ويحفظُهم في أنفُسهم وذُرِّيَّاتهم ويكفِيهم، وينصُرُهم ويُكرِمُهم جزاءً بما كانوا يعمَلون. ومن اتَّقى الله وأخلصَ له، وعفَّ عن المحرَّمات؛ صرفَ الله عنه السوءَ والفحشاءَ، وجعلَ له لسانَ صِدقٍ في الآخرين، ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. ومن صدقَ مع الله، وأحسنَ في قوله وعمله؛ صدقَه الله وآتاه علمًا وحكمًا، وأقبلَ عليه بقلوبِ الخلق، وجعلَها تفِدُ إليه بكل الوُدِّ والمحبَّة والرحمةِ. وأما عبادُ الله المستضعَفون المظلُومون المغلُوبون، فاسمَعوا بماذا يُجازِيهم الله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥، ٦]. أيها المسلمون: حُسنُ العاقبةِ، وطِيبُ المآل من الجزاء الحسن؛ فقد ترى الرجلَ في شيبَته يعيشُ حياةً طيبةً هنيئةً رضيَّة، وما ذاك إلا لأنه كان لله في شبابه، مُحافِظًا على طاعاتِ ربِّه ورِضاه، فحفِظَه الله في الكِبَر، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجِده تُجاهَك» أخرجه الترمذي وغيرُه. وقد يُبتلَى المرءُ بمُصيبةٍ فيرضَى ويُسلِّم، فيهدِي الله قلبَه، ويرضَى عنه، وتكونُ له العاقبةُ الحسنةُ، ويُؤتيهِ الله خيرًا مما أُخِذَ منه، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمُؤمن، والعاقبةُ للتقوى. واعتبِروا - يا عباد الله -، اعتبِروا بأولئك الذين يُظلُّهم الله الكريمُ في ظلِّه، كيف أنهم لما صبَروا لله في هذه الدنيا، وتحمَّلوا المشاقَّ في سبيله؛ كانت عاقبةُ أمرهم: سُرورًا وحُبورًا، وظلالاً وارفةً بارِدةً، والناسُ في هولٍ وكربٍ وشمسٍ لاهِبة، ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]. ومن غضَّ بصرَه، وحفِظَ سمعَه ولسانَه عن الحرام؛ جازاه الله وعوَّضَه بأن يُطلِقَ له نورَ بصيرته وقلبِه، ويفتحَ له من الفهم والعلم وسَدادَ القول ما هو أعظمُ لذَّةً وفرحًا من هذه اللذَّات المحرَّمة. والكلمةُ الطيبةُ من رِضوان الله، يتكلَّمُ بها العبدُ؛ يكتبُ الله له بها رِضوانَه إلى يوم القيامة. ومن برَّ والدَيه، ووصلَ رحِمَه؛ وصلَه الله برحمته وكرمِه. ومن استغفرَ للمُؤمنين والمؤمنات؛ كتبَ الله له بكل مُؤمنٍ ومُؤمنةٍ حسنة. ومن سترَ مُسلمًا ستَرَه الله، ومن يُنفِق يُنفِقُ الله عليه، ومن كان في عَونَ أخيهِ كان الله في عَونه، وإنما يرحمُ الله من عبادِه الرُّحماء وذلك كلُّه أثرٌ من آثار هذه السنَّة الربانيَّة، فالجزاءُ من جنسِ العمل. كما جازَى الله تعالى خليلَه ونبيَّه إبراهيم - عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام - بأن جعلَه إمامًا وأمةً يُقتدَى

به، ونورًا يُستضاءُ بقوله وفعلِه، بعد أن اختبرَه الله بكلماتٍ فأتمَّهنَّ، ووجدَه صابرًا حليمًا أوَّاهًا مُنيبًا. وهذا يُوسف – عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام – جرَت له من الخُطوب والكُروب، ما كان سببًا لأن مكَّن الله له في الأرض، وكانت له العاقبةُ الحسنة. وسيِّدُ الأولين والآخرين نبيُّنا محمدٌ – ﷺ – ابتُلِي البلاءَ العظيم، وكمَّل لله مقامات العبودية كلَّها، فكمَّله الله وجمَّله، ورفعَ له ذِكرَه في العالمين، وجعلَه إمامَ الخلق كلِّهم، في كل المقامات الشريفة في الدنيا والآخرة. وزوجتُه الصفيَّةُ الرضيَّةُ خديجةُ – رضي الله عنها –، بشَّرها الله ببيتٍ من الجنة من قصَبٍ؛ لأنها كانت أسرَع الناس إلى الإيمان برسولِ الله، فحازَ قصبَ السبق والشرف، لا صخَبَ فيه ولا نصَبَ، لأنها أحسنَت صُحبتَه، وواسَته بنفسِها ومالِها، وقامَت بحقوقِه – صلى الله عليه وآله وسلم – بلا مللٍ ولا كللٍ ولا رفعِ صوتٍ ولا ضجَر. وتتكاثَرُ الشواهدُ والأدلةُ والقصص؛ ليعلَم الناسُ كلُّهم أن الجزاءَ من جنسِ العمل، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ أيها المسلمون: ومن عجائبِ البيان لهذه السُّنَّة الإلهيَّة: أن من نسِيَ الله نسِيَه الله، فلا يُبالِي به، ومن سمَّع بعمله سمَّع الله به مسامِعَ خلقِه وصغَّره وحقَّره، ومن راءَى يُرائِي الله به، ومن تتبَّع عورات المسلمين تتبَّع الله عورتَه وفضحَه، ومن زاغَ عن الهُدى أزاغَه الله ومدَّ له من العذابِ مدًّا، ومن أعرضَ عن ذِكرِ الله عاشَ ضنكًا ونكَدًا. ومن عرَّض المؤمنين والمؤمنات للفتنةِ والعذابِ والقتل والتحريقِ؛ صرعَه الله شقيًّا ذليلاً مبغُوضًا، وله في الآخرةِ عذابُ الحريق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]. والذين نافقُوا وأجرَموا، لما سخِروا من الذين آمنوا وكانوا منهم في الدنيا يضحَكون ويتغامَزُون؛ كان الجزاءُ من جنسِ العمل، ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٤- ٣٦]. وقد تحايلَ قومٌ على شريعةِ الله وأحكامه، فغيَّروا وبدَّلُوا وحرَّفُوا اتباعًا لأهوائِهم وأهواء الذين ظلَموا؛ فغيَّر الله صُورَهم وأشكالَهم، ومسخَهم قردةً خاسِئين، وطبَ على قلوبِهم فلا يعرفون معروفًا، ولا يُنكِرون مُنكرًا إلا ما أُشرِبَ من هواهُم.

وتوعَّد – سبحانه – مانِعِي الزكاة بكيَّاتٍ ثلاثٍ في جِباهِهم وجُنوبِهم وظُهورهم، وهي كيَّاتٌ مُناسبةٌ لسُوءِ عملهم، جزاءً لهم بنقيضِ قصدِهم. ومن كتمَ شرعَ الله، وأخفَى العلمَ الذي يجبُ أن يظهرَ للناس ولم يتُب من ذلك؛ فأولئك يعلنُهم الله ويلعنُهم اللاعِنون، ويُلجِمُهم الله بلِجامٍ من نارٍ يوم القيامة، جزاءً وِفاقًا. وحين نتأمَّلُ –يا عباد الله–، حين نتأمَّلُ العقوبات التي أنزلَها الله بمن عاندَ أمرَه وخالَفَ رُسُلَه، نجِدُ أنها مُناسِبةٌ أيَّما مُناسبةٍ لذنوبِهم وأعمالهم، كما قصَّ الله علينا هلاكَ قومِ نُوحٍ، وعادٍ، وثَمُود، وأصحابِ الأيكة، وقوم لُوط، وفرعون، وسبأ، وغيرهم،

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

قال ابنُ عُمر – رضي الله عنهما –: "كان بالمدينة أقوامٌ لهم عيوبٌ، فسكَتُوا عن عيوبِ الناسِ، فأسكَتَ الله الناسَ عن عيوبِهم، فماتُوا ولا عيوبَ لهم، وكان بالمدينة أقوامٌ لا عيوبَ لهم، فتكلَّموا في عيوبِ الناسِ، فأظهرَ الله عيوبَهم، فما زالُوا يُعرَفُون بها إلى أن ماتُوا". وقال إبراهيمُ النَّخعيُّ –رحمه الله–: "إني لأرَى الشيءَ مما يُعابُ، فما يمنَعني أن أتكلَّم فيه إلا مخافةَ أن أُبتلَى بمثلِه".

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولِي هذا، وأستغفرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفِروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله حقًّا وصدقًا، والشكرُ له تعبُّدًا ورقًّا، أكملَ لنا الدينَ وتمَّت كلماتُه صِدقًا وعدلاً، والصلاةُ والسلامُ على المبعُوث بالهدى يقينًا وحقًّا، وعلى الآل والأصحابِ والأتباعِ دائمًا وأبدًا. وبعد .. أمة الإسلام: إن استِشعار سُنَّة أن الجزاء من جنسِ العمل، واستِحضارها في كل المواقِف والأحداث، يمنَحُ العبدَ اليقينَ بعدل الله وحكمته، وأنه القادرُ على كل شيءٍ، الذي لا تخفَى عليه خافِية، ويجعلُ العبدَ يتوقَّعُ الخيرَ من الله، فيُحسِنُ الظنَّ بربِّه، ويرجُو رحمتَه وكرمَه وحُسن ثوابِه، ويشعُر بالطُّمأنينة والرِّضا؛ لأنه يعلمُ علمَ اليقين أنه سوفَ يُجازَى الجزاءَ الأوفَى، فلا ييأَس ولا ييأَس، والله لا يُضيعُ أجرَ من أحسنَ عملاً. ومن جازاه الله الجزاءَ الحسنَ، فلا يغترَّ بذلك ولا يفخَر؛ بل عليه أن يشكُر الله ويسألَه المزيدَ، لكي يستديمَ هذه النعمة، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. ومن جازاه الله جزاءَ السُّوء، فلا يقنَط من رحمةِ الله وعفوِه، وعليه بالتوبةِ والاستِغفار والبُعد عن مساخِطِ الله وغضبِه، فما نزلَ بلاءٌ إلا بذنبٍ، ولا رُفِع إلا بتوبةٍ. وإن قوم يُونس – عليه السلام – لما آمَنوا كشفَ الله عنهم عذابَ الخزيِ في الحياة الدنيا ومتَّعَهم إلى حينٍ. إن سُنَّة الجزاء من جنسِ العمل سُنَّةٌ عامَّةٌ على البشريَّة كلِّها، لا تُحابِي أحدًا، ولا تستثنِي أحدًا، وهي تحُلُّ وتنزِلُ بمن يستحقُّها في الوقت المناسِب في علمِ الله وحِكمته. فقد كان بين دعوةِ مُوسَى – عليه الصلاة والسلام – على فرعون وقومه: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، كان

بين هذه الدعوة وبين استجابةِ الله لها وهلاكِ فرعون وقومه أربعُون سنة، كما ذكرَ ذلك المفسِّرون، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم:٤٢]. وقد يُمهِلُ الله الظالمين المعتَدين، ولكنه لا يُهمِلهم، وقد يفرَحون بقتل الأبرياء وسفكِ دمائِهم، ويظنُّون كلَّ الظنِّ أنهم أفلَتُوا من عقابِ الله، فتفجؤُهم سُنَّةُ الله من حيث لم يحتسِبُوا. أيها المسلمون: إن هذه السنَّة الربَّانيَّة تُربِّي المسلمَ على التسليم المطلَق لله الذي بهرَت حكمتُه العقولَ، وهي تُؤَكِّدُ على أن بنِي آدم كلَّهم لا يُحيطُون به – سبحانه – علمًا، ولا يُدرِكون أسرارَ قضائِه وقدَره وتدبيرِه العجيبِ لأحداثِ الكون ، فقد يعترِضُ بعضُ بني آدم ويسخَطون، وقد يشُكُّون حينما يرَون بعضَ أقدار الله وكيف يرفعُ الله أقوامًا ويضعُ آخرين، ويفتحُ أبوابًا ويُغلِقُ أخرى، ويُعطِي ويمنَع، ويبتلِي ويُعافِي، ويُغنِي ويُفقِر، ويُكرِمُ ويُهين، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، وأنَّى لابنِ آدم أن يُدرِك حكمةَ الله وعلمَه؟!

فيا ابنَ آدم! إنك إن أسلمتَ قلبَك لله، وسلَّمتَ لأمر، ورضيتَ بما قسمَ الله لك، واشتغلتَ بما فرضَ الله عليك، وتركتَ ما لا يعنِيك؛ أرحتَ قلبَك وسعِدتَّ في حياتِك، وكنتَ عند ربِّك محمُودًا. وإن لم ترضَ بما قسمَ الله لك، وضيَّعتَ ما فرضَ الله عليك، واشتغلتَ بما لا يعنِيك؛ أحاطَت بك الهُمومُ والغُمومُ، وأعرضَ الله عنك، ثم لا يكونُ لك من الدنيا إلا ما قسمَه الله لك، وكنت عند ربِّك مذمُومًا، فالجزاءُ من جنسِ العمل، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. يا ابن آدم إن بينَك وبين الله خطايا وذنوبًا، وبينَك وبين الناسِ هفَواتٍ وهَنَاتٍ، فإن أحببتَ أن يغفرَ الله لك ويتجاوَز عنك، فأقبِل على الله وتُب إليه، وتجاوَز عن عبادِه وسامِحهم، فالجزاءُ من جنسِ العمل، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

يا ابنَ آدم! إنك مهما ظلمتَ واستكبرتَ وعلَوتَ، واعتديتَ وآذيتَ، فلن تُفلِتَ من العدالة الإلهيَّة، وإن ربَّك لبالمرصاد، إذا أخذَ الظالمَ لم يُفلِتْه، فالجزاءُ من جنسِ العمل، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

يا ابنَ آدم! إن أنت بررتَ والدَيك، ووصلتَ رحِمَك، ورحمتَ أهلَكَ وعيالَك، وأحسنتَ للناس كافَّة؛ وجدتَّ حلاوةَ ذلك وثوابَه، ورأيتَ بعينيك جزاءَ صنيعِك وإحسانِك، وإن أبيتَ إلا العقوقَ والبغيَ والقطيعَة، وأذَى الناس بالحسَد والحقد والخُصومة، فاعلَم أن الجزاءَ من جنسِ العمل، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

يا ابنَ آدم! من أطابَ مطعمَه استجابَ الله دعوتَه، ومن عزمَ على ترك الذنوبِ ذاقَ حلاوةَ الإيمان وأتَتْه الفتوحُ، ومن أصلحَ سريرتَه أصلحَ الله علانيتَه، ومن أصلحَ ما بينَه وبين الله، أصلحَ الله ما بينَه وبين الناس، ومن تركَ شيئًا لله عوَّضَه الله خيرًا منه، ولم يجِد حسرةَ فقدِه، فالجزاءُ من جنسِ العمل، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

يا ابنَ آدم! إنما هي أعمالٌ يُحصِيها الله ويكتبُها، وسوف تقرؤُها في صحيفَة أعمالِك يوم تلقَّاه؛ فمن وجدَ خيرًا فليحمَد الله، ومن وجدَ غيرَ ذلك فلا يلُومنَّ إلا نفسَه، فالجزاءُ من جنسِ العمل،

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشرية وهادِيها وسِراجها المنير، فإن الله - عز وجل - قد أمرَنا بالصلاة والسلام عليه؛ حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة الثامنة ٣ شوال ١٤٣٧هـ

بعنوان: ما بعد رمضان

الخطبة الأولى :

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفُسنا وسيئات أعمالِنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبِهِ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد: فاتَّقوا الله – عباد الله – وراقِبُوه، واعلَموا أن تقوَى الله أكبرُ وأجلُّ أسباب النصر والتمكين والتوفيقِ الإلهيِّ، وما سبقَ مَن سبَق، ولا ارتفَعَ من ارتفَعَ، ولا عزَّ من عزَّ إلا بما وقَرَ في القلوبِ ورسَخ؛ من تعظيم الله وإجلالِهِ وتقواه، وسلامة الصُّدور وسخَاوَة الأنفُس، ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

أمة الإسلام: ها نحن قد فارَقنا عن قريبٍ أيامًا من أعظمِ أيام الله المشهُودة، وشهرًا هو خيرُ شهور السنة، وقد كنا من قبلُ نُهيِّئُ النفوسَ لاستِقبالِه والإعدادِ له، ثم في سرعةٍ عجيبة انقضَت أيامُه ولياليه المبارَكة بما حمَّلنَاها من أعمالٍ، خُتِم عليها فلا تُفتَحُ صحائِفُها إلا بين يدَي العليمِ الخبيرِ يوم العَرضِ الأكبرِ عليه –سبحانه–. فمن وجدَ خيرًا فليحمَد الله، وهنيئًا له القبولَ والرِّضا، والدخولَ من بابِ الريَّان إلى جناتِ النعيم؛ حيث يُوفَّى الصائِمون الصابِرون أجرَهم بغير حسابٍ، ومن وجدَ غيرَ ذلك فلا يلُومنَّ إلا نفسَه، ولا يُعاتِبُ إلا ذاتَه، فالله تعالى قد بلَّغَه الشهرَ المبارَك، وفتحَ له فيه أبوابَ رحمتِه وفضلِه، ولكنه أبَى واستحبَّ العمَى على الهُدى، وكلُّكم يدخلُ الجنةَ إلا من أبَى.

عباد الله: إن من أهم الأمور عند المسلم بعد انتِهائِه من العبادات والأعمال: أن يتقبَّلها الله منه، فتراه يعملُ ويتقرَّبُ إلى الله بصدقٍ وإخلاصٍ، لا رياءَ ولا سُمعةً، ولا حُبًّا في مدحٍ أو ثناءٍ، ثم هو يخافُ ألا يتقبَّلَ الله منه؛ لأن الله طيبٌ لا يقبلُ إلا طيبًا، والله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧]،

يعني: الذين اتَّقَوا الله في ذلك العمل، وعمِلُوه بإخلاصٍ وصدقٍ، على وفق السنة، وهم مع ذلك في خوفٍ وإشفاقٍ ألا يقبلَه الله منهم. ولذلك كان من وصفِ عبادِ الله المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾ وقد سألَت عائشةُ – رضي الله عنها – النبيَّ ﷺ عن هذه الآية: من هم أهلُها؟ أهمُ الذين يشرَبون الخمرَ ويسرِقون ويزنُون؟ فقال – عليه الصلاة والسلام –: «**لا يا ابنةَ الصدِّيق، ولكنَّهم الذين يُصلُّون ويصُومون ويتصدَّقون، ويخافُون ألا يُقبَل منهم**» أخرجه أحمد والترمذي.

وقال الحسنُ البصريُّ - رحمه الله -: "يعمَلون ما عمِلوا من أعمال البرِّ، وهم يخافُون ألا يُنجِّيَهم ذلك من عذابِ ربِّهم، إن المؤمن جمعَ إحسانًا وخشية، وإن المنافِقَ جمعَ إساءةً وأمنًا". إن المسلم الصادقَ يمشِي في دُروبِ الحياة سائرًا إلى الله على جناحَي الرجاء والأمل، والخوفِ والحذَر، فيعملُ الصالحات، ويرجُو من الله القَبول، ويأمَلُ في رحمةِ أرحم الراحِمين وكرمِه، وهو مع ذلك يخشَى عذابَ الله وسخَطَه، ويخافُ من تقلُّب الأحوال، وفُجاءَة النِّقَم، وزوالِ النّعَم، وأن يحُولَ الله بينَه وبين قلبِه فلا يقبَلُ منه أعمالَه. ورُبَّ صائمٍ ليس له من صيامِه إلا الجُوعُ والعطَش، ورُبَّ قائمٍ وقارِئٍ للقُرآن ليس له إلا التعبُ والسهر، ورُبَّ مُلبٍّ يُقال له: لا لبَّيكَ ولا سعدَيك. فقبولُ الأعمال عند الله ورِضاه عنها، وإثابتُها عليها هو أُمنيةُ الصالحِين، وبُغيةُ العابِدين، وسلوَة السائرين إلى الله - سبحانه -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

أيها المسلمون: إن من أخطَر الآفات التي تعترِضُ المسلمَ في سَيرِه إلى الله: أن يُصابَ بداءِ الفُتور والكسَل، ويُبتلَى بآفَة الخُمول والانقِطاعِ عن العمل، وقد نعَى الله - سبحانه - على قومٍ أنهم لا يأتون الصلاةَ إلا وهم كُسالَى، ولا يُنفِقُون إلا وهم كارِهون. فكيف بمن تفتُرُ همَّتُه عن العبادة وينقطِعُ عنها؟! وحذَّرَنا - سبحانه وتعالى - من حالَة أولئك الذين يُشيدُون بُنيانَ أعمالهم، ويتقرَّبُون إلى الله، ثم ينقطِعون وينقُضُون بُنيانَهم، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾.

وفي "الصحيحين": أن النبي ﷺ قال لعبدِالله بن عمرو بن العاصِ - رضي الله عنهما -: «يا عبدَ الله! لا تكُن مثلَ فُلان، كان يقومُ من الليل، فترَكَ قيامَ الليل». وأخرجَ البيهقيُّ في "شُعب الإيمان" بسَنَدٍ صحيحٍ، عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إن لكل عملٍ شِرَّة» - يعني: اجتِهاد ونشاط -، «ولكل شِرَّةٍ فَترة؛ فمن كانت فَترتُه إلى سُنَّتي فقد اهتدَى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلَك». وثبَتَ عند الترمذي أن النبي ﷺ قال: «إن لكل شيءٍ شِرَّة، ولكل شِرَّةٍ فَترَة؛ فإن صاحِبُها سدَّد وقارَبَ فارجُوه، وإن أُشيرَ إليه بالأصابعِ فلا تعُدُّوه».

إن الفُتورَ والانقِطاعَ يُصيبُ العابِدين والعامِلين أثناءَ العمل والعبادة وبعدَها، وهو اختِبارٌ من الله، وابتِلاءٌ لعبادِه، حتى يعلمَ الصادقَ المحبَّ من غيرِه، ويتبيَّن من يعبُدُ الله على حرفٍ؛ فإن أصابَه خيرٌ اطمأنَّ به، وإن أصابَته فتنةٌ انقلَبَ على وجهِه. والسعيدُ الموفَّق هو من يكونُ فُتورُه عارِضًا مُؤقَّتًا، وهو في أثناءِ ذلك مُقيمٌ على السنةِ والطاعةِ

والاتباعِ، يُسدِّدُ ويُقارِبُ، ويُعالِجُ نفسَه بحكمةٍ وبصيرةٍ، حتى يعودَ مرةً أخرى إلى العمل والطاعاتِ والقُرُباتِ بانشِراحِ صدرٍ، وقوةٍ وثباتٍ. هذا هو الصادقُ مع الله الذي علِمَ الله إخلاصَه وصدقَه، فوفَّقَه وثبَّتَه، ولم تزِلَّ قدَمُه في وقتِ فُتوره، ولم تتبدَّل مفاهِيمُه وتتغيَّر علاقتُه بربِّه، ولم تسُؤ ظنُونُه بربِّه - سبحانه -. وأما الهالِكُ حقًّا فهو الذي كان فُتورُه وانقِطاعُه عن العبادة والعمل بوابةً نفَذَ منها إلى التخفُّف من الواجِبات والفرائِض، والتساهُل في المحرَّمات، قد نقَضَ ما بناه، وانهدَمَ عُراه، وتفسَّخَت عزائِمُه، واعتوَرَته شياطينُ الإنس والجنِّ، واتبَعَ هواه، فمالَت به الدنيا ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال، فإما أن يقَعَ في بدعةٍ أو تبديلٍ وتحريفٍ، أو غلُوٍّ وتطرُّفٍ، أو تفريطٍ وتساهُل. وقد قصَّ الله - سبحانه وتعالى - علينا موقفَ عالِمٍ بني إسرائيل، الذي آتاه الله علمًا بآياتِه، ثم بهَرَته مباهِجُ الدنيا وزينتُها، فاتَّبَع هواه وأخلَدَ إلى الأرض، وفترَت همَّتُه عن الحقّ، وخرجَ عن سَمتِ العلماء ووقَارِهم، وانسَلَخَ من آياتِ الله، فوقَعَ في التحريفِ والتبديلِ والغِواية، ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

عباد الله: إن المسلم حقًّا من تكونُ تقوَى الله شِعارَه طِيلَة عُمره، ودِثارَه مُدَّة حياته، ويكونُ عملُه بالطاعات واجتِنابُه المعاصِي والخطيئَات ديدَنًا له ومنهَجًا وسُلوكًا، يغتنِمُ الأوقاتِ والمواسِمَ الفاضلةَ في التعبُّد والتقرُّب، ويُعوِّدُ نفسَه الخيرات حتى تُصبِحَ له عادةً حميدةً، وخُلُقًا وسجِيَّة، فإذا انقضَت مواسِمُ الخير لم تجِده بعدَها غافلاً لاهِيًا، أو ناقِضًا عزمَ الجِدِّ والاجتِهاد ساهِيًا. فاللهُ تعالى لم يجعَل لانتِهاء وقتِ العبادة والتقرُّب إليه أجلاً دون الموتِ، كما قال - عز وجل -: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: ٩٩]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولِي هذا، وأستغفرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفِروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله العليِّ الأعلَى، الذي أنزلَ الكتابَ على عبدِه ولم يجعَل له عِوَجًا، والصلاةُ والسلامُ على المبعُوث بالرحمةِ والهدى الأسنَى، وعلى الصحابةِ الكرامِ أُولِي الفضائلِ والمكارمِ والنُّهَى، والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبَت الشهورُ والسُّنون إلى يوم القيامة الكُبرى. أما بعد..

فيا أيها المسلمون: إن من أشنَع الفُجور، وأكبَر الكبائِر عند الله: أن يتورَّط المرءُ عن عمدٍ وإصرارٍ في سَفكِ دماءٍ طاهرةٍ بريئةٍ، وأنفُسٍ معصُومة، وينتهِكَ حُرمةَ الزمان والمكان، بتفجيرٍ وتخريبٍ مُتعمَّد، يُرادُ منه إهلاكُ الحَرثِ والنَّسل، وإحداثُ الفوضَى والعبَثُ بالأمن، وزعزَعةُ الاستِقرار لتحقيق مآرِب سيئة، ومقاصِدَ خبيثة، وأهدافٍ تخريبيَّة. يقِفُ من وراء ذلك كلِّه عِصاباتٌ مُجرِمة، وتنظيماتٌ إرهابيةٌ طائِفيَّة، وأعداءٌ حاقِدون، اتَّخَذوا من أغرارٍ جهَلَةٍ سُفهاءِ الأحلام، حُدثاءِ الأسنان أدواتٍ ووقودًا لإشعالِ حريقِ الطائفيَّة، والخرابِ والفوضَى، وعدمِ الاستِقرار في بلاد المسلمين، وفي مُقدِّمتها حاميةُ الحرمين الشريفين: المملكةُ العربية السعودية. إن ما حدَثَ في هذه البلادِ المبارَكة – حرسَها الله – خلال أيام رمضان المبارَك وفي آخره على وجه التحديد، من تفجيرٍ وسَفكٍ للدماء، وترويعٍ للآمِنين، حتى وصلَ الأمرُ إلى حرَمِ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – لهُو فاجِعةٌ بكل المقاييس لكل مُسلمٍ غَيورٍ مُحبٍّ للحرمَين الشريفَين، وداهِيةٌ مُحزِنةٌ مُؤلِمةٌ، ومُحيِّرةٌ مُقلِقة في آنٍ واحدٍ. مُحزِنةٌ ومُؤلِمةٌ لأنها حصلَت في بلاد الحرمَين، مأرِز الإيمان ومهبِط الوحي. وقد راحَ ضحيَّتَها مُسلِمون أبرِياء، ورجالُ أمنٍ أوفِياء – نحسبُهم شُهداء عند الله، رحمةُ الله عليهم جميعًا –، وكادَت أن تصِلَ إلى مسجدِ رسولِ الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، لولا عنايةُ الله ثم جُهود رِجال الأمن – قوَّاهم الله –. وهي كذلك مُحيِّرةٌ ومُقلِقة؛ لأن كل العُقلاء يتساءَلون: من أين أتى هؤلاء المعتَدون الجهلَة، الذين لا يرقُبُون في مُؤمنٍ إلاًّ ولا ذِمَّة، وانتهَكُوا الحُرُمات والمقدَّسات والأزمِنة الشريفة، وكيف وصَلُوا إلى هذه المرحَلة الخطيرَة من الاستِخفافِ بالدمِ والحُرُمات،

حتى استرخَصُوا سفكَ دماء الوالدَين والأقرِباء والأبرِياء، في انتِهاكٍ صارخٍ لحُرمةِ الزمانِ والمكانِ المقدَّسَين. أمة الإسلام: إن هذه الظاهِرة غريبةٌ كلَّ الغرابَة عن مُجتمعاتِ المسلمين، وعن بلادِ الحرمَين على وجه الخُصوص، تلك البلادُ المبارَكة التي عاشَت وما تزالُ – بحمدِ الله – في ظلِّ منهَج الاعتِدال والوسطيَّة وسماحَة الإسلام، حُكَّامًا ومحكُومين. مما يُؤكِّدُ تأكيدًا بالِغًا على أن هذه الظاهِرة تقومُ على أفكارٍ ضالَّةٍ مُتطرِّفة، وتصوُّراتٍ مُنحرِفة، بعيدةٍ كل البُعد عن مُجتمعِنا المسلم، يتولَّى نشرَها وبثَّها أعداءٌ حاقِدون هم في الحقيقةِ حامِلُو لواءِ الفساد والإفساد والإجرام،

والطائفية والإرهاب، وزعزَعة الأمن والاستِقرار، في مُحاولةٍ يائِسَةٍ بائِسَةٍ لتشويهِ وإفسادِ ما تنعَمُ به بلادُنا من أمنٍ وأمانٍ، وصحَّةِ عقيدةٍ ومنهَج، وخدمةٍ ورعايةٍ للحرمَين. هذه حقيقةٌ - يا عباد الله -، هذه حقيقةٌ يجبُ أن يعِيَها المسلمون في كل مكانٍ، وهي تستدعِي منَّا أن نقِفَ بحزمٍ وعزمٍ ضدَّ هذه الظاهِرة المؤلِمة المحزِنة، وذلك من خلال التكاتُفِ والترابُطِ ووحدةِ الصفِّ والكلِمة، ونبذِ النِّزاعاتِ والخلافاتِ الجُزئيَّة، والتراشُقِ بالتحزُّباتِ والتصنيفاتِ المقِيتَة، وأن يتداعَى كل من له قُدرة على التأثير والإصلاح والتوجيهِ، من العُلماء، والمفكِّرين، والسياسيين، ورجال الثقافة والإعلام الفضائيِّ، والتواصُل الاجتماعيِّ إلى تحصينِ المجتمع وأبنائِه، وفَضحِ هذه الشُّبُهات والأفكار والتحذير منها، والوقوفِ مع وُلاة الأمر، وأن يكون الجميعُ على قَدرٍ عالٍ من الوعي والمسؤوليَّة، وفهمِ خُطورة المرحَلة. فكل واحدٍ منا - يا عباد الله -، كل واحدٍ منا على ثَغرٍ عظيمٍ في حِراسَة الحرمَين الشريفَين، وكل واحدٍ منا له دورٌ واجِبٌ عليه أن يُؤدِّيَه. أمة الإسلام: إن الدفاعَ عن بلاد الحرمَين ومُقدَّسات المسلمين وعقيدتِهم ودينِهم لهُو من مقامات الجهادِ العليَّة على الحقيقة، ومن أوجَبِ الواجبات المرعيَّة، وأجلِّ القُرُبات الشرعيَّة. ألا فلتخسَأْ قُوى الشرِّ الحاسِدة الحاقِدة، التي تسعَى لزعزَعَة الأمن والفوضَى والفسادِ والإفساد، ألا فليموتوا بغيظِهم وحقدِهم الدَّفين الموروُث. فوالله الذي لا إله غيرُه؛ إن دينَ الله منصُور، وبلادَ الحرمَين محفُوظةٌ بحفظِ الله ورعايتِه، والحرَمان الشريفَان ومُقدَّساتُ المسلمين وحُرماتُهم بأيدٍ أمينةٍ حازِمة، ستضرِبُ بقوةٍ وعزمٍ وبلا هوَادَة، وستقطعُ كلَّ يدٍ تسعَى للتخريبِ والفوضَى، وانتِهاكِ حُرُمات المسلمين ومُقدَّساتهم، ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣٣].

ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشرية وهادِيها وسِراجها المنِير، فإن الله - عز وجل - قد أمرَنا بالصلاة والسلام عليه؛ حيث قال في مُحكَم تنزيلِه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦]

الخطبة التاسعة ٩ ذو القعدة ١٤٣٧هـ

بعنوان: عِظم خلق الملائكة عليهم السلام

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، وسيئاتِ أعمالِنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحْدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدّين. أما بعد: فاتَّقوا الله – عبادَ الله –، واعْلَموا أن هذه الدنيا في حقيقتِها سفرٌ إلى الله، ومراحلُ تُطوَى إلى يومِ القرارِ والمعاد، والسعيدُ الموفَّقُ هو الذي جعل الدنيا جِسرًا إلى الآخِرة، ولم يتَّخِذها وطنًا وقرارًا؛ بل هو فيها كأنه غريبٌ أو عابرُ سبيل، أو كأنه نامَ تحت ظِلّ شجرةٍ ثم راحَ وتركَها، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

أيها المسلمون: إن الله تعالى عظيمٌ جليلٌ، له في كلِّ شيءٍ آيةٌ تدلُّ على أنه الواحِدُ القهَّار، القادرُ العظيم، الذي أتقَنَ كل شيءٍ خلقَه، وأبدَع كلَّ شيءٍ صَنَعَه، ولا تحيطُ بقدرتِهِ العجيبةِ العقولُ ولا الأفْهام، ولا تُدرِكُ عظمَتَه خيالاتُ النفوسِ ولا الأوْهَام.

وإنّ من أعظم العوالِمِ والخوالِقِ التي تتجلَّى فيها قدرةُ الربِّ – سبحانه – وعظمتُه: عالمَ الملائكةِ الأخْيار، المصطَفَيْن الأطْهار، الذين هُم أثرٌ من آثارِ عظمةِ الله وجلالِه وقُدرته، ولذلك جعَلَ – سبحانه وتعالى – الإيمانَ بهم، ومعرفتَهم، والتصديقَ بوجودِهِم وأعمالِهِم رُكنًا عظيمًا من أركانِ الإيمان، التي لا يقبلُ اللهُ صرفًا ولا عدلاً إذا لم يأتِ بها كلَّها، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

إن الحديثَ عن الملائكة بشيءٍ من التفصيلِ، من خلالِ النصوصِ الشرعيةِ الثابتةِ الكثيرة، لهو مما يزيدُ الإيمانَ ويُقوِّيه، ويُرسِّخُ اليقينَ في القلوب، فتفرحُ بربِّها – سبحانه –، وتمتَلئُ تعظيمًا له وإجلالاً، ويعلمُ الإنسانُ مِقدارَ ضعفهِ وعجزِه، وأن هناك من هو أعظمُ منه خَلقًا وقُدرةً وقوَّةً.

إن الملائكة عالَمٌ عظيمُ الشأن من عوالِمِ هذا الكونِ الفسيح، عالَمٌ كلُّهُ طُهرٌ ونقاءٌ وصَفاءٌ، خَلقهَم اللهُ من نُور، كما في "صحيحِ مسلم"، وهم من أقدَمِ وأعظمِ خلقِ الله، أعطاَهم الله القُدرة العظيمةَ على التّشَكُّلِ بأشكالٍ مُختلفة، وخلَقَ لهم أجنحةً مثنَى وثُلاثَ ورُباعَ وأكثر من ذلك، وهم لا يأكُلون ولا يشرَبون ولا يتناسَلُون،

قد وهَبَهم الله – سبحانه – القوّة والقدرة والسرعةَ العجيبةَ التي يستطيعون بها تنفيذَ أوامرِ الله، وهم ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. خلَقَهم الله – سبحانه – خِلقةً باهرةَ العظمةِ والجمال والبَهاء، وهذا أمرٌ مُتقرِّرٌ في فِطَرِ النَّاس، كما وصَفَت النساءُ جمالَ يوُسُفَ – عليه وعلى نبيّنا أفضلُ الصلاة والسلام – حين قُلنَ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وهذا جبريلُ – عليه السلام – رآهُ النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – مرَّتَين على خِلقَتِه التي خلَقَه اللهُ عليها، مرةً رآه وقد سَدَّ الأفُق، ومرةً رآه وله ستمائة جَناح، يَسقطُ منها التّهاويلُ من الدرِّ والياقُوت. وقد أذِنَ الله لنبيه – صلى الله عليه وآله وسلم – أن يُحَدِّث الناس عن مَلكٍ من حَمَلة العَرش، رِجلاه في الأرضِ السُّفلى، وعلى قَرنِه العرش، ما بين شَحمةِ أذُنه وعاتِقِه خَفَقَان الطيرِ سبعمائة سنة، يقولُ ذلك المِلَك: "سبحانك حيثُ كُنتَ، سبحانك حيثُ كُنت". فلا إلهَ إلا الله، لا إلهَ إلا الله، ما أجلَّ الله، وأعظِم به – سُبحانه –. أيها المسلمون:

الملائكةُ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، وسَفَرَةٌ كرامٌ برَرَة، يعبُدُون الله عِبادةً عظيمةً، فهم لا يفتُرُون عن تسبيحِ الله وتحميدِه بالليلِ والنهار، ولا يستحسِرُون ولا يسأَمُون، ولَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ، وهم من خشيتِهِ وإجلالِهِ مُشْفِقُون خائِفُون، أعظمُهم قَدرًا ومكانةً عند الله: جبريلُ – عليه السلام –، فهو الرّوحُ الموكَّلُ بالوحيِ الذي به حياةُ القلوب، ومِيكائيلُ الموكَّلُ بالقَطرِ والغيثِ الذي به حياةُ الأرضِ والأبدان، وإسرافيلُ الموكَّلُ بنفخِ الصُّور الذي به حياةُ الناسِ وبعثُهم من قبورِهم، وإسرافيلُ قد التَقَمَ القَرنَ، وحنَى جبهَتَه، وأصغَى سمعَه، ينتظِرُ متى يُؤمَرُ بالنّفخِ، كما ثبَتَ في الحديث. والملائكةُ يصُفُّون بين يدَي ربهم – سبحانه – في السماء، ويتراصُّون في الصفوف في تمامٍ ونظامٍ، وما من موضعٍ في السَّماء إلا وفيه مَلكٌ ساجدٌ أو قَائِمٌ، وهذا يدلُّ على كثرةِ عددهم كثرةً لا يُحصِيها إلا الله، كما ثبَتَ أنه يدخُلُ البيتَ المعمورَ في السماءِ السابعة كل يومٍ سبعون ألفَ مَلَك، ثم لا يعودون إليه مرةً أُخرَى، ويُؤتَى بجهنم يومَ القيامة ولها سَبعون ألفَ زِمام، مع كل زِمامٍ سَبعون ألفَ مَلَكٍ يجُرُّونها، فكم يكونُ عددُ المَلَائكة إذًا؟!

فلا إله إلا الله، لا إله إلا الله، ما أعظمَ الله، وأنعِم به من إلهٍ عظيمٍ قديرٍ.

أيها المسلمون: هؤلاءُ الملائكةُ الكرامُ كلَّفَهم الله – سبحانه – بأعمالٍ ووظائف كثيرةٍ ومتنوعةٍ في هذا الكون الهائِل؛ فهناك ملائكةٌ لحملِ عرشِ الرحمنِ –سُبحانه–، الذي هو أكبرُ المخلوقات، وملائكةٌ لحفظِ نظامِ الكَون وتدبيرِه، وسَيرِ أفلاكِه، وحراسةِ السماءِ وحفظها من كل شيطانٍ مارد، وهناك المدبِّراتُ والمقسماتُ أمرا، وهناك

ملائكةٌ للسَّحابِ والقَطْرِ والرياح، وملائكةٌ للرحمةِ، وملائكةٌ للعذابِ. وقد بيّن لنا ذلك ربُّنا – سبحانه – في صدر سورة الصَّافات والذَاريات والمرسلات والنَّازِعات وغيرها كثير.

وقد كُلِّفَت الملائكةُ الكرام بوظائفَ عامَّةٍ تتعلَّقُ بالبشرِ جميعًا، ووظائفَ أُخرى تتعلَّقُ بالمؤمنين خاصَّة، فهمُ الذين غسّلوا آدم – عليه السلام – بالماء وِترًا بعد مَوتِه، وكفَّنوه، وألحَدُوه في قبرِه، تعليمًا لأبنائِه، وهم الذين يقومُون على خلقِ البشر بأمرٍ من اللهِ – سبحانه –، فإذا مرَّت على النُّطفةِ والعَلَقةِ والمضغَةِ المدةُ المعروفةُ، بَعَثَ الله إليها مَلَكًا، فصَوَّرها وشقَّ سمعَهَا وبصَرَها، ثم يَسألُ الله تعالى: أذكرًا يكونُ أم أُنثى؟ أسعيدٌ هو أم شقيٌّ؟ وعن رزقِه وأجلِه، ثم يكتُبُ ذلك، ثم ينفُخُ فيه الروح، ثم هي بعد ذلك تكتُبُ أعمالَ الإنسان كُلَّهَا في حياته، وترصُدُ عليه ألفاظَه، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾ [الانفطار: ١٠- ١٢]. والملائكةُ تَحرُسُ الإنسان، مُسلمًا كان أو كافرًا، تحرُسُه من القَدَرِ الذي ليس له، ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[الرعد: ١١].

قال مُجاهدٌ – رحمه الله –: "ما مِنْ عبدٍ إلا له مَلكٌ مُوَكَّلٌ بحفظِه في نومه ويقَظَته من الجنّ والإنسِ والهوَامّ". أمة الإسلام: إن للملائكةِ علاقةً خاصَّةً بالمؤمنين دون سائر البشر، فهي دائمًا تستغفِرُ للمؤمنين وتشفَعُ لهم عند ربِّهِم، وتستغفِرُ لطالبِ العلم وتضعُ له أجنحَتَها رضًا بما يصْنَع، وتُصلِّي على مُعلِّم الناسِ الخير، وعلى أصحاب الصفِّ الأوَّل، وعلى الذينَ يَصِلُون الصفوفَ، وإذا دعا المؤمنُ أمَّنَت الملائكةُ على دُعائِه وقالت له: "ولك بمِثل"، وإذا أحبَّ الله عبدًا أحبَّه جبريل، ثم تُحبُّه الملائكةُ، ثم يُوضَع له القَبُولُ والحبُّ في الأرض، ويُرسِلُ الله ملائكتَه إلى عبدِهِ المؤمن، فتُحرِّكُ فيه بواعثَ الخير، وتكونُ معه في غالِبِ أحوالِه، تُدافِعُ عنه، وتُؤيِّدُه بالحقِّ، وتُسدِّدُه في قوله وفعله، وتقذِفُ في قلبِه الحكمةَ، وتُشجِّعُه على فعلِ الخيرات والثباتِ عليها. أما المنافِقُ والفاجِرُ، فالله – سبحانه – يُرسِلُ عليه الشياطينَ تؤزُّه أزًّا، وتقذِفُ في قلبه الشكُوكَ والعقائدَ الفاسِدَة، وتُحرِّكُ فيه بواعثَ الشرّ والباطلِ، كما أخبر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – أن للمَلَك لَمَّةً بقلبِ ابن آدم، وللشيطان لَمَّة. وقد قال عليٌّ – رضي الله عنه –: "كنا نتحدَّثُ أن السَّكينة تنطِقُ على لسانِ عُمرَ وقلبِه". والملائكةُ تأتي المؤمِنَ في ساعةِ الاحتِضار، تُبَشِّرُه بالجنةِ والرِّضوان، وتُثبِّتُه، ثُم تقبِضُ روحَه بكل سُهولةٍ ورحمةٍ، فيأخذها ملَكُ الموت ويصعَدُ بها إلى السماء، ولها رائحةٌ طيبةٌ زَكِيَّةٌ، تُفَتَّحُ لها الأبواب. والملائكةُ تشهدُ جنائزَ الصالحين المؤمنين، كما شهِدَ سبعون ألف مَلكٍ جنازةَ سعد بن معاذ – رضي الله عنه –، وثبَتَ أنها غسَّلَت حنظلةَ بن عامر – رضي الله عنه – الذي استُشهِدَ في معركةِ أُحُد، وكانت

عليه جَنابَة. ولله ملائكةٌ سيَّاحُون، يشهَدُون مجالسَ الذكرِ والعلمِ في المساجدِ وغيرِها، وتَحُفُّ الحاضرينَ بأجنحتها، وهي تدعُو وتستغفِرُ للمُصلِّي ما دام في مُصلاَّه ما لم يُحدِث، وتقِفُ على أبوابِ المساجِدِ يوم الجُمُعة، تكتُبُ أسماءَ الداخِلِين على ترتيبِ دُخُولهم، فإذا خرجَ الإمام طوَوا صُحُفَهم، وجلَسُوا يستمِعُون الذكرَ. والملائكةُ تُحبُّ سماعَ القرآن، وقد تنزِلُ إلى الأرض إذا سمِعُوا قارِئًا حسنَ الأداء، كما حصَلَ لأُسَيد بن حُضَير – رضي الله عنه.

وقد جعَلَ الله عند رأس النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في قبره مَلَكًا، يُبلِّغُه عن أمَّته الصلاةَ والسَّلام، يقولُ الملَكُ: "هذا فُلانُ بن فُلانٍ يُسلِّمُ عليك". ولله ملائكةٌ يتعاقَبُون فينا عند صلاة الفجر وعند صلاة العصر، يرفَعُون إلى الله أعمالَ العباد، في هذَين الوقتَين.

والملائكةُ تحمِي مكَّة والمدِينةَ من الطاعون، وتحرُسُهما من الدَّجال في آخرِ الزمان، وهي باسِطةٌ أجنِحَتها على الشام، وتُؤيِّدُ المؤمنينَ وتُثبِّتُهم في حروبهم مع أعدائِهم، وقد تُقاتِلُ معهُم، كما حَصلَ في بدرٍ وأُحُد وحُنَينٍ وغيرها، وتبُثُّ الرُعبَ والتّخْذيلَ في قلوبِ المجرمين والطغاةِ والظالمين، وتتولَّى إهلاكَهم، وإنزالَ العقوبات بهم، كما طمَسَ جبريلُ – عليه السلام – أعيُنَ قومِ لوُط، ثم رفَعَ قُراهم بجناحِه، ثم قلَبَها عليهم، وأُتبِعُوا لعنةَ الله وغضَبَه، و﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفَعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولِي هذا، وأستغفِرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفِرُوه؛ إنه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله، الحمدُ لله العظيم في خلقَه وملَكُوته، القاهرِ فوق عبادِه بعزَّتِه وقوَّتِه وجبَرُوته، نحمدُه – سبحانه – ونشكُرُه، ونُثنِي عليه ونُمَجِّدُه، ونُصلِّي ونُسلِّم على سيِّدِ الأنبياء والمرسَلين، وعلى آله الطيبين وصَحابته الأكْرَمين، والتابِعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين. وبعد .. أيها المسلمون:

إن الإيمانَ بالملائكةِ من أُصولِ الدينِ العِظام، ومُحكَمات الشريعةِ وأُسُسها الكبار، التي دلَّت عليها النصوصُ المتكاثِرة، ومنها حديثُ جبريلَ – عليه السلام –، حديثُ جبريلَ العظيم حينما دَخَل على النبي– صلى الله عليه وآلِه وسلم – في أُخرَيَاتِ حياتِه، فقرَّر عقائدَ الدِّين وأصولَ المِلَّة، وعلَّمَ النّاسَ أمورَ دينهم. إنّ الإيمانَ بالملائكةِ الكِرام

من أُصولِ الدينِ التي يجِبُ على الناسِ تعلُّمُها، لما في ذلك من زيادةِ الإيمانِ وتقوِيَتِه، وثباتِ العبدِ في هذهِ الحياة، حينما يُؤمِنُ بالملائكة وبأعمالِهم، ويشعرُ أنهم معه، تُؤيِّدُه وتنصرُه وتُثبِّتُه وتُدافِعُ عنه. ولذلك، فإن الواجبَ على المؤمنِ أن يتعلَّمَ هذا الأصلَ العظيمَ، ويحرِصَ على إجلالِ ملائكةِ الله الكرَام، وإكرامهم واستِحيَائهم واستجلابِهم، وأن يبتعِدَ ويحذَرَ كلَّ الحَذَرَ من الأعمالِ والوسائل التي تُؤذِيهم وتُبعِدُهم وتُنفِّرهم، فيفُوتُه بذلك من الحفظِ والعنايةِ والخيراتِ والبركةِ ما لا يُحصَى.

وقد ثبَتَ في النصوص أن الملائكةَ الكرامَ تتأذَّى مما يتأذَّى منه بنُو آدم، من الروائحِ الكريهة والقَذَرِ والنجَس، وأنها تَلعَنُ من يرفعُ حديدةً أو سلاحًا في وجه أخيه المسلم بغير وجهِ حقٍّ، وتلعَنُ المرأةَ التي لا تستجِيبُ لزوجِها من غير عُذرٍ، وتلعَنُ الذي أحدَثَ حَدَثًا أو آوَى مُحدِثًا، أو سبَّ الصحابةَ - رضي الله عنهم -، كما ثبَتَ بذلك الحديث. وتلعَنُ من انتَسَبَ إلى غيرِ أبيه، أو تولَّى غيرَ مواليه رغبةً عنهم، وثبَتَ أيضًا أن الملائكةَ لا تقرَبُ جِيفَةَ الْكَافِرِ، ولا الْمُتَضَمِّخُ بِالْخَلُوقِ والزَّعفَران، ولا تقرَبُ السَّكران، ولا الذي عليه جَنابةٌ ولم يَغتسِل منها إلا أن يتوضَّأ، وهي لا تقرَبُ البيتَ الذي يهجُرُ أهلُهُ القرآنَ والذكرَ، ويستبدِلُون بذلك المنكراتِ ومعاصي اللهو، والمعازِف ومزامير الشيطان. وهي لا تدخلُ البيتَ الذي فيه كلابٌ، أو تصاويرَ وتماثيلُ مُعَظَّمة، وغير من ذلك من الأعمال التي تُؤذِي الملائكةَ وتُنفِّرُهم وتُبعِدُهم عن العبدِ.

أيّها المسلمون: وإن من العَجَب أن بعض الناسِ يَشْتكِي من السِّحر والعَينِ ومَسَّ الشياطين، وتغيُّر الأحوالِ في نَفسِه وأهلِه وبيتِه، والحقيقةُ أنه هو السببُ في ذلك؛ لأنه تلبَّسَ بالمعاصي والمنكراتِ في نفسِه وبيتِه وأهلِه، وآذَى الملائكةَ بأعمالِه، فخرَجُوا من دارِه وابتعَدُوا عنه، فتعكَّر صفوُ حياته، وخلا الجوُّ للشياطينِ فهجَمَت عليه من كلِّ ناحيةٍ، واستحوَذَت عليه، وأذاقَته الآلامَ والأحزانَ والشقاءَ النفسيَّ.

وإن من الحقائقِ الثابتةِ - يا مسلمون - أن وجودَ الملائكة يطرُدُ الشياطينَ ويُخزِيهم، كما هرَبَ الشيطانُ لما رأى الملائكةَ نازِلةً في معركة بدرٍ الكبرى، ونكَصَ على عَقبَيْهِ وقال في رُعبٍ وخَوفٍ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وسيقومُ الشيطانُ خطيبًا في جهنم، ويُعلِنُ للناس أنه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٨].

فاتَّقُوا الله – يا عباد الله –، اتَّقُوا الله، واعلَمُوا أنَّ الملائكةَ خَلقٌ كرامٌ أبرارٌ، وأن من أجلِّ أعمالهم حفظَ المؤمنين والدفاعَ عنهم، وتأييدَهم وتحريكَ الخير في قلوبهم، وهم يستَحيُون من صالحِي المؤمنين، كما كانت الملائكةُ تستَحِي من عُثمان – رضي الله عنه –. فاستَحيُوا منهم – بارك الله فيكم –، استَحيُوا منهم وأكرِمُوهم، ولا تُؤذُوهم، ولا تُخرِجُوهم من بيوتِكم؛ تسعَدُوا في حياتِكم، وتهنَؤُوا في معايشِكم، وتغشَاكُم الرحمةُ، وتنزِلُ عليكمُ السَّكينةُ، ويحفَظُكُم الله في أنفسِكِم وأهلِيكُم، ومَدخَلِكِم ومَخرَجِكِم.

ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشرية وهادِيها وسِراجِها المنِير، فإن الله – عز وجل – قد أمرَنا بالصلاة والسلام عليه؛ حيث قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة العاشرة ١٤ ذو الحجة ١٤٣٧هـ

بعنوان: ما هو الحج المبرور ؟

الخطبة الأولى : الحمدُ لله، الحمدُ لله الذي جعلَ الحجَّ منارةَ التوحيدِ الكُبرى، ومعلَمةَ الإيمانِ والتربيةِ العُظمى، هدمَ به شعائرَ الجاهلية والوثنيةَ، وأقامَ به الملَّةَ الإبراهيمية الحنيفيةَ، لتهتَدِي بها جموعُ البشرية، أحمدُه – سبحانه – وأشكرُ له، وأُثنِي عليه وأُمجِّدُه، أتمَّ على الحجاج نعمتَه، وأعانَهم على أداء نُسُكهم بفضلِه ومنِّته. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى أهلِ بيتِه الطيبين، وعلى الصحابةِ الأبرارِ المعظَّمين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد: فاتَّقُوا اللهَ – عباد الله – وراقِبُوه، واستشعِروا معيَّتَه وقُربَه، ونظرَه واطِّلاعَه، فإن ذلك هو واعِظُ اللهِ في قلبِ المؤمن، يزجُرُه عن السيئاتِ، ويُقرِّبُه إلى الطاعاتِ والصالحاتِ، ويملؤُه بالإخباتِ والخشيةِ والإنابة، ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ**﴾ [ق: ٣١- ٣٣]. حُجَّاجَ بيتِ اللهِ الحرام..

أمةَ الإسلام: ما أروعَ عبادةَ الحج، وما أسمَى نفحاتِها، وأزكَى أوقاتها، وأنفع مقاصِدَها، تجرَّد فيها الحُجَّاجُ من حُظوظِ الدنيا ونعيمِها ومُتَعِها الزائِلة، وأخلَصُوا لله قصدَهم وأعمالَهم، وتوجَّهوا لبيتِه الحرام، مُلبِّين طائِفِين خاضِعِين، راجِين رحمةَ ربهم ورضوانَه. سكَبوا دموعَ المحبةِ والتوبةِ في صعيدِ عرفات، ولهَجَت ألسنتُهم بذكرِ الله وتعظيمه في مُزدلِفة ومِنَى وحين رَمي الجمرات، وطمَحَت نفوسُهم واشتاقَت إلى رحمة ربهم ومغفرتِه وعظيمِ عَفوِه، وهي تتنزَّلُ على أهل تِيك المواقف والمشاعر، الذين لبُّوا نداءَ إبراهيم – عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والتسليم –. فأقبَلُوا زُرافاتٍ ووحدانًا من كل فجٍّ عميقٍ، ليشهَدُوا منافعَ لهم، ويذكروا اسمَ الله في أيامٍ معلوماتٍ، شريفاتٍ عظيمات. فهل ترون أنَّ الكريم – سبحانه – يردُّهم أو يُخيِّب سعيَهم؟! وماذا تظنُّون بربِّكم – يا حُجَّاج بيتِ الله –، بعد أن حجَجتُم وطُفتُم وسعَيتُم؟!

سبحانك ربَّنا ما أكرَمَك، وما أوسَعَ رحمتك، لا نظُنُّ بك إلا خيرًا، ولا نتوقَّعُ منك إلا برًّا وجُودًا وإحسانًا. فأبشِرُوا – يا حُجَّاج بيت الله –، وأمِّلُوا خيرًا؛ فإنكم قد قدِمتُم على الربِّ العظيمِ عفوًا وغُفرانًا، الكثيرِ البرّ والإكرام، الواسعِ الرحمةِ والفضلِ والإحسان. وأنتم وفدُ الله، وضُيُوفُه، وزُوَّارُه، فأكرِم بكم وافِدِين، وزُوَّارًا، وأضيافًا، وأنعِم به – سبحانه – ربًّا كريمًا يُجازِي الحسنةَ بعشرِ أمثالِها، وبأضعافٍ كثيرة، ولم يرضَ – سبحانه – جزاءً للحجِّ المبرورِ إلا الجنَّة. فهنيئًا لكم – يا حُجَّاج بيت الله الحرام –، هنيئًا لكم عفوُ الله ومغفِرَتُه ورضوَانُه، وعودًا حميدًا إلى دِياركم

سالِمين غانِمين، وأنتم مشكورٌ سعيُكم، موفورٌ أجرُكم، تستأنِفُون صفحةَ العمر بيضاءَ نقيَّة، وتستقبِلُون حياةً جديدةً، استلهَمتُم صفاءَها ونقاءَها، وروحانيَّتها من بين جَنَبَاتِ البيت الحرام، وزمزمَ والحَطيم، والمشاعر المقدسة، ونفَحَات المدينةِ النبويةِ المنورة. فلتفرَحُوا بهذا الفضلِ العظيم الذي خصَّكُم الله به، وأكرَمَكم ببُلوغِه والانتهاءِ منه. فواللهِ الذي لا إله غيرهُ؛ إنه خيرٌ لكم من الدنيا وما فيها، وأزكَى لكم من حُظُوظِها ولذَّاتِها وزخارفِها، ولتسكُبُوا دموعَ الفرحِ والابتهاج، بقوله – صلى الله عليه وسلم – «**من حجَّ فلم يرفُث ولم يفسُق، رجعَ من ذنوبِه كيومِ ولَدتْه أمُّه**»، وبقوله – صلى الله عليه وسلم – : «**الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة**».

تَداعت حَجيجٌ بالرَّحيلِ فما ترَى * سوى حُزنِ قلبٍ بالدموعِ مَزجنَاه**

لفُرقةِ بيتِ الله والحجِّ الذي * لأجلِهما صَعبَ الأمور سَلكنَاه**

وودَّعَت الحُجَّاجُ بيتَ إلهِها * وكلُّهُمُ تجرِي من الحُزنِ عَينَاه**

حُجَّاج بيت الله الحرام: إن الله – سبحانه وتعالى – هو صاحبُ الفضلِ والنعمةِ ابتداءً وانتهاءً، إيجادًا وتوفيقًا وإمدادًا؛ فهو الذي حرَّك قلوبَكم شَوقًا وحُبًّا إلى الحجِّ والمشاعرِ المقدسة، ويسَّر لكم الوصولَ إلى هذه البلادِ المباركة، وهو الذي وفَّقَكم وأعانَكم على أداءِ مناسِكِ الحجِّ والوقوف بهذه المشاعرِ المقدسة، التي هي إرثٌ من إرثِ الخليلَين الكريمين: إبراهيمَ ومحمدٍ – صلَّى الله عليهما وسلَّم –، وذلك فضلُ الله يُؤتِيه من يشاء، فاشكُرُوا له – سبحانه –، واحمَدُوه على نعمهِ الدينية والدنيوية، الظاهِرةِ والباطِنةِ، وعلى أن وفَّقَكم وأعانَكم على أداءِ مناسِككم في سابغةٍ من الأمنِ والأمانِ، واليُسرِ والراحةِ. هذا وإنَّ من شُكرِ اللهِ تعالى: شُكرَ من كان سببًا – بعونِ اللهِ وقُدرتِه – في تيسير مناسكَ الحجِّ للحُجَّاج، والقيامِ بخِدمتِهم ورعايتهم، والحِفاظِ على أمنِهم وسلامتِهم؛ من وُلاةِ أمرنا – وفقَّهم الله وسدَّدهم –، ورِجال الأمن الأوفِيَاء، والمسؤولين، و«**من لا يشكُر الناسَ، لا يشكُر اللهَ**»، كما صحَّ عنه – صلى الله عليه وآله وسلم –. حُجَّاج بيت الله: إن الحجَّ المبرورَ في الحقيقة هو منشُورُ الولاية، ومِفتاحُ دار السعادة، وميلادُ فجرٍ جديدٍ للعبدِ الصادقِ، يعيشُ بعده حياةً طيبةً مُشرِقةً بنُورٍ من الله، عامِرةً بطاعتِه – سبحانه –، مُكتسِيَةً حُللَ العبودية والرِّضا به – عزَّ وجل –. إن الحجَّ المبرورَ هو الذي يُحدِثُ في النفسِ أثرًا ملمُوسًا، وتغييرًا إلى الأكمَلِ والأفضَلِ، عبادةً وسُلُوكًا، فيخرُجُ العبدُ الصادقُ من الحجِّ، وهو أقوىَ إخلاصًا وصِدقًا، وبُعدًا عن الشرك ووسائلِه وأهلِه، وأعظمُ إخباتًا للهِ وخُضوعًا وخشيةً وإنابةً وذِكرًا لله تعالى. ومن هنا نعلَمُ سرَّ الإتيان بوَصف المخبِتِين في أثناءِ آياتِ الحج، كما قال – سبحانه –: ﴿**فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ**

قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]. ولقد أبانَ سيِّدُ التابعين في زمانِه: الحسنُ البصريُّ - رحمه الله -، أبانَ عن أثرِ الحجِّ المبرورِ، حينما سُئِل عن حقيقتِه، فقال - رحمه الله -: "الحجُّ المبرورُ: أن تعُود بعد الحجِّ زاهِدًا في الدنيا، راغِبًا في الآخرة". ولعَمرُ الحقِّ؛ لقد أوجَزَ هذا الإمامُ في العبارة، وأبلَغَ في الإشارة، وكشَفَ عن الميزانِ الحقيقيِّ الذي لا يعُولُ؛ حيث يتبيَّنُ به المؤمِنُ الصادِقُ ممن أسَرَتْه الدنيا ومطامِعُها. فالزُّهدُ في الدنيا - يا عباد الله، يا حُجَّاج بيت الله -، الزُّهدُ في الدنيا، وقوةُ الرَّغبة في الآخرةِ عُنوانُ الأتقِيَاء الأخفِيَاء، وعلامةُ الصادقين الحُنَفَاء، وهو من أكبر وسائل الثَّباتِ على الدين، والاستمرار والمداوَمةِ على عمل الصالحات، واجتِنَابِ السيئات، والتي هي - أعني: المداوَمَة على الصالحات - من أبيَن الدلائل الصادقة على رِضَا الله وقبولِ العمل، كما قال -سبحانه -:﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ فلم يكتفِ -سبحانه وتعالى -في حُصولِ الغفران والرِّضا بالتوبةِ والإيمان والعملِ الصالحِ فقط؛ بل قال: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾، يعني: ثم ثبَتَ على الهداية ولُزُوم الاستقامة، وسلَكَ سبيلَ الصالحين في الحياةِ وحتى الممات. فيا مَن وفَّقه الله لأداءِ المناسِك، ويسَّر له قصدَ بيتِه الحرام المعظَّم! ليكُن حجُّك هذا مُنطلَقَ الثَّباتِ على الخيرات، وأولَ تباشير السعادة ورُقِيِّ الدرجات .. ليكُن حجُّك هذا هو فجرَك الصادق، وإشرَاقَةَ يقينك وإيمانك، وسببًا لفتح أبوابِ الهداية لك، كما قال - سبحانه: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨)﴾ [النساء: ٦٦- ٦٨]. بارَكَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفَعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولِي هذا، وأستغفِرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفِرُوه؛ إنه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله، الحمدُ لله الكريمِ المنَّان، العظيمِ العفوِ والجُودِ والإحسان، والصلاةُ والسلامُ على الهادِي البشير، والسراجِ المنير، وعلى أهل بيتِه الأخيارِ الأطهار، وعلى الصحابةِ الكرامِ الأبرار، والتابعين لهم بإحسانٍ ما غرَّدَتْ الأطيَار، وتعاقَبَ الليلُ والنهار. أما بعد .. فيا حُجَّاج بيت الله الحرام: إنَّ من أجلِّ المقاصِدِ الشرعية والحِكَم المرعِيَّة، التي من أجلِها شرَعَ الله الحجَّ، وتكرَّر في كل عام: ترسِيخَ مبدأ وحدة المسلمين، واجتماعِ كلمتهم وتآلُفِهم، وتأكيد معاني الأخُوَّةِ الإيمانية وإشاعَتها بين المسلمين؛ بحيث تنتَفِي الفوارِقُ بين المؤمنين في الحجِّ، وتختَفِي مظاهِرُ التمايُزِ بينهم؛ فلا شِعاراتٌ سياسيةٌ حزبيَّة، ولا راياتٌ مذهبِيةٌ طائفية. ومنذ أن وضع النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم -

أمورَ الجاهليةِ ومسائِلَها كلها تحت قدَمَيه الشريفَتَين، في حجَّة الوداع إلى يومِنا هذا، والمسلِمُون يحُجُّون بيتَ الله الحرام، تَشيعُ بينهم روحُ المودَّة والمحبَّة، واجتِماع الكلمة وتوحُّدِ الصفِّ، وتلكَ نعمةٌ – يا حُجَّاج بيت الله –، تلك نعمةٌ من أجلِّ النعم التي امتنَّ الله بها على عبادِه، وجعَلَها من أعظمِ مقاصِدِ الشريعة، وأفخَمِ غاياتِ البِعثةِ النبوية، كما قال –سبحانه –: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال – صلى الله عليه وآله وسلم –:«**كونُوا عبادَ الله، إخوانًا، كما أمَرَكم الله، المسلمُ أخو المسلم، لا يخذُلُه ولا يحقِرُه**». متفقٌ عليه.

إن وحدةَ المسلمين واتِّحادَ كلمتِهم واجتماعَ صفِّهم على منهجٍ واحدٍ، وسُنَّةٍ واحدة، من أهمِّ المعالِمِ المنجِية من الفتن المدلهِمَّة، والأخطار المحدِقة بالمسلمين في هذا العصر، الذي كثُرَ فيه قُطَّاعُ الطريق، والمرجِفُون، والمفتُونُون من شياطينِ الإنس الذين يُوحِي بعضُهم إلى بعضٍ زُخرُفَ القول غرورًا. إن الاعتِصامَ بالكتاب والسنَّة ومنهجَ الصحابة – رضي الله عنهم – من مُحكَمَات الشريعة، التي لا يُمكنُ التنازُلُ عنها أبدًا؛ بل هي ضرورةٌ مُلِحَّةٌ في عصرِنا هذا أكثرَ من ذي قبل؛ لأن المسلمين اليوم يُواجِهُون تحدِّيًا عالميًّا، وحَربًا ضَرُوسًا، ضدَّ عقائِدِهم وسُنَّة نبيِّهم – صلى الله عليه وآله وسلم –، ووحدَة كلمتهم، وأصولِ شريعتهم وثوابِتِها وأهلِها، خُصُوصًا ضد هذه البلاد المبارَكة، التي هي حامِيَةُ الحرمين، وراعِيَةُ الشريعةِ والسنةِ النبوية. أمة الإسلام .. حُجَّاج بيت الله: إن هذا الهجوم المأفُون يتشكَّلُ في أشكالٍ مُختلفة، وأساليب مُتنوِّعة، واجتماعاتٍ مُتعدِّدة، ويسعَى لإلصاق تُهمة الإرهاب والتطرُّف والتكفير بالمسلمين عُمومًا، وببلادِ الحرمين خُصوصًا، مما كان له أثرٌ سيءٌ في مُحاولة إضعاف المسلمين وتفريقِهم، وتمزيقِ وحدتهم لتحقيق توجُّهاتٍ سياسية، وتقويةِ انتِماءاتٍ فكريةٍ ومذهبيَّة، وإثارةِ نَعَراتٍ طائفية حزبية. في وقتٍ نحن أحوَجُ ما نكون فيه إلى اجتماعِ الكلمة، وتوحُّد الصفوف، ونَبذِ الخلافاتِ والنِّزاعات، لا أن يكون البعضُ وَقودًا وحطَبًا، يزيدُ النارَ حريقًا واشتعالاً، ليخدِمَ توجُّهات الأعداءِ وخِطَطهم ضد عقائِدِ المسلمين وسُنَّة نبيِّهم – صلى الله عليه وآله وسلم – التي تربَّى عليها المسلمون منذ عهد الصحابة – رضي الله عنهم –، ونادَى بها كلُّ علماء السلفِ الراسِخِين إلى يومِنا هذا. إن اجتماعَ المسلمين – يا أمة الإسلام – في هذه الأيامِ المبارَكة في عبادةِ الحج، ووحدتَهم وتآلُفهم، ورعاية المملكة العربية السعودية للحُجَّاج، واحتِضَانَها لهم، وحِرصَها على أمنِهم، ونجاحَها الباهِرَ في إدارةِ هذه الحشود المباركةِ – بفضل الله – لهو ردٌّ عمليٌّ ناصِعُ البيان في أرضِ الواقع، على كل القلوبِ المريضة، والأبواقِ الموتُورَة، التي تمنَّت السُّوءَ والفشَلَ لحجِّ هذا العام. وهو في الحقيقةِ أيضًا رسالةٌ واضِحةٌ قويَّةٌ، تخترِقُ الحُجُب بأنه مهما كادَ الكائِدون

والحاقِدُون، وتنادَوا وتآمَرُوا وائتَمَرُوا على المسلمين وبلادِ الحرمين؛ فإن ربَّك لهم بالمِرصَاد، ولن يجعَلَ الله لهم على المؤمنين سبيلاً، وسوف يُهيِّئُ الله من عندِه رجالاً وأحداثًا يحفَظُ بهم الإسلامَ وأهلَه، ويُعلِي شأنَ سُنَّةِ نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - والمتمسِّكين بها، السالِكِين منهجَ الصحابة - رضي الله عنهم - وطريقَهم، الذي هو المنهجُ الحقُّ، والصراطُ المستقيم، وهو عمادُ الوسطيةِ والاعتدالِ ورُكنُها. كما ثبَتَ عند أبي داود وغيره، أنه سُئِل - عليه الصلاة والسلام - عن الفِرقةِ الناجيةِ، من هي؟ فقال - عليه الصلاةُ والسلام -: «**من كانَ على مثل ما أنا عليهِ اليوم وأصحابي**». وثبَتَ عند ابن نصرٍ في السُّنة وغيره، أن النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**إن من ورائِكم أيامَ الصبر، للمُتمسِّكِ فيهن يومَئذٍ بما أنتم عليه أجرُ خمسين مِنكم**»، قالوا: يا نبيَّ الله! أو منهم؟ قال: «**بل منكم**».

ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشرية وهادِيها وسِراجِها المنِير، فإن الله - عز وجل - قد أمرَنا بالصلاةِ والسلام عليه؛ حيث قال في محكمِ تنزيلِه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦]

الخطبة الحادية عشر ٤ صفر ١٤٣٨هـ

بعنوان: تعظيم جناب النبي صلى الله عليه وسلم

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أحمده سبحانه على ما أولى وأنعم وأشكر له ما أجزل به وأكرم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير ولا مثيل، عز في ملكوته وربوبيته وتفرد في وحدانيته وألوهيته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله فتح الله به قلوب غلفًا وأعينًا عميًا وآذانًا صمًّا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فاتقوا الله يا عباد الله واعلموا أن التقوى ليست بصيام النهار وقيام الليل ثم التخليط بينهما، إنما التقوى مخافة الله والقيام بأمره والحذر من التورط في دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥٢]. أيها المسلمون: إن تعظيم جناب النبي –صلى الله وعليه وآله وسلم– وسنته الشريفة من أركان الإيمان وقواعد الدين ومحكمات الشريعة التي يجب أن تجتمع عليها الأمة لتحميها بإذن الله من المهالك، وتكون لها سياجاً منيعاً ضد عوامل الضعف والتفكك والاختلاف والتنازع قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٢]. هذا وإن صور وأحوال تعظيم النبي –صلى الله عليه وسلم– وسنته وإجلاله ومحبته كثيرة ومتنوعة، وإن أعظم وأكبر الشواهد على تعظيم مقام النبي –صلى الله عليه وسلم– وتمكن حبه في القلوب هو اتباع سنته الشريفة ظاهراً وباطناً، ولزوم طاعته على الدوام وفي كل الأحوال، فلا دليل أدل على التعظيم والحب من هذا الاتباع المبارك واللزوم للسنة النبوية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]. وبيَّن سبحانه أن الهداية الحقيقية الكاملة لا تحصل إلا باتباع المصطفى –صلى الله عليه وسلم– وطاعته ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾. ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. إن اتباع سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– في كل الأحوال هو حقيقة وأساس التعظيم والإجلال للنبي –صلى الله عليه وسلم– وأقواله وأفعاله، وهو الحب الحقيقي الصادق الذي يفضح كل ادعاء وكلما كان العبد معظماً للسنة النبوية متبعاً الهدي النبوي عامراً ظاهره وباطنه بالتأسِّي بالنبي –صلى الله عليه وسلم– كان أعظم توفيقاً وتسديداً وكان أسلم الناس رأياً وقولاً وفعلاً ومنهجاً. إن اتباع النبي ولزوم سنته أمر لا محيد عنه لمن أراد السعادة والهداية والفوز بالجنة؛

فقد أغلق الله كل الأبواب والطرق إليه إلا باب محمد, وبدون اتباع السنة والاستمساك بالهَدْي النبوي لا تستقيم حياة العبد ولا تصلح أحواله ولا يزكو قلبه ولو اجتهد سبعين سنة، فالخير كل الخير في الاتباع والاقتداء وتعظيم السنة، ولا زكاة للقلوب ولا طهارة للنفوس ولا صلاح للأعمال إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، وألا يقدم على سنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- قول أحد أو رأيه أو طريقته كائناً من كان. إن اتباع سنة المصطفى واتخاذه الأسوة الوحيدة والقدوة الفريدة في العبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق هو من تمام الرضا بمحمد ﷺ نبياً ورسولًا, وإن الإعراض عن سنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- من أعظم نواقص الاقتداء والاتباع وهو دليل على عدم الرضا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبياً ورسولاً.

ولذلك كان الإعراض عن هدى النبي -صلى الله عليه وسلم- وسنته من أكبر أسباب ضعف المسلمين وهزيمتهم في مواطن كثيرة وتسلط الأعداء عليهم في مواطن كثيرة ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أيها المسلمون: إن الإعراض عن سنة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وهديه له صور كثيرة من أخطرها الاستخفاف بسنته -صلى الله عليه وسلم- وإضعاف هيبتها في النفوس والقلوب ووسمها بالقصور وعدم شمولها لمتطلبات العصر وتطوراته، والحق الذي لا مرية فيه أن النصوص الشريعة لا تعوز من احتج بها إذا أحسن منهج الاحتجاج والاستدلال. ومن صور الإعراض المذمومة نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة والاعتماد عليها، وعدم التثبت من السنة الصحيحة، وقد أضر هذا الفعل بالأمة كثيرًا حيث تسللت إليهم كثير من العقائد الباطلة والمناهج الضالة والآراء المنحرفة والسلوكيات الخاطئة. ولهذا فإن من يتعمد نشر هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة فهو أحد الكاذبين وليتبوأ مقعده من النار، فالكذب على رسول الله ليست كالكذب على غيره. إن الإعراض عن السنة النبوية يشمل الإعراض عن تحكيمها والتحاكم إليها، والإعراض عن قبولها والاحتجاج بمتواترها وآحادها في العقائد والأحكام والنوازل، ويشمل التأويل للنصوص النبوية وصرفها عن معانيها الصحيحة وضربها ببعضها وتطويعها لتوافق الأهواء والرغبات وأقوال الرجال. إن الإعراض عن سنة المصطفى -صلى الله وعليه وآله وسلم- يشمل كذلك نشر أقواله -صلى الله عليه وسلم- وهديه في المنتديات والفضائيات ومواقع التواصل لتكون كلأ مستباحاً للنقاش والجدال والقبول والرد تشهياً وتشفياً وابتغاءً للفتنة والزيغة والضلال، فترد السنة النبوية ويلعب بها من كل متعالم وجاهل وتصرف عن حقائقها ودلالاتها وتوضع مساوية لأقوال البشر قابلة للأخذ والرد فتضيع حرمة السنة النبوية وتسقط

هيبتها من النفوس وتضعف مكانتها بين المسلمين. قال ابن عباس -رضي الله عنهما- لما اعترض عليه بقول فلان وفلان قال: "والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله؛ نحدثكم عن رسول الله وتحدثوننا عن فلان وفلان". عباد الله: إن من أعظم صور الإعراض عن سنه المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: الابتداع في الدين، وإحداث عبادات وطرائق في السلوك وتهذيب النفوس والتزكية لم يكن عليها الأمر الأول الذي كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته -رضي الله عنهم- الذين هم المقياس الصحيح للاتباع من عدمه، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**من رغب عن سنتي فليس مني**» أخرجه البخاري، وقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» أخرجه الشيخان.

إن الابتداع والإحداث في العبادات والسلوك من أشنع صور الإعراض عن هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- التي تدل على الانتقاص من مقام النبي -صلى الله وعليه وآله وسلم- الذي جعله الله مشرعا وهادياً ودليلاً. بل هو في الحقيقة اتهام للنبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه لم يؤد رسالة ربه كاملة غير منقوصة، ولم يبلغ دينه كما أمره الله، فيأتي أولئك القوم فيستدركوك على أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله ويشرّعون للناس ما لم يأذن به الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم.

أيها المسلمون: لا شيء ينقض الاتباع والاقتداء والرضا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبياً ورسولاً مثل الإعراض بصوره وأحواله المتنوعة، ولذلك جعل الله أعظم الدلائل على الإيمان الصحيح الاتباع المطلق لأمر النبي وسنته الشريفة، وعدم الاعتراض ورد أمره -صلى الله عليه وسلم- بل ترقى التأكيد والتقرير إلى ضرورة أن ينتفي الحرج من القلوب في اعتماد السنة والاحتجاج بها، وأن يسلم العبد تسليماً مطلقاً للسنة النبوية فقال سبحانه: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ [النساء:٦٥].

وحذر ربنا سبحانه من رد السنة، وتوعد المعرضين عنها بأشد أنواع العذاب لأنهم في الحقيقة هم المفسدون الظالمون ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٧- ٥١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، الحمد لله الذي ما من شيء في الوجود إلا يسبح بحمده وتسجد الخلائق وظلالها طوعاً وكرهاً لجلاله ومجده، وأصلي وأسلم على صاحب المقام المحمود المفتتح أبواب جنان الخلود وعلى أهل بيته وأصحابه وتابعيهم بإحسان صلاة وسلاما بلا حصر ولا عد معدود، وبعد: أيها المسلمون: إن من صور الاستهانة والاستخفاف بالشريعة ومقام النبوة عدم تعظيم وتقديس الشعائر الزمنية والمكانية التي أمر الله تعالى بتعظيمها وحث النبي –صلى الله وعليه وآله وسلم– على حبها وإجلالها، ومن ذلك شهر الله الحرم محرم، ومكة المشرفة والمدينة النبوية المنورة، وبيت المقدس الشريف، وهي من أعظم شعائر الدين ومقدسات المسلمين المباركة التي باركها الله تعالى وقدسها، والتي كانت منذ القِدم شوكةً وغصة وغيظاً للأعداء، فاليهود قبحهم الله ما زالوا يعيثون في المسجد الأقصى فساداً وقتلاً وتخريباً، ثم جاء قوم طائفيون حاقدون على مقدسات المسلمين فشابهوا اليهود في أفعالهم وأرادوا أن تكون مكة خراباً يباباً في شهر الله الحرام. إنها جريمة نكراء خرقاء في شهر الله الحرام يستهدفون بلد الله الحرام كما كان يريد أبرهة المقبوح المنبوذ ومن تشبه به على مر العصور، لكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد وأبطل كيدهم ومكرهم وحمى حرمه وبيته المعظم. فما أشبه هؤلاء الطائفيين الحاقدين باليهود وما أقربهم إليهم وهذا ديدن أهل النفاق الذين يبطنون الكفر والحقد على مقدسات المسلمين ويلتقون مع كل ظالم وباغٍ في حقدهم على المسلمين ومقدساتهم، كما تحالف المنافقون مع الذين كفروا من أهل الكتاب على عهد رسول الله ﷺ فأنزل الله فيهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:١١].

عباد الله: من أراد الفلاح والسعادة فليعتصم بالوحي الإلهي من الكتاب والسنة، فكما أن القرآن وحيٌ من الله فالسنة كذلك وحي وهي مبيَنةٌ وشارحة ومفصلة لأحكام القرآن ومعانيه ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ١- ٤]. ولقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم –خبر الصدق أنه سيأتي أناس يردون السنة النبوية ويعرضون عنها ولا يقبلون بها فقال: «**ألا إنما أوتيت القرآن ومثله معه، إلا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله**» أخرجه الترمذي والحاكم. وقال حسان بن عطية –رحمه الله–: "كان جبريل ينزل على النبي –صلى الله عليه وسلم– بالسنة كما ينزل بالقرآن". ألا فليعلم ذلك كل عبد عقل عن الله وعن رسوله –صلى الله عليه وسلم– وعاصر هذا الزمان المليء بالفتن والأهواء والأحزاب والمضلات أنه لا عاصم ولا نجاة ولا فلاح إلا باتباع المصطفى –صلى الله وعليه وآله وسلم– ولزوم غرزه واقتفاء أثره، فمن أراد النجاة من أمواج الفتن والاهتداء فليركب سفينة السنة، وما أفلح سلفنا الصالح وارتفعوا وارتقوا إلا بشدة تمسكهم بهدي النبي –صلى الله عليه وسلم– وإتباعهم منهجه. قال أبي بن كعب –رضي الله عنه–: "عليكم بالسبيل والسنة فإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة"،

وقال سفيان –رحمه الله–: "لا يستقيم قول وعمل إلا بالسنة"، وقال أحمد –رحمه الله–: "من رد حديث رسول الله –صلى الله وعليه وآله وسلم– فهو على شفا هلكة". وقال الأوزاعي –رحمه الله–: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم" والأقوال والآثار في هذا المعنى كثيرة جدًّا. ثم صلوا وسلموا على حبيبنا الرسول الأعظم والنبي الأكرم كما أمرنا بذلك الله حيث قال في محكم تنزيله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

الخطبة الثانية عشر ١ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ

بعنوان: صفات المنافقين

الخطبة الأولى : إن الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفِرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفُسنا وسيئات أعمالِنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحْدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آلهِ وأصحابِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدّين، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فاتَّقوا الله – عبادَ اللهِ –، وراقِبوه في السرِّ والعلانية؛ فإن حقيقةَ التقوَى: هي الإخلاصُ للهِ، والصدقُ معه، وخشيتُه في كل الأحوال، وإصلاحُ السرائِر والقلوبِ، فإنها محلُّ نظر الربِّ – سبحانه –. وإن قومًا يأتُون يوم القيامة بحسناتٍ كجِبال تِهامة بِيضًا، فيجعلُها اللهُ هباءً منثُورًا؛ لأنهم كانوا إذا خلَوا بمحارِمِ الله انتهَكُوها، فجعلُوا اللهَ أهونَ الناظرين، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]. أيها المسلمون: قدَرُ الله على هذهِ الأمةِ المحمدية، في هذه الأزمانِ المتأخِّرة، أن يتكالَبَ عليها الأعداءُ من كل حدَبٍ ينسِلُون، ويتنادَوا على خيراتِها، ويتكاتَفُوا لتمزيقِها وتعويقِها وتأخير نهضَتِها. ومن رحمةِ الله: أنه لم تركِ الأمةَ بدون بيانٍ وتحذيرٍ من هؤلاءِ الأعداء، وهَتكِ أستارِ مكرِهم وكَيدِهم، وكان من بيانِ الله – سبحانه – أن أعداءَ الأمةِ على قِسمَين، هما: كُفَّار صُرحاء، ظاهِرةٌ عدواتُهم، وبيّنٌ كيدُهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، يعني: ظاهِرين بيّنِين في عداوتهم، وهؤلاء الكُفَّار الصُّرحاءُ لم تُعانِ الأمةُ كثيرًا من التعرُّف عليهم، واتِّقاءِ شرِّهم؛ لوُضوحِهم وظُهورِهم.

وإنما عانَتِ الأمةُ الأمَرَّين منذ عهدِ النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –، وذاقَت العلاقِمَ المرائِر من النِّفاق وأهلِه، الذين هم أعداءُ الأمة حقًّا، المتلوِّنون المخادِعُون، الطاعِنون الأمةَ بخناجِرَ مسمُومةٍ في دينِها وعقيدتِها ووحدتِها، واجتِماعِ كلمتِها، المتربِّصُون بها الدوائِر مكرًا وكيدًا، وإثارةً للفتنِ والقلاقِل. ولا تزالُ المعاناةُ والمكائِدُ منهم مُستمرَّةً؛ حتى يخرُجَ رأسُ النِّفاق الأكبَر المسيحُ الدجَّالُ الأعوَرُ ومن معَه من اليهود والمنافِقين، فيُهلِكَهم الله على يدِ مسيحِ الهُدى والحقِّ عيسى ابن مريم – عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاة والسلام –.

عبادَ الله: لم تكُنْ هناك حاجةٌ لكَي ينشَأَ النفاقُ في العهدِ المكيِّ في زمن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –؛ لوُضوحِ عداوَة الكُفَّار وصراحَتهم. وإنما نشَأَ في أوائِلِ ما نشَأَ بعد غزوة بدرٍ الكُبرى، حينما رأى اليهود ومن في قلبِه مرضٌ أن أمرَ النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قد توجَّه، وأن رايةَ الإسلام آخِذةٌ في الظُّهور، فخشوا على أنفسِهم، واقترَحَ طائفةٌ من اليهود على أوليائِهم خُطَّة النفاقِ هذه،

كما قال الله - سبحانه -: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]، فاشتعلَت شرارةُ النفاقِ الأولى، ونبَتَت نبتَتُه، فبسَقَت شجرةً يهوديَّةً خبيثةً بمكرٍ وخديعة مرَضى القلوب، حتى غدَا النفاقُ موئِلَ الغادِرين الحاقِدين، ينضَوُون تحت لوائِه؛ ليُصبِحُوا شوكةً في خاصِرةِ الأمة، وأشدَّ عُدوانًا وخطرًا على عقيدةِ الأمة ومُقدَّراتها من الكُفَّار الصُّرحاء. ولسُوء أفعالهم، وخُبث طويَّتهم، وإضمارهم الشرَّ للأمة تولَّى الله - سبحانه - بنفسِه فضحَ هذه الطائفة المندسَّة، وبيَّن - سبحانه - خُطُورتَهم وعلاماتهم وصفاتهم، وخصائِص سُلوكيَّاتهم، وبواعِثَ تحرُّكاتهم، والمنهجَ الصحيحَ في التعامُل معهم في آياتٍ مُحكَماتٍ عظيماتٍ، كأنَّها الصواعِقُ المحرِقةُ تهتِكُ أستارَهم. آياتٌ حيَّةٌ نابِضةٌ لكأنَّها أُنزِلَت اليوم، من حيويَّتها وتدفُّق معانِيها، كما في صدر سُورة البقرة في ثلاث عشرة آية، وفي سُورة آل عمران، والنساء، والأنفال، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والمنافِقُون، وما أعظمَ بيانَ الله في سُورة التوبة التي تُسمَّى "الفاضِحة" لأحوال المنافِقين وصفاتِهم؛ حيثُ ما زالَ الله تعالى يقولُ فيها: ومنهم، ومنهم، ومنهم، حتى ظنَّ الصحابةُ أنه لا يبقَى أحدٌ إلا ذُكِرَ فيها.

ولقد بيَّن رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بيانًا مُشرِقًا كثيرًا من صفاتهم، وملامِح شخصياتهم والتعامُل معهم، في سنُنه القولية والفعلية والعملية، وسيرته التطبيقيَّة التي تَفيضُ بها دواوينُ السنَّة النبوية، وكل ذلك - يا عباد الله - حتى يحذَر المسلمون، ويعُوا خطرَ النفاق الداهِم، وأن أهلَه هم العدوُّ حقًّا، هم العدوُّ على الحقيقة، فاحذَرُوهم - يا عباد الله -، قاتَلَهم الله أنَّى يُؤفكون.

أيها المسلمون: النفاقُ الذي ذمَّه الله ورسولُه - صلى الله عليه وآله وسلم - على نوعَين، وهو في حقيقته وأصله يرجِعُ إلى اختِلاف حالة السرِّ عن حالة العلانية وتغايُرها، فإن كان هذا الاختِلاف والتغايُر يرجِعُ سببُه إلى أن يُظهر العبدُ الإسلامَ والإيمانَ بأصول الاعتقاد، ويُبطِن الكفرَ والعقائِدَ الباطلة، فهو النفاقُ الأكبرُ الاعتقادِيُّ المخرِجُ من الملَّة، وأهل هذا النفاق، آمَنُوا بأفواهِهم ولم تُؤمِن قلوبُهم. ولهم علاماتٌ وصفاتٌ بيَّنها الله أتمَّ بيان، وهي تظهَرُ منهم - أعني: هذه العلامات - في لَحن القول والعمل، وإسرارهم إلى أوليائهم إذا خلَوا إليهم.

والقرآن العظيم لم يتعرَّض لذِكر أسمائهم وأعيانهم، بل كان حديثُه عنهم مُركَّزًا في بيان صِفاتهم وأفعالهم، وهذا المنهجُ القرآنيُّ الفريدُ هو أعظمُ نفعًا، وأبقَى أثرًا، وأسلَم عاقبة؛ لأن النفاق وأهله ليسُوا مرحلةً تاريخيةً مرَّت وانتهَت، بل هم نموذجٌ يتكرَّر في كل زمانٍ ومكانٍ.

وهؤلاء المنافقون أصنافٌ؛ فمنهم الذين يكرَهُون الإسلامَ وشعائِرَه وأهلَه، ويتحاكَمُون إلى الطاغوت، ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨].

ومنهم الذين يُكذِّبُون الله ورسولَه تكذيبًا كلِّيًّا أو جُزئيًّا، ويُظهِرون حبَّ الإسلام ونُصرة المسلمين، وهم في الحقيقةِ في حقيقةِ أمرهم مثلُ أصحابِ مسجد الضِّرار، يُبطِنُون الكفرَ المحضَ، والغدرَ والخيانةَ والإضرارَ بالمسلمين.

ومنهم الذين يُؤذون النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بالقولِ والفعلِ، ويُبغِضُونه ويسخَرُون منه، ويطعَنُون في سنَّته وهديِه، ويلمِزُون المتمسِّكين بسنَّته ويهزَأُون منهم، خاصَّةً صحابةَ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من الخلفاء الراشدين، وبقية الصحابة، وأمهات المؤمنين -رضي الله عنهم أجمعين - ومنهم الذين يكرَهون انتِصارَ الإسلام وأهله، ولا يَودُّون أن يُنزَّل عليكم من خيرٍ من ربكم، ولا يرقُبُون في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمَّة، ويفرَحُون ويبتَهِجُون بهزيمة المسلمين، وتسلُّط الأعداء عليهم بالقتل والدمار والتشريد، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقد عضُّوا على المسلمين الأنامِلَ من الغيظ، وودُّوا لو تكفُرون كما كفروا فتكونون سواءً، وإن تمسَسْكم حسنةٌ تسُؤهم، وإن تُصِبكم سيئةٌ يفرَحُوا بها.

ومنهم الذين يتربَّصُون بالمسلمين الدوائِرَ يبغُونَهم الفتنةَ، ويسعَون في تخذِيل المسلمين وكسر شوكتهم، والرقصِ على جِراحهم وآلامهم، وتمزيق وحدتهم، وتفريق كلمتهم، وتخريب بُلدانهم، وحواضِرهم الكبرى.

كما يفعَلُ الباطنيُّون اليوم مُنافِقُو العصر، أحفادُ ابن العلقَمِيّ، ومن عاوَنَهم في ذلك من أدعِيَاء الخلافة الإسلامية زُورًا وبُهتانًا، الذين ينشُرون الطائفية والنَّعرات الجاهلية، ويُحرِّضون على حُكَّام المسلمين، ويُحاوِلون إسقاطَ ولاةَ أمرهم والشعوب المسلمة في وحل الدمار والهلاك والتخريب والفوضى، كما كان المنافِقون الأوائِلُ يُظهِرون الطاعةَ لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، فإذا برزُوا من عند النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بيَّتَ طائفةٌ منهم الشرَّ، ودبَّروا الخروجَ عن طاعةِ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وعِصيانه.

ولذلك حاوَلُوا مِرارًا قتلَ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -، ولكن الله عصَمَه منهم، وهم الذين أثَارُوا الفتنةَ على أمير المؤمنين عُثمان - رضي الله تعالى عنه -، وحرَّضُوا عليه غَوغَاء الناس ودَهماءَهم، حتى قُتِل شهيدًا صابِرًا مُحتسِبًا، كما وصَّاه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بقوله: «**يا عثمان! إن الله مُقمِّصُك قميصًا، فإن أرادَك المنافقون على خَلعِه، فلا تخلَعه حتى تلقَاني**» أخرجه أحمد والترمذيُّ بسندٍ صحيحٍ.

ومنهم الذين لا يذكُرون الله إلا قليلاً، ويكرَهون قراءةَ القرآن، ووالله لنَقلُ الحجارة أهوَنُ عند المنافِقِ من مُداوَمَة قراءة القرآن، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

ومنهم الذين يأمُرون بالمنكر، وينهَون عن المعروف، ويُحبُّون أن تشِيعَ الفاحشَةُ في الذين آمنوا؛ ابتِغاءَ الفتنة والضلالة فيهم، وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالُوا آمَنَّا، وإذا خلَوا سَلَقُوكم بألسنةٍ حِدادٍ أشحَّةً على الخير، ويقبِضُون أيديهم، ولا يُنفِقُون إلا وهم كارِهون، وإذا رأيتَهم تُعجِبك أموالهم وأولادهم وأجسادهم، وإن يقولُوا تسمَع لقولهم من فصاحَتهم وتشدُّقهم بالكلام، وهم أجبَنُ الناس وأشدُّهم خوفًا وفرَقًا، يحسَبُون كلَّ صيحةٍ عليهم، ولذلك كرِهُوا الجهادَ في سبيل الله، ورَضُوا بأن يكونوا مع الخوالِفِ، وطُبِع على قلوبهم فهم لا يفقَهون.

إلى غير ذلك من صفاتِ أهل النفاق الأكبر، الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

أمة الإسلام: هذا النفاقُ الأكبرُ هو الذي كان عليه المنافقون في عهد النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –، الذين نزَلَ القرآنُ بتكفيرهم وتخلِيدهم في النار، وقد كان على رأس المنافقين آنَذَاك عبدُ الله بن أُبَيّ، الذي حقَدَ على النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – لما قدِمَ المدينة مُهاجرًا، وأشرَقَت المدينةُ بأنواره –صلى الله عليه وآله وسلم–، والْتَفَّ الناسُ حولَ رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، وفرِحُوا به فرحًا شديدًا.

فأغاظَ ذلك ابنَ أُبَيّ، فأضمَرَ للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – العداوةَ أبدًا، وبدأ هو ومن معه من اليهود ومرضَى القلوب يكِيدُون للنبي –صلى الله عليه وآله وسلم– وصحابته المكائِدَ والدسائِسَ، فكان أن خَذَلَ النبيَّ – صلى الله عليه وآله وسلم – في معركة أُحُد، وانسَحَب بثُلُث الجيش، وكشَفَ ظهرَ النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– للمُشركين.ثم سعَى هو ومن معه لتجميعِ الأحزابِ لمحاصَرَة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في المدينة، وكانوا على رأس المخذِّلين والمرجِفين ليفُتُّوا في عضُد المسلمين. وهم الذين كانوا وراءَ حادثة الإفك الشهيرة، التي أرادُوا من ورائِها تشويهَ بيت النبوة الشريف، وإسقاط رمز الإسلام والمسلمين، إلى غير ذلك من المؤامرات والمكائِدِ، من هذه الفئة المنافقة التي غدَتْ قُدوةً سيئةً لكل من يُبطِن الكفرَ والخيانةَ والغدرَ والكيدَ للمسلمين، ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾

بارَكَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفَعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولِي هذا، وأستغفِرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفِرُوه، إنه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله، الحمدُ لله الذي قال لنبيِّه: ﴿**وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ**﴾ [الأحزاب: ٤٨]، وأمَرَ عبادَه المؤمنين أن يتَّقُوا الله وأن يكونوا مع الصادِقين، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على إمام الحُنفَاء المخلِصين، وسيِّدِ الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته الذين أخلَصُوا دينهم لله، وأنابُوا إلى ربهم، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد: فاعلَمُوا - أيها المسلمون - أن النوعَ الثاني من النفاقِ الذي ذمَّه الله ورسولُهُ - صلى الله عليه وآله وسلم -: هو النفاقُ الأصغر نفاقُ العمل، وهو التخلُّقُ بشيءٍ من أخلاق وأعمال المنافقين، مع بقاءِ أصلِ الإسلام في القلبِ، وهو لا يُخرِجُ من الملَّة، لكن صاحِبه على خطرٍ عظيمٍ، وعلى شفَا هلَكَة؛ لظهور علامات المنافقين عليه التي تدُلُّ على اختِلاف حالة السرِّ عن حالة العلانية. وقد قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - عن خُشُوع النفاقِ لما سُئِل عنه: "أن ترَى الجسَدَ خاشِعًا والقلبُ ليس بخاشِعٍ". وقال الحسنُ البصريُّ - رحمه الله -: "من النفاقِ: اختِلافُ القلب واللسان، واختِلافُ السرِّ والعلانية، واختِلافُ الدخول والخروج". ومن علامات صاحب هذا النفاقِ: أنه يُظهِر للناس علانيةً صالحةً وتقوى، فإذا خلاَ بنفسه، اختَلَفت حالتُه، وقَلَّ خوفه وحياؤه من ربه، ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ**﴾ [النساء: ١٠٨]. وهو يُرائِي الناسَ بأعماله، ويسعَى للتسميع بما يفعَل، وإذا صلَّى بين الناس جوَّدَ صلاتَه وأتقَنَها، وإذا خلاَ بنفسه فرَّط فيها ونقَرَها وأخَّرَها عن وقتها، يتخلَّفُ عن الصلوات بالمساجِدِ دائمًا بلا عُذر، وأثقَلُ الصلوات على المنافقين صلاةُ العشاء والفجر، ومن تَرَك ثلاث جُمَعٍ بلا عُذرٍ كُتِب من المنافقين، كما ثبَتَ عنه - صلى الله عليه وآله وسلم -.

عباد الله: ومن خُطورة هذا النفاقِ الأصغر: أنه سُلَّمٌ وجسرٌ إلى النفاق الأكبر، إذا استمَرَّ صاحبُه على أخلاق المنافقين، وأكثَرَ من شُعب النفاقِ ولم يدَعْها، ويُخشَى عليه أن يُسلَب الإيمان عند الموت، ويُختَم له بخاتمةٍ سيئةٍ.

كما ثبَتَ في "الصحيح": «**أن الرجلَ ليعمَلُ الزمنَ الطويلَ بعمَل أهل الجنَّة، ثم يُختَم له عملُه بعملِ أهل النار**». وقد بيَّنَت الروايةُ الأُخرى في "الصحيح": أن عمَلَه بعمَلِ أهل الجنة ذاك، إنما كان فيما يبدُو للناسِ. وهذا النفاقُ الأصغرُ - يا عباد الله - دليلٌ على ضعفِ الإيمان في القلب، وقِلَّة تعظيمِ الله والرغبةِ في الدار الآخرة، فلذلك ترَى صاحِبَه في علاقته بالناس، إذا حدَّث كذَب، وإذا وعدَ أخلَف، وإذا خاصَمَ فَجَر، وإذا عاهَدَ غدَر، وإذا اؤتُمِن

خانَ الأمانةَ، وغشَّ المسلمين، وإذا عامَلَهم داهَنَهم وعامَلَهم بوجهَين، وإن من شِرار الناس عند الله ذا الوجهَين، الذي يلقَى هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ. وهذا دليلٌ على اختِلاف حالة سرِّه عن حالة علانيتِه، فهو مُتردِّدٌ مُتحيِّرٌ في أمره، لا تستقِرُّ شخصيَّتُه على مبدأٍ أصيلٍ، ومنهجٍ واضحٍ، بل هو مع مصالحه الشخصية، وأغراضه النفعِيَّة المادية، وحيث كانت توجَّهَت إليها ركائِبُه، كما وصَفَه النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وصفًا دقيقًا بقولِه: «**مَثَلُ المنافقِ كمثلِ الشَّاةِ العائرةِ بين الغنمَيْن – يعني: المُتردِّدة والحائِرة – تعِيرُ إلى هذه مرَّةً، وإلى هذه مرَّةً، لا تدري أيَّهما تَتْبَعُ**» أخرجه أحمد ومسلم. ومن علاماته: أنه يدعُو بدعوَى الجاهلية، ويُفارِق الجماعة، وينزِع يدًا من طاعة، ويستخِفُّ بولاةِ الأمر والعلماءِ والمصلحين. كما قال عمَّارٌ وجابِرٌ – رضي الله عنهما –: "ثلاثةٌ لا يستخِفُّ بحقِّهن إلا مُنافقٌ بيِّنٌ نفاقُه: الإمامُ المقسِط، ومُعلِّم الخير، وذو الشَّيبَة في الإسلام".

وترَى صاحِبَ هذا النفاق يتشبَّعُ بما لم يُعطَ كلابِسٍ ثوبَيْ زُور، ويُحِبُّ أن يُحمَد بما لم يفعَل، ويُكثِر من اللَّعن والسبِّ والفُحش في منطِقِه، وإن البذاءَ والبيانَ شُعبَتَان من النفاق، كما ثبَتَ عند الإمام أحمد في "مسنده". ونُشُوزُ المرأة على زوجها بغير حقٍّ، وطلبها الخُلْع منه بدون عُذر، وتبرُّجُ المرأة وسُفُورُها، وخَلعُها الحياء والحِشمَة والعفاف من خِصالِ النفاقِ، كما ثبَتَ ذلك عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –.

أيها المسلمون: هذا النفاقُ الأصغرُ العمليُّ هو الذي كان الصحابةُ والسلفُ يخافُون منه ويُحاسِبون أنفسَهم؛ لئلا يقَعُوا في خصلةٍ من خِصاله، فقد امتَلأت قلوبُهم بتعظيمِ الله – سبحانه –، والإخلاص له، والصدقِ معه ومُراقبَته، وعلِمُوا أن النفاقَ أساسُ بنائِه على الكذِبِ والخِداعِ والتلوُّن، فلذلك عمَرُوا بواطِنَهم بالخيرات، وأصلَحُوا سرائِرَهم، وحرصوا على لُزُوم جماعة المسلمين وإمامهم، والنُّصح لكل مسلمٍ؛ فإن ذلك يُصفِّي القلوب، ويُطهِّرها من الدَّغَل والغشِّ. وأكثَرُوا من نوافِل السرِّ التي هي أحبُّ إليهم من نوافِلِ العلانية، وداوَمُوا على تلاوة القرآن وذِكرِ الله، وحرصُوا على إدراك تكبيرةِ الإحرام التي من حافَظَ عليها كُتبَت له براءَتَان من النفاقِ ومن النارِ. وكتَمُوا حسناتهم، وأخفَوا أعمالهم، واستَوَى عندهم مَدحُ الناس وذمُّهم، والْتَمَسُوا رضَا الله ولو سخِطَ الناس، وكانت لهم خبيئَاتُ الأعمال، فلذلك صلُحَت قلوبهم، وخلُصَت من الرياء والسمعة، وطهُرَت من النفاق، وأصلَحَ الله لهم علانيَتَهم وأغيرَتهم، وكفاهم أمرَ دينهم. يقول ابنُ الجوزيِّ – رحمه الله –: "من أصلَحَ سريرَتَه فاحَ عبيرُ فضلِه، وعبَقَت القلوب بنشر طِيبه. فاللهَ اللهَ في إصلاحِ السرائِر، فإنه ما ينفَعُ مع فسادِها صلاحُ الظاهِر".

أيها المسلمون: إن إخوانَنا في سوريا، وخاصَّةً في حلَب، يتعرَّضُون لأبشَع العُدوان والظُّلم وسفك الدماء، وتسلُّط الأعداء من الباطنية والخوارج وغيرهم، وإن من علامات المؤمن الصادق: أنه يحزَنُ لمِصاب إخوانه، ويهتمُّ بأمرِهم، ويسعَى لإغاثَتِهم. ومن هنا أمَرَ خادمُ الحرمين الشريفين - وفَّقه الله وأيَّده - بإقامة حملةٍ شعبيةٍ لإغاثة إخوانِنا في سوريا والوقوفِ معهم وإسعافهم، وإننا لنحُثُّ المسلمين جميعًا على المشاركة الفاعِلَة في هذه الحملة، ومُساعَدة أهلنا في سوريا، والوقوف معهم في كَربهم، وإدخال السُّرور على قلوبهم، والله في عَون العبدِ ما دام العبدُ في عَون إخوانه.

ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشرية وهادِيها وسراجِها المنير، فإن الله - عزَّ وجل - قد أمَرَنا بالصلاةِ والسلامِ عليه؛ حيث قال في مُحكَم تنزيله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦]

وثبتَ عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: «**من صلَّى عليَّ واحدةً، صلَّى الله عليه بها عشرًا**».

فاللهم صلِّ وسلِّم وبارِك وأنعِم على عبدك ورسولك نبيِّنا وحبيبِنا وسيِّدنا وقُدوتنا محمدٍ، وعلى آلهِ وأزواجه، وصحابتِه الكرامِ، وخُصَّ منهم: أبا بكرٍ الصدِّيقَ، وعُمرَ الفاروقَ، وعُثمانَ ذا النُّورَين، وعليًّا أبا الحسنَين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

الخطبة الثالثة عشر ٢٧ جمادى الأول ١٤٣٨هـ

بعنوان: السننُ الإلهية

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي صنَعَ هذا الكونَ فأتقنَه إتقانًا، وأنشَأَه قائمًا على سُنن وقوانِين فأبدَعَه إبداعًا، أحمدُه – سبحانه – وأشكُرُه، وأُثنِي عليه ولا أكفُرُه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحْدهُ لا شريكَ له ما فرَّطَ في الكتابِ من شيءٍ، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه أخشَى الخلقِ لربِّه، وأعلَمُهم به وبحقِّه، صلَّى الله عليه وعلى آلهِ وذُريَّتِه وصحبِه أثولِي العلمِ والنُّهَى، والفضلِ والتُّقَى، والتابعينَ لهم ما أظلَمَ الليلُ والدُّجَى، وأشرقَ الصُّبحُ والضُّحَى. أما بعد: فاتَّقوا الله – عبادَ اللهِ – وراقِبوه، واعلَموا أنه مَن ﴿يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]. أيها المسلمون: إن هذا الكونَ الفَسيحَ وما حوَاه من عظيمِ صُنعِ الله، وبَديعِ آياتِه، وحكيمِ أفعالِه يَسيرُ وفقَ سُننٍ ربَّانيَّةٍ وقواعِد مُتقَنَة، لا يَحيدُ عنها ولا يَميلُ، في إحكامٍ وثباتٍ واستِقرارٍ، لو اختَلَّ شيءٌ منها طَرفةَ عينٍ لفسَدَت السماواتُ والأرضُ ومَن فيهنَّ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾[فاطر: ٤١]. إن السُّنَن الإلهيَّة التي بثَّها الله في الكَون والأنفُسِ والمجتمعاتِ سُننٌ ثابِتةٌ مُستقِرَّة، ومُضطرِدةٌ لا تتبدَّلُ ولا تتحوَّلُ، وذلك من أعظم صِفاتِها، كما قال ربُّنا – سبحانه –: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. سُننٌ شامِلةٌ للعالَمِ كلِّه علويِّه وسُفلِيِّه، شامِلةٌ للحياةِ كلِّها وأحداثِها وتقلُّباتها، فربُّنا – سبحانه – في كل لحظةٍ وفي كل يومٍ هو في شأنٍ، وكلُّ شيءٍ عنده بمِقدار، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]. إنها السُّننُ الإلهيَّة الثابِتةُ المضطرِدةُ الشامِلةُ التي لا تُحابِي أحدًا دُون أحدٍ، ولا تُجامِلُ أمَّةً دُون أُخرى، فكلُّ من حقَّت عليه سُنَّةُ الله فهي واقِعةٌ به ولا شكَّ، عصَى الرُّماةُ أمرَ رسولِ الله – صلى الله عليه وآله وسلم – في أُحُد، فهُزِمُوا مع أنهم كانُوا على الحقِّ؛ لأن سُنَّةَ الله لا تُحابِي أحدًا. ونصرُ الله وإعزازُه وإكرامُه ينزِلُ إلى الناس وفقَ سُننٍ دقيقةٍ مُحكَمةٍ، والهزيمةُ والذِّلَّةُ يستحِقُّها الناسُ وفقَ سُننٍ مُحدَّدةٍ واضِحةِ المعالِم، بيِّنةٍ لا خفاءَ بها ولا غُموضَ، وتلك صِفةٌ أُخرى من صِفات السُّنن الربَّانيَّة لمن تأمَّل وتفكَّر، وأحسنَ استِعمالَ عقلِه في استِخراج واستِنباطِ السُّنن، ورأَى كيف أن أحداثَ الحياةِ والتاريخِ والأُمم تَسِيرُ وفقَ هذه السُّنن العَجيبةِ الواضِحة البيِّنة. أما الغافِلُون عن هذه السُّنن الإلهِيَّة، اللاهُون عنها فسوف تفجَؤُهم الأحداثُ، وتحِقُّ عليهم سُننُ الله، وسيعُضُّون أصابعَ النَّدَم،

ولاتَ ساعةَ مندَم، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [غافر: ٨٥].

أمة الإسلام: إن السُّنن الإلهيَّة في الأنفُس والآفاق والمجتمعات كثيرةٌ ومُتنوِّعةٌ بتنوُّع مُتعلَّقاتها؛ فهناك سُننٌ كونيَّةٌ طبيعيَّةٌ، وهناك سُننٌ اجتماعيَّةٌ، وسُننٌ حضاريَّةٌ اقتصاديَّةٌ، وسُننٌ تاريخيَّةٌ، وسُننُ الاستِخلاف والتمكين. وقد بيَّن الله – سبحانه وتعالى – كثيرًا منها في كتابِه، وعلى لِسانِ رسولِه – صلى الله عليه وآله وسلم –، وأمرَنا – سبحانه – أن ننظُرَ ونتأمَّلَ في الآياتِ والنُّذُر، وأحداثِ التاريخ والقصص القُرآنيّ؛ لكَي تنشَأَ عقولٌ ناضِجةٌ مُدرِكَةٌ لهذه السُّنن التي تحكمُ المجتمعَ الإنسانيَّ وطبائعَ الأشياء، ولتكون مُؤهَّلةً لتفسيرِ ظواهِرِ الكون، والنظَر والاعتِبار بمآلاتِ الأمورِ وعواقِبِها، وموازِينِ النُّهوض والسُّقوطِ، والتداوُل الحضاريّ، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال – سبحانه –: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]. فالله – عزَّ وجل – قد أوضحَ هذه السُّنن أيَّما إيضاح، وأرادَ منَّا – سبحانه – أن نتعلَّم علمَ السُّنن، ونتفقَّهَ فيه؛ لكَي نُحسِنَ الاستِفادةَ منه في حياتِنا وأمورِنا، وتقدُّمِنا وحضارتِنا. ولا جرَمَ – عباد الله – أن هداياتِ القرآن وقواعِد السنَّة قد تضمَّنَت خُلاصَةَ السُّنن الربَّانيَّة التي تحكُمُ الحياةَ والكَون، وتربِطُ الأسبابَ بالمسبَّباتِ، والمقدِّمات بالنتائِجِ، في سِياقاتٍ وأُطُرٍ دقيقةٍ مُحكَمة، تظهرُ في حديثِ القرآن والسنَّة عن أخبارِ الأولين ومصارِعِ المكذِّبين، وأحوال الأُمم والممالِك، والنصر والهزيمة، حديثًا مبنيًّا على هذه السُّنن الإلهيَّة القاطِعة الصارِمة التي لا تستَثني أحدًا. والبشريَّةُ دائمًا في حاجةٍ شديدةٍ إلى دوامِ التذكيرِ بهذه السُّنن، والتنبيهِ عليها، كما قال ربُّنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[إبراهيم:٥].

أمة الإسلام: إن هذه السُّنن الربَّانيَّة منها ما هو عامٌّ يُمكِنُ لكل البشريَّةِ أن يستفيدُوا منها، وهي ليسَت حِكرًا على أحدٍ، وقد يفتَحُ الله على البشريَّةِ في زمنٍ من معرفةِ هذه السُّنن العامَّة ما لم يفتَحه على مَن كان قبلَهم. وهذه السُّنن الربَّانيَّةُ العامَّةُ هي الأكثَرُ عددًا، والأوسَعُ مساحةً في التاريخ البشريّ؛ كالسُّنن الآفاقيَّة والنفسيَّة، والسُّنن المتعلِّقة بهذا الكَون وجرَيَان أمورِه على وفقِ تدبيرِ الله – سبحانه وتعالى –، وتعاقُبِ الليل والنهار، وسَير الشمس والقمر، وسُنن الخلق والاجتماع، والإنشاء والبِناء، والعُمران والحَضارات، والاستِفادة من خيراتِ الأرض ومفاتيح عِمارتها في التقدُّم العلميّ والحضاريّ. فكلما أحسَنَت البشريَّةُ فِقهَ هذه السُّنن الربَّانيَّة العامَّة وأتقنَت التعامُلَ معها، عاشَت عيشةً حسنةً، وهنِئَت هناءً في حياتها لا نظيرَ له.

ولقد أبدعَ المسلمون الأوائلُ في الحضارة والتقدُّم والرُّقِيِّ؛ لاكتِشافهم هذه السُّنن، ولحُسن تعامُلهم معها والاستِفادة منها، فلما تخلَّوا عن ذلك، وغفَلَت الأجيالُ المتعاقِبةُ عن سُنن الله، ولم يُحسِنُوا التعامُلَ معها، جاءَت الأُمم الأُخرى فأمسَكَت بناصِيةِ الحضارة والقوَّة، مُستفيدةً من علومِ المسلمين وتجارِبِهم، واكتِشافهم سُنن الله في الكَون والحياة، فعمِلُوا على وفقِ هذه السُّنن الربَّانيَّة، فاستحَقُّوا طرَفًا من العطاء الربَّانيّ المفتُوح لكلِّ من وافَقَ هذه السُّنن، وأحسنَ الاستِفادةَ منها، ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]. ولكن – يا عباد الله – هذا الفتحُ الدنيويُّ الذي ترَونَه قد فُتِح عليهم، وأُغدِقَت عليهم فيه النِّعَم، وهم بعِيدُون عن الله، قد غرِقُوا في الشَّهوات واللذَّات، إنما هو في الحقيقةِ فَتحٌ ماديٌّ أجوَفُ، قد خلَا من البركة والطُّمأنينة ورِضا الله، وهو يجرِي أيضًا وفقَ سُنَّة الاستِدراجِ والإملاء والإمهال، كما قال ربُّنا – سبحانه –: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

وثبَتَ عند أحمد والطبرانِيّ: عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه قال: «إذا رأيتُم اللهَ يُعطِي العبدَ من الدنيا ما يُحبُّ، وهو مُقيمٌ على معاصِيه، فإنما ذلك استِدراجٌ».

وقد يطُولُ ذلك الاستِدراجُ والإمهالُ، وقد يقصُر، سُنَّةٌ ربَّانيَّةٌ لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]. أمة الإسلام: ومن سُنن الله الثابِتة المطَّردة: سُننُه المتعلِّقةُ بنَصر دينِه وشَرعِه وأوليائِه وحِزبِه، وسُنن نُزولِ العذابِ وإهلاكِ الأُمم، وغيرها، فهذه سُننٌ خاصَّةٌ بيَّنَها ربُّنا – سبحانه وتعالى – أحسنَ بيانٍ؛ حيث جاء التأكيدُ على أن التوحيدَ والعملَ الصالِحَ هو السبيلُ الأوحَدُ لنَصر الأمةِ وتمكينِها في الأرض، مع الإعداد والقوَّة الماديَّة، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾[النور: ٥٥]، وقال – سبحانه –: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وبيَّن القرآنُ أن أعداءَ الأمة لهم وقتٌ وأجلٌ مُعيَّن، فإذا جاءَ أجَلُهم نزلَ بهم العذابُ، وقد يشُكُّ البعضُ في ذلك؛ لما يرَى من تطاوُلِ أُمم الكُفر واستِعلائِها، وما علِمُوا أن ذلك يجرِي وفقَ سُنَّة ربَّانيَّة، وأن سُنَّة الله في إهلاكِ الظالِمين والطُّغاة قد تطُولُ، ولما تتحقَّقُ على أرضِ الواقِعِ، وقد تذهبُ أجيالٌ وتأتِي أجيالُ، ثم تقَعُ سُنَّةُ الله في الظالِمين والطُّغاة، فلا يستأخِرُون عنها ولا يستقدِمُون. ودعوةُ المظلُوم ينصُرُها الله ولو بعد حينٍ. عبادَ الله: ومن أجَلِّ السُّنن الربَّانيَّة: قولُه – سبحانه –: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ

لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وأن مُخالفةَ الرسولِ - صلى الله عليه وآله وسلم -، وعِصيانَ أوامِرِه أوسَعُ أبوابِ الفشَلِ والهزيمةِ، والهلاكِ العامِّ، وظُهورِ الفساد في البَرِّ والبَحرِ. ومن ألطَفِ سُنن الله وأدَقِّها: أن التغييرَ للخير والشرِّ لا يحصُلُ إلا إذا ابتدَأَ به العبدُ نفسُه، كما قال - سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]؛ فالبشرُ هم المسؤولون ابتِداءً عن الصلاحِ والإصلاحِ، وهم المسؤولون كذلك عن الفسادِ والانحِطاط. ومن السُّنن الربَّانيَّة: سُنَّةُ المداوَلَة بين الناس؛ فيومًا رخاءٌ ويومًا شدَّة، ويومًا نصرٌ ويومًا هزيمة، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. ومن آثار سُنَّة المداوَلَة هذه: أن يظهرَ الخبيثُ والمنافِقُ، ويتميَّزَ عن المؤمن الصادِقِ، وتلك سُنَّةُ التمييز العَجيبَة،

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. ولقد جاء البيانُ المشرِقُ في القرآن والسنَّة مُؤكِّدًا على أن فشُوَّ الظُّلم والبغي، وغِياب العدل، وانتِشار المعاصِي والذنوبِ، والمجاهَرة بها، والتَّرَفَ والإسرافَ من أعظم أسبابِ تغيُّر الأحوال، وزوال النِّعَم، وفُجاءَة النِّقم، ونقصِ العافِيَة والأرزاقِ، وقسوَة القلوبِ، وتناكُر النفوسِ وتباغُضِها، وتسليطِ بعضِ المسلمين على بعضٍ بالقولِ والفعلِ. كما قال ربُّنا - سبحانه -: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٥- ٤٧]. قال ابنُ جريرٍ - رحمه الله -: "يعني: أو يُهلِكَهم بتخوُّفٍ، وذلك بنقصٍ من أطرافِهم ونواحِيهم الشيءَ بعد الشيء؛ حتى يُهلِكَ جميعَهم". وقال - سبحانه -: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، وقال - سبحانه -: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقال —سبحانه ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾[المائدة١٤] وقال - سبحانه -: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]. وثبَتَ عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: «إنما أهلَكَ مَن كان قبلَكم: أنهم كانُوا إذا سرَقَ فيهم الشَّريفُ ترَكُوه، وإذا سرَقَ فيهم الضَّعيفُ أقامُوا عليه الحَدَّ، وايمُ الله؛ لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرَقَت لقطعتُ يدَها».

عباد الله: ومن سُنن الله العظيمة الأثَر: سُنَّةُ المدافَعَة، أن يدفعَ الله الشرَّ بالخيرِ، والضلالَ بالهُدى، والمفسِدين بالمصلِحين، وهي من أعظم السُّنن التي تحفَظُ نِظامَ الكَون، وتحفَظُ الناسَ من الفسادِ والهلاكِ العامِّ، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفَعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ ما تسمَعون، وأستغفِرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفِرُوه، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

اللهم لك الحمدُ حتى ترضَى، ولك الحمدُ إذا رضِيتَ، ولك الحمدُ بعد الرِّضا، والصلاةُ والسلامُ على خليلِ الرحمن، وشَفيعِ المؤمنين: نبيِّنا وسيِّدنا محمدٍ، وعلى أبَوَيه الرُّسولَين الكريمَين: إبراهيم وإسماعيل، وعلى الآلِ الطيبين، والصحابةِ الأكرَمين، والتابعين لهم إلى يوم الدين. وبعد .. أيها المسلمون: إن أحداثَ الكَون والحياة والتاريخِ، وسِيَر الأُمم وارتِفاعها وانخِفاضِها، ورَغَد عيشِها وبُؤسِه، وضِيقِه وبحبُوحَته، وقيامِ الممالِكِ وزوالِها، وازدِهارِ العُمران وتخلُّفِه، كلُّ ذلك يتمُّ ويمضِي وفقَ سُننٍ ربَّانيَّةٍ صارِمةٍ قاطعةٍ، لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ، وهي مُتكرِّرةٌ مع وجودِ الحالِ المقتضِي لذلك. والمسلمُ العاقلُ الحَصِيفُ هو من يسعَى إلى التعرُّفِ على هذه السُّنن الإلهيَّة، ويتفقَّهُ في دلالاتها وآثارِها، من خلالِ الآياتِ والنُّذُر، وأيامِ الله، والتأمُّل في القصَص القرآنيّ والتاريخِ الغابِر، وقراءَتِه قراءةَ عِبرةٍ وعِظةٍ، ويتفكَّرُ في الأحداثِ والمواقِف؛ ليستكشِفَ هذه السُّنن التي هي غايةٌ في العدلِ والثَّباتِ والاضطِراد، وفي ذلك فوائِدُ كثيرةٌ، وثمراتٌ عُظمَى لا تُحصَى. فالمسلمُ الذي يفقَهُ هذه السُّنن العامَّة والخاصَّة يعرِفُ كيف تسِيرُ أقدارُ الله، ويقِفُ على شيءٍ من حِكَمها وغاياتِها وعِلَلها، فيُوافِقُ هذه السُّنن ولا يُصادِمُها، فيُرزَق البصيرَةَ والتوفيقَ والطُّمأنينةَ والثقةَ بالله، وينظُرُ في الأحداثِ بنُورٍ من الله، ويعظُمُ إيمانُه بربِّه؛ لأنه يعلَمُ أن الأمورَ كلَّها بأسبابِها ومُسبَّباتِها، ونتائِجِها ومُقدِّماتها هي بيَدِ الله وحدَه، فهو المعِزُّ المذِلُّ، الرافِعُ الخافِضُ، الباسِطُ القابِضُ، المعطِي المانِعُ، مُقدِّرُ الأقدار، ومُصرِّفُ الأكوان. والمسلمُ الواعِي الذي يفقَهُ هذه السُّنن ينتفِعُ بها في حياتِه ومعاشِه، ويعرفُ طُرُقَ ووسائِلَ العِزَّة والحياةِ الكريمة، ووالله إنه ليرَى أثرَها في حياته وخاصَّة أمرِه، ويتلمَّسُها ظاهرةً في أسبابِ غِناه وفَقرِه، وعلُوِّه وهُبُوطِه، وعِزِّه وذِلَّتِه، واستِقامَتِه وتعثُّرِه. أمة الإسلام: هذه السُّنن الربَّانيَّةُ الصارِمةُ الشامِلةُ تُؤكِّدُ أن هذه الحياةَ ليست عبَثًا ولا فوضَى ولا همَلًا، بل هي حياةٌ قائمةٌ على نوامِيس وسُنن وقوانِين؛ فمَن يعمَل خيرًا يُجزَ به، ومَن يعمَل سُوءًا يُجزَ به، والله لا يُضيعُ أجرَ المحسِنين.

ومن يفعَلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوازِيَهُ *** لا يذهَبُ العُرْفُ بين اللهِ والناسِ

واستِشرافُ هذه السُّنن، واستِكشافُها ومُوافقتُها يُحيِي في الإنسان الشُّعورَ بالإنسانيَّة والأمانة، ويصنَعُ منه رجُلًا عامِلًا مُجِدًّا مُثمِرًا بنَّاءً؛ لأنه يعلَمُ أنه أمام سُنن وقوانِين لا تُحابِي أحدًا، ولا تستَثنِي فردًا، بخِلافِ من يُهمِلُ علمَ السُّنن ويُغفِلُه، ولا يُقيمُ له وزنًا، فإنك تراه يتَّبشعُ هواه، ويُخالِفُ هذه السُّنن الربَّانيَّة ويُعانِدُها، فيعيشُ حياةَ الفوضويَّة والعبَثِيَّة والتفريطِ، والتَّبعِيَّة والانهِزاميَّة، ثم إذا نزلَت به قارِعة، وغرِقَت به السفينة قال: أنَّى يكونُ هذا؟! ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. فكلُّ مَن أعرضَ عن سُنن العِزَّة والتمكينِ والحياةِ الكريمةِ المبارَكةِ، فإنه سوف يُخذلُ من حيث كان يظُنُّ أنه سيُوفَّق، وسيُهانُ ويُذلُّ من الجهةِ التي كان يعتقِدُ أنها ستُكرِمُه وتُعزُّه، وترَى الفقرَ بين عينَيه، قد شتَّتَ الله عليه أمرَه، وجعلَه فُرُطًا. سُنَّةٌ ربَّانيَّةٌ لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ، فاعتبِرُوا يا أُولِي الألبابِ والعقولِ والبصائرِ، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]. أيها المسلمون: السُّننُ الربَّانيَّةُ المبثُوثةُ في الكَون والحياة كثيرةٌ جدًّا ومُتنوّعة، ولقد تحدَّث القرآنُ عنها في سُورٍ كثيرةٍ، وأفاضَ فيها بأسلوبِه المعهُود حلاوةً وطَلاوةً وتأصيلًا، كما في سُورة آل عمران، والأعراف، والأنفال، والتوبة، وهُودٍ، وإبراهيم، والإسراء، والكهف، والحجِّ، والنُّور، وغافِر، وغيرها كثيرٌ جدًّا، وتكاثَرَت النماذِجُ والأمثالُ النبويَّةُ في السنَّة المشرَّفَة والسِّيرة العطِرَة. فدُونَكم – يا مُسلمون – كلامَ الله، وسُنَّةَ نبيِّه – صلى الله عليه وآله وسلم – وسِيرتَه المبارَكة؛ ففيها الهُدى التامُّ، والنُّورُ التامُّ، والكمالُ والجمالُ والجلالُ، والموفَّقُ السعيدُ مَن وفَّقه الله وبصَّرَه، وزكَّى قلبَه ونوَّرَه، والمخذُولُ المحرُومُ مَن أعرضَ عن هَديِ ربِّه واتَّبَعَ هوَاه ونسِيَ اللهَ، فانفرَطَت عليه أمورُه، وخبَطَ في هذه الحياةِ خَبطَ عشوَاء، فلم يُبالِ اللهُ به في أي أودِيَتِها هلَك، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢١، ٢٢]. ثم صلُّوا وسلِّموا على سيِّد البشرية وهادِيها وسراجِها المنير: نبيِّنا وحبيبِنا وسيِّدنا محمدٍ، فإن الله – عزَّ وجل – قد أمَرَنا بالصلاةِ والسلامِ عليه؛ حيث قال في مُحكَم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦].

الخطبة الرابعة عشر ٢ شعبان ١٤٣٨هـ

بعنوان: جنّة الدنيا في معرفة الله تعالى

الخطبة الأولى:

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفِرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحْدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آلهِ وأصحابِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتَّقوا الله – عبادَ اللهِ –، واعلَموا أن المتَّقين لا يخافُون من أحداثِ المستقبَل، ولا هم يَحزَنُون على ما فاتَهم في الماضِي؛ لأنهم عرَفُوا اللهَ حقَّ معرفَتِه، فاشتَغَلُوا برِضاه –سبحانه–، وبما ينفَعُهم في حاضِرِهم ولحظَتهم، ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

أيها المسلمون: إن لله تعالى جنَّتَين: جنَّة مُعدَّلة في الدنيا، هي وسيلةٌ وطريقٌ إلى الجنَّة الأُخرى جنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ، وكثيرٌ من الناسِ خرَجُوا من الدنيا وهم لم يذوقُوا طعمَ جنَّة الدنيا المعجَّلة، ولم يعرِفُوا لها رَسمًا ولا وَسمًا، مما كان سببًا لجفافِ الأرواحِ، وصدَأ القلوبِ، وتناكُرِ النفوسِ، واستِيلاءِ أمراضِ الشَّهوات والشُّبُهات على العقولِ والقلوبِ. إن هذه الجنَّة المعجَّلَة في الدنيا هي جنَّةُ المعرفةِ بالله والصِّلةِ به، تلك المعرِفةُ الحقَّةُ الحيَّةُ النَّابِضةُ، إنها جنَّةٌ – واللهِ – وأيُّ جنَّةٍ؟!

مَن ذاقَها، وتنعَّمَ بها، وارتشَفَ رحيقَها لم يَبغِ عنها حِوَلًا، ولم يطلُب غيرَها بدَلًا، إنها أُنسُ المؤمنين، وبَهجةُ الموحِّدين، ولذَّةُ الصادِقين.

ومهما سعَى الناسُ في طلبِ اللذَّة والسعادةِ والطُّمأنينةِ فلن يجِدُوها على الحقيقةِ والدوامِ إلا في معرفةِ الله والأُنسِ به، واستِحضارِ قُربِه ومعيَّتِه –سبحانه–، التي تَفيضُ على العبدِ ألوانًا من الحُبُورِ والسُّرورِ والرِّضا، وفرحِ القلبِ، ونَشوةِ النَّفسِ، حتى إنه ليعبُدُ اللهَ كأنَّه يراه، فيكونُ الله تعالى سمعَه الذي يسمَعُ به، وبصَرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يبطِشُ بها، ورِجلَه التي يمشِي بها. فأيُّ حياةٍ يعيشُها هذا العبدُ؟! وأيُّ سعادةٍ يتلذَّذُ بها مَن وصَلَ إلى هذه المرحَلَة من الإيمانِ والمعرِفةِ والإحسانِ؟!

أمة الإسلام: إن معرفةَ الله هي بابُ التوحيدِ الأعظَم، ومنشُورُ الوِلايةِ الأقوَم، ومَن رسَخَت في قلبِه هذه المعرِفةُ، وعرَفَ اللهَ بأسمائِه وصِفاتِه وربوبيَّته وأفعالِه، دخلَت قلبَه أنوارُ التوحيد ولا بُدَّ، فلا يعبُدُ إلا الله، ولا يسأَلُ إلا الله، ولا يصرِفُ ألوانَ العبوديَّة كلها إلا لله وحدَه. ولن يصِلَ عبدٌ إلى تحقيقِ التوحيدِ الخالِصِ لله إلا بالمعرِفةِ الحقَّه به – سبحانه وتعالى–، وهذه هي طريقةُ القرآن في تقريرِ توحيدِ الألوهيَّة، أنه يستدِلُّ بمعرِفةِ الله وأسمائِهِ وصِفاتِهِ وربوبيَّته على توحيدِ الألوهيَّة والإلزامِ به، كما في قوله:﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وكما في الآياتِ التي في سُورة النَّمل التي يُعدِّدُ الله فيها نِعَمَه وبديعَ مخلُوقاتِه، ثم يُقرِّرُ مُلزِمًا: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾؟!. ويقولُ –سبحانه–: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]، والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ جدًّا.

إن امتِلاءَ القلوبِ بمعرِفةِ الله وتوحيدِه وإجلالِه يُخرِجُ منها فسادَها وأمراضَها وكِبرَها وعلُوَّها، ويُزكِّي النُّفوسَ والأرواحَ، ويُؤسِّسُ فيها معانِيَ الإيمان، وحقائِقَ اليقين، والتوكُّل، والإخلاصِ، والصِّدقِ، فيُصبِحُ العبدُ ويُمسِي في نعيمٍ لا يُشبِهُه نعيمٌ، واثِقٌ بربِّه، غنيٌّ بمَولاه، عزيزٌ بسيِّده، راضٍ بأفعالِه، مُطمئنٌّ لأقدارِه، قد تحرَّرَ من عبوديَّة الخلقِ والدِّرهَم والدِّينار، وحُظوظِ الشَّرفِ والجاهِ، وصارَ عبدًا لله وحدَه الذي عرَفَه وعرَفَ أنه الذي بيدِه مفاتِيحُ كلُّ شيءٍ – سبحانه–، وهو الغنيُّ له مقالِيدُ السماوات والأرض. أيها المسلمون: إن توحيدَ الربوبيَّة والأسماء والصِّفات الذي هو توحيدُ المعرِفةِ والإثباتِ هو أساسُ اليقين والإيمان، ومُحرِّكُ القلوبِ إلى علَّام الغيُوب، وإفرادِه بالعبادةِ والتوجُّه والقَصد، وهو الوَقودُ الحيُّ الفعَّالُ لحياةِ النفوسِ وثباتِها، وسعادةِ الأرواحِ، والعاصِمُ لها مِن وساوِسِ الشيطان وأفكارِ الرَّدَى والضلالِ. ولذلك فإن الله –سبحانه– يُحبُّ مِن عبادِه أن يعرِفُوا، وينظُرُوا في بَديعِ صُنعِه وأفعالِه، ويتفكَّرُوا في مخلُوقاتِه، ومن هنا كان القرآنُ كلُّه في تعريفِ الخلقِ بربِّهم –سبحانه–، والحديثِ عنه وعن أسمائِهِ وصِفاتِه وأفعالِه وتشريعاتِه الحَكِيمة، ورَبطِ القلوبِ به –سبحانه–؛ لكَي تُشرِقَ عقولُهم وأرواحُهم بإفرادِ ربِّهم –سبحانه وتعالى– بالقَصدِ والطلَبِ، الذي هو توحيدُ العبادةِ والألوهيَّة، فهما مُتلازِمان – ولا بُدَّ –: توحيدُ المعرفةِ والإثباتِ، وتوحيدُ العبادةِ والطلَبِ، لا ينفَكَّانِ عن بعضِهما. وهذا هو الطريقُ، هذا هو السَّبيلُ – عباد الله –، هذا هو المنهَجُ الصحيحُ في تربيةِ الناسِ ودعوَتهم، والأصلُ في المبتدَا والمنتهَى في كل خِطابٍ دعويٍّ.

ولقد أخطأَ كلَّ الخطأ مَن سلَكَ غيرَ هذا السَّبيلِ في التربيةِ والدعوةِ، وظنَّ أنه يُمكنُ إصلاحُ قلوبِ الناسِ وعقولِهم بفَلسَفاتٍ وأفكارٍ لا طائِلَ تحتَها إلا الحَيرةُ والقلَقُ، أو بلُعاعةٍ من الدنيا ومادِّياتِها، أو بنَعَراتٍ وعصبيَّاتٍ جاهِليَّةٍ حِزبيَّة. ألا ليتَ الدُّعاةَ والمصلِحين وأربابَ الأقلام في وسائل الإعلامِ وغيرِها يستشعِرُون فَداحةَ الخَطبِ، وحَمَ الخسارةِ حينما ينشغِلُوا بأمورٍ جُزئيَّةٍ فرعيَّةٍ، ويغفلُون عن هذا الأصلِ العظيمِ الذي به حياةُ القلوبِ والعقول واستِقامتُها وفلاحُها، وهو السِّياجُ المنِيعُ لكلِّ المجتمع ضدَّ أفكارِ التطرُّفِ والشُّبُهات وأمراضِ الهوَى والشَّهَوات.

وواللهِ الذي لا إلهَ غيرُه لن تصلُحَ أمَّتُنا إلا بالتوحيدِ الصحيحِ، وقُوَّة المعرفةِ بالله تعالى والتعلُّقِ به، وما انتَكَسَ المنتَكِسُون وتنكَّبُوا طريقَ الهُدى، وارتَدُّوا على أدبارِهم إلا بسَبَبِ ضَعفِ المعرفةِ بالله، وهَشاشَةِ العلاقةِ به –سبحانه– ، مما كان سبَبًا لتزلزُلِ القلوبِ، وتغيُّر المبادِئ، وانسِلاخِ اليَقين من القلوبِ لأولِ عارِضٍ، ولبارِقِ طمَعٍ، ولشَوبِ غرضٍ ومصلَحةٍ. أمة الإسلام: إن تحقيقَ المعرِفةِ بالله، وقُوَّة التعلُّق به –سبحانه–، وامتِلاءَ القلوبِ بجلالِه وعظَمَتِه هو ينبُوعُ التوحيدِ الصحيحِ ومادَّتُه الكُبرى. وكيف لا والله – سبحانه وتعالى – هو أحقُّ مَن ذُكِر، وأعظمُ مَن دُعِي، وأكرَمُ مَن سُئِل، وأرحَمُ مَن رُجِي، وأرأَفُ مَن ملَكَ، نَعماؤُه تَترى، وآلاؤُه لا تُحصَى، عنده خزائِنُ كلِّ شيءٍ، يُنفِقُ كيف يشاء، يدُه ملأَى لا تَغِيضُها نفقةٌ، سحَّاءُ الليلِ والنهار. ولو اجتمَعَ الخلقُ كلُّهم في صَعيدٍ واحدٍ فسألُوه وسأَلُوه، حتى يعجَزُوا عن المسألةِ، ما نقَصَ مِن مُلكِه وخزائِنِه شيءٌ أبدًا، ذلك بأن الله ملِكٌ جَوادٌ ماجِدٌ كريمٌ غنِيٌّ. هو الأولُ والآخرُ، والظاهِرُ والباطِنُ، مُحيطٌ بخَلقِه، لا يخرُجُ أحدٌ عن سُلطانِ قَهرِه، يخفِضُ القِسطَ ويرفَعُه، حِجابُه النُّور لو كشَفَه لأحرَقَت سُبُحات وجهِه ما انتَهَى إليه بصَرُه، هو ملجَأُ المضطرِّين، وملاذُ المستجِيرين، وغِياثُ الملهُوفِين، وسِعَ كلَّ شيءٍ عِلمًا، وعنده مفاتِحُ الغيبِ لا يعلَمُها إلا هو، يعلَمُ ما كان، وما سيكُون، وما لم يكُن لو كان كيف يكون، لا يعزُبُ عن علمِه مِثقالُ ذرَّةٍ في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغَرُ من ذلك ولا أكبَرُ. فلا إله إلا الله! ما أعظمَ الله! ولا إله إلا الله! ما أجَلَّ الله! له –سبحانه– الكمالُ والجلالُ والجمالُ المطلَقُ في أسمائِهِ وصِفاتِهِ وأفعالِهِ، واحِدٌ أحدٌ، مُدبِّرٌ حكيمٌ، وربٌّ قديرٌ، لا شيءَ يعدِلُه، ولا شيءَ يُشبِهُه، وليس كمِثلِه شيءٌ، ولا يَؤُودُه شيءٌ، ولا يتعاظَمُه شيءٌ، وكلُّ شيءٍ عليه هيِّنٌ ويسيرٌ، لا تبلُغُه الأوهام، ولا تُدرِكُه الأبصارُ والأفهامُ، حيٌّ لا يمُوتُ، قيُّومٌ لا ينامُ، يُمسِكُ السماوات والأرضَ أن تَزُولَا، خلَقَ الخلقَ كلَّهم بلا حاجةٍ إليهم، ورزَقَهم كلَّهم بلا كُلفةٍ ولا مشقَّةٍ، ثم يُميتُهم ولا يُعجِزونَه، ثم يبعَثُهم ويُحاسِبُهم كلَّهم وهو أهوَنُ عليه. هو الملِكُ –سبحانه– يُؤتِي مُلكَه مَن يشاءُ بفَضلِه، ويَنزِعُه ممَّن يشاءُ بعَدلِه، ذلَّت له الرِّقابُ، وسجَدَت لعَظَمتِه الجِباهُ، وانكسَرَت لقُوَّته الجَبابِرةُ والطُّغاةُ، يُمهِلُ

الظالِمِين، ويمُدُّهم في طُغيانِهم يَعمَهُون، حتى إذا بغَوا وأسرَفُوا أخذَهم أخذَةَ أسَفٍ لا تُبقِي منهم ولا تَذَر، ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]. كلَّ يومٍ هو شَأنٍ، ومراسِيمُ قضائِهِ وقدَرِه نافِذةٌ نازِلةٌ، لا رادَّ لقضائِهِ، ولا مُعقِّب لحُكمِه، ولا غالِبَ لأمرِه، قائِمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسَبَت، وقائِمٌ على هذا الكَونِ بأَسرِه، يحفَظُه ويُدبِّرُه ويُصرِّفُه بعلمِه وقُدرتِه وحِكمتِه. هو الجبَّارُ -سبحانه-، المنَّانُ اللَّطِيفُ الرَّحمنُ، جبَرَ قلوبَ أوليائِه، ومَنَّ على الذين استُضعِفُوا في الأرضِ ومكَّنَ لهم، والله لَطِيفٌ بعبادِهِ؛ فكَم مِن شدَّةٍ فرَّجَها الله؟! وكَم مِن نازِلةٍ كان لها الله؟! وكَم مِن كُرُباتٍ وأهوالٍ درَأَ شرَّها الله ذو العِزَّةِ والجبَرُوت والمَلَكُوت؟! صغُرَ دُون جلالِه كلُّ كبيرٍ، وذَلَّ مع كِبريائِهِ كلُّ عزيزٍ، وتهاوَى أمامَ عظَمَتِه كلُّ عظيمٍ، يسمَعُ دَبِيبَ النَّملةِ السَّوداء على الصَّخرةِ الصَّمَّاء، ويرَى مَدَّ البَعُوضِ جَناحَها في ظُلمةِ الليلِ البَهِيمِ الأليَلِ، لا تُشغِلُه أصواتُ الدَّاعِين، ولا تُعجِزُه حاجاتُ السَّائِلِين على تفنُّنِ مطالِبِهم، واختِلافِ ألسِنَتِهم، يعلَمُ ما يُسِرُّون وما يُعلِنُون في كل الأحوال، وحين يستَغشُون ثِيابَهم، إنه عليمٌ بذاتِ الصُّدُور. هو الله القادِرُ القديرُ المقتَدِر، الخافِضُ الرافِعُ، المعطِي المانِع، لا ينفَعُ مع منعِه سعيٌ وبَذلُ مجهُودٍ، فكَم مِن مُجتَهِدٍ حرِيصٍ لكنَّه محرُومٌ؟! ولا يمنَعُ مع إعطائِهِ عَجزُ عاجِزٍ، ولا مَنعُ مانِعٍ، فكَم من عاجِزٍ ضعِيفٍ لكنَّه مرزُوقٌ وافِرُ المقسُوم. هو الله الرحمنُ الرحيمُ، ذو الرَّحمة الشامِلة العامَّة لكلِّ مخلُوقاتِه، وذو الرَّحمة الخاصَّة لأوليائِهِ وأحبابِه، يفتَحُها عليهم ولا مُمسِكَ لها، فتَطِيبُ حياتُهم، وتحلُو معها مرارَةُ الأقدار، وتتنعَّمُ بها أرواحُهم التي مسَّها تعَبُ الحياةِ ووهَجُها. ألا إنه هو الله الذي لا إله إلا هو المستحِقُّ للثَّناءِ والحَمدِ والمدحِ، لا نُحصِي ثَناءً عليه.

أيها المسلمون: لا شيءَ أحلَى من الحديثِ عن الله، ولا خِطابَ أشهَى من أن يكونَ في مِدحَةِ الله؛ فهو الذي يَشفِي النفوسَ ويُسعِدُها، ويُذهِبُ حُزنَها وخوفَها. فيا لله! كَم ضاعَت منَّا الأعمارُ في بُنَيَّات الطريقِ؟! وكَم ذهَبَت منَّا الساعاتُ في لَهوٍ وقِيلٍ وقالٍ؟! ويا لله! ما أشدَّ غفلَتَنا عن ذِكرِ ربِّنا ومعرِفَتِه؟! وما أعظمَ حسرتَنا على نقصِ حظِّنا من الأُنسِ به والعيشِ معَه -سبحانه-؟! وما سبَقَنا السابِقُون المقرَّبُون الأبرارُ بكَثرةِ صِيامٍ ولا صلاةٍ ولا صدَقةٍ، ولكنَّه بشيءٍ وقَرَ في قلوبِهم، ورسَخَ في نفوسِهم، هو قُوَّةُ المعرِفةِ، قُوَّةُ معرِفتِهم بربِّهم -سبحانه-، وشِدَّةُ تعلُّقهم به، وحُبُّهم له، فذاقُوا أطيَبَ وأحلَى وأشهَى ما في هذه الدنيا، حتى إن القلبَ ليهتَزُّ فرَحًا بهذا النَّعيم، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. بارَكَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفَعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ ما تسمَعون، وأستغفِرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفِرُوه، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله العليّ الأعلَى، الذي خلَقَ فسوَّى، والذي قدَّرَ فهَدَى، أحمَدُه -سبحانه- وأشكرُه، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على نبيِّ الهُدى والخليلِ المصطفَى، أعرَف الخلقِ بربِّه، وأتقَاهم وأخشَاهم له، وعلى آلِه السَّادة الشُّرفَا، وأصحابِهِ الأولياءِ النُّجَبَا، والتابِعِين لهم بإحسانٍ إلى يوم القيامةِ الكُبرى. وبعد .. أيها المسلمون: معرِفةُ الله نوعَان: معرِفةُ إقرارٍ واعتِرافٍ فحسب، وهذا اشتَرَكَ فيها الناسُ كلُّهم حتى المشرِكُون، لكنَّها لم تنفَعهم في النجاةِ والفلاحِ؛ لأنها معرِفةٌ بارِدةٌ هامِدةٌ، لم تُثمِر لهم التوحيدَ، ولم تُحرِّك قلوبَهم إلى الله تعالى حُبًّا وإخلاصًا. والنوعُ الثاني: هي معرِفةٌ خاصَّةٌ زائِدةٌ على مُجرَّد الإقرارِ بامتِلاءِ القلبِ بتعظيمِ الله وإجلالِه، الذي يستلزِمُ إفرادَ الله بالتوحيدِ والعبادةِ والمحبَّة والخشيَةِ والتوكُّل. فيشعُرُ العبدُ بالقُربِ من فاطِرِه ومولاه، فلا يخشَ إلا الله، ولا يخافُ إلا ربَّه، ولا يرجُو إلا الله، ولا يتذلَّلُ إلا لمالِكِ أمرِه، وليس له همٌّ ولا شُغلٌ إلا في رِضا ربِّه -سبحانه-، فتصفُو له الحياةُ، ويَطِيبُ له العيشُ، ولا يأسَفُ على فائِتٍ، ولا يفرَحُ بآتٍ، ولا تُزعِجُه الأحداثُ، ولا تُقلِقُه الكُروبُ، ولا يستخِفَّنَّه الذين لا يُوقِنُون. قال ابنُ رجبٍ -رحمه الله-: "أفضلُ العلمِ العلمُ بالله، وهو العلمُ بأسمائِهِ وصِفاتِه وأفعالِه التي تُوجِبُ لصاحِبِها معرِفةَ الله وخشيَتَه ومحبَّتَه، وهيبَتَه وإجلالَه، وعظَمَته، والتبتُّلَ إليه، والتوكُّلَ عليه، والرِّضا عنه، والانشِغالَ به دُون خلقِه". عباد الله: إن أعظَمَ ما يُعينُ العبدَ على تحقيقِ المعرِفةِ بالله، وقُوَّة التعلُّق به، ورُسُوخ الإيمانِ واليقينِ أمورٌ ثلاثةٌ، أجمَعَ العُلماءُ بالله على عظيمِ أثَرِها على القلوبِ لمن حرصَ عليها وداوَمَ واستمَرَّ؛ حتى يُفتَحَ له البابُ، فيجتَبِيه ربُّه ويصطَفِيه.

أخلِق بذِي الصَّبرِ أن يحظَى بحاجَتِه * ومُدمِنِ القَرعِ للأبوابِ أن يلِجَا**

أولُ هذه الأمور -يا عباد الله-: دوَامُ النَّظرِ والتدبُّرِ والتفكُّرِ في آياتِ الله المتلُوَّة المسمُوعة آياتِ القرآنِ العظيمِ، فهي من أجلِّ أسبابِ حُصولِ الإيمانِ واليَقينِ والمعرِفةِ، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

والمفيدُ النَّافِعُ هو إحضارُ القلبِ حين تلاوةِ القُرآنِ على مُكثٍ وترتِيلٍ، وتدبُّرُ الآياتِ والتفكُّرُ في معانِيها، وحُسنُ الفَهمِ لمقاصدِها ودلالاتِها، فهذا أنفعُ ما يكونُ للقلوبِ والأرواحِ.

والأمرُ الثاني -يا عباد الله-: دوَامُ النَّظرِ والتأمُّلِ والتفكُّرِ في آياتِ الله الكَونيَّةِ المشاهَدَة في ملَكُوت السماواتِ والأرض، وبَدِيعِ خلقِ الله في الأنفُسِ والآفاقِ؛ فإن ذلك يُورِثُ للعبدِ اليقينَ، وقُوَّةَ الإيمان

والمعرفةِ بالربِّ -سبحانه-. وقد سلَكَ هذا الطريقَ أنبياءُ الله ورُسُله، والصالحُون مِن عبادِه، كما قصَّ علينا - سبحانه- طريقةَ إبراهيم - عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاةِ والسلامِ - في نظَرِه وتأمُّلِه في آياتِ الله الكَونيَّة، واستِدلالِه بذلك على توحيدِ الله، واستِحقاقِه للعبادةِ، ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. ثم قال إبراهيمُ - عليه السلام - بعد ذلك: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. والأمرُ الثالثُ -يا عباد الله-: دوَامُ ذِكرِ الله بالتَّسبِيحِ والتَّهلِيلِ والتَّكبِيرِ والتَّحمِيدِ والاستِغفارِ في كل الأوقاتِ؛ فإنه الحِصنُ الحَصِينُ الذي يحمِي العبدَ مِن الآفاتِ والشُّرُور، ويُثمِرُ في القلوبِ محبَّةَ الله، والإنابةَ إليه، والإخلاصَ له -سبحانه-، واستِحضارَ قُربِه ومعيَّته، ويُثمِرُ للعبدِ أيضًا قُوَّةً في بدَنِه وقلبِه وعقلِه، ونشاطًا وحيويَّةً في جوارِحه وعمَلِه، فإن ذِكرَ الله حياةُ القلوبِ والأرواحِ والأبدَانِ، والذي لا يذكُرُ اللهَ كالميِّتِ، وكالبَيتِ الخَرِبِ، وقد كان النبيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم- لا يفتُرُ لِسانُه عن ذِكرِ ربِّه، يذكُرُ اللهَ في كل أحيانِه. ولا يَزالُ العبدُ رَطبًا لِسانُه بذِكرِ ربِّه، فيمُدُّه اللهُ بعَونِه وتأييدِه ونَصرِه، والدِّفاعِ عنه؛ فإن الله مع عبدِه إذا ذكَرَه وتحرَّكَت به شَفَتَاه، ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

وقد جمَعَ الله - سبحانه وتعالى - هذه الأمورَ التي تحصُلُ به قوَّةُ المعرفةِ به، ورسُوخُ اليَقِين في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

عباد الله: صلُّوا على رسولِ الله؛ فقد أمَرَكُم الله بذلك؛ حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة الخامسة عشر ٢١ رمضان ١٤٣٨هـ

بعنوان: العشرُ الأواخر من رمضان

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله، الحمدُ لله الذي غمَرَ قلوبَ عبادِه في شهر رمضان بخيراتِه ولطائِفه، وعمَّرَ أوقاتَهم بنَفَحاتِه ووظائِفِه، وأكرَمَهم فيه بمزيدِ هداياتِه ومنائِحِه، أحمدُه – سبحانه – حمدًا لا مُنتهَى لغاياتِه، ولا يبلُغُ مِدحَتَه أحدٌ مِن بريَّاتِه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحْدهُ لا شريكَ له وفَّق مَن شاءَ مِن عبادِه بفضلِه ورحمَتِه، وخذَلَ مَن شاءَ بعدلِه وحِكمتِه، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ختَمَ به الرسالات، وأتمَّ به صالِحَ الأخلاق والكمالات، صلَّى الله عليه وعلى آلهِ وأصحابِه، وأتباعِه إلى يوم الدين. أما بعد: فاتَّقوا الله – عبادَ اللهِ –، وأحسِنُوا في عبادةِ ربِّكم وأقيمُوا وجوهَكم له؛ فليس هناك أحدٌ أحسنَ دينًا ممَّن أسلمَ وجهَه لله وهو مُحسِنٌ واتَّبعَ ملَّةَ إبراهيم حنيفًا، وليس هناك أحدٌ أكرَمَ على الله مِن أهل التقوَى والإيمان، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

أيها المسلمون: تكاثَرَت النصوصُ وتوالَت في فضائلِ شهر الصيام والقيام شهر رمضان المبارَك، حتى عرفَ عامَّةُ الناس مكانتَه وجلالتَه، وأثرَه العظيمَ في تربية الأرواحِ والقلوبِ، وتهذيبِ النُّفوسِ، بَيْدَ أن هذه المعرفةَ النظريَّةَ لا تتطابَقُ والسُّلوكَ العمليَّ في واقعِ بعضِ الناس، ولم تُترجَم إلى ما هو مطلُوبٌ فِعلُه في هذا الشهر الكريم.

ولذلك انقسَمَ الناسُ في شهر رمضان إلى ثلاثة أقسام تبَعًا لأحوالِهم وأعمالِهم، ومدَى امتِلاءِ قلوبِهم بخشيةِ الله ومحبَّته، وشُعورِهم بأنَّ أيامَ رمضان ولياليه فُرصةٌ عظيمةٌ لا تُقدَّرُ بثمنٍ: فمن الناس مَن لم يشعُر بجلالةِ هذا الشهر وآثاره الإيمانيَّة والروحيَّة والتربويَّة، فظلَمَ نفسَه بالتفريطِ في الفرائضِ والنوافِلِ والقُرُبات، وتحقيقِ الصيامِ على الوجهِ الصحيحِ، ولم يتورَّع هؤلاء عن ارتِكابِ معاصِي القلوبِ واللِّسان والنَّظر والسماعِ في أيامِ هذا الشهر ولياليه، وانشغَلُوا بلذَّات الحياة ومآكلِها ومشارِبِها، ومُلهِيات العصر، ووسائل تواصُله الاجتماعيّ. ولم يستفِيدُوا شيئًا مِن نفَحاتِ هذا الشهر وهداياتِه، وهم على أعتابِ الثُّلُث الأخير منه، ولم يزدادُوا من الله إلا بُعدًا، فاستَحَقُّوا أن تُصيبَهم دعوةُ النبيّ – صلى الله عليه وآله وسلم – على مَن أدرَكَ رمضان فلم يُغفَر له، فرغِمَت أنُوفُهم، وثكِلَتْهم أنفُسُهم، إلا أن يتدارَكهم الله برحمتِه، ويُدرِكُوا أنفسَهم قبل رحيلِ هذا الشهر المبارَك، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ومِن الناسِ مَن هو في رمضان مُقتَصِد، قد عمِلَ الفرائِضَ واجتنَبَ المحرَّمات في الجُملة، ولكن ليس له كبيرُ اجتِهادٍ ونوافِل، وقُرُبات، وصدَقَات، ولم تسمُ همَّتُه إلى المسارَعَة والمسابقَة في تحصيلِ أكبر قَدرٍ مُمكنٍ مِن الأرباحِ والمكاسِبِ في هذا الشهر الكريم، شهر التجارة الرابِحة مع الله. فهذا سائِرٌ إلى الله على طريقِ السلامةِ والقَصدِ، وله مِن الأجر ما نوَى، وهو على خيرٍ ولا شك، ولكن الموفَّق السعيدَ، والأريبَ النَّبيلَ هو السابِقُ بالخيرات – بإذن الله –، الذي عقَلَ عن الله، فرأَى في شهر رمضان معلمَةً كُبرى مِن معالم الإيمان والتربية والإصلاح، فاجتهَدَ وعمِلَ وسارَعَ وسابَقَ، وقوَّمَ عاداتِه وحسَّنَها، وزكَّى قلبَه ورُوحَه.

فاغتَنَمَ هذا الموفَّقُ السعيدُ أيامَ رمضان ولياليَه في التغيير النافِع، والاهتِداء والإصلاحِ، فاجتهَدَ وعمِلَ وسارَعَ وسابَقَ ونافَسَ في الخيرات، فسبَقَ وفازَ، وازدادَ كل يومٍ في رمضان قُربًا مِن ربِّه، ورُقِيًّا في مقاماتِ الإيمان، حتى يصِلَ إلى مقام الإحسان، فيعبُد اللهَ كأنَّه يراه، وتنشأُ بينَه وبين ربِّه علاقةٌ خاصَّة، «**ولا يزالُ عبدِي يتقرَّبُ إلَيَّ بالنوافِلِ حتى أُحِبَّه**».

وتلك – لعَمْرُ الحقِّ – مِن أرفعِ مراتِبِ الدين ومقاماتِه، ومِن أفخَمِ هداياتِ شهر رمضان وبيِّناتِه.

أيها المسلمون: إن المعانِيَ والقِيَم التي يغرسُها شهرُ رمضان في النُّفوسِ والقُلوبِ كثيرةٌ ومُتنوِّعة، وكلٌّ ينهَلُ مِن معِينِ رمضان بحسب استِعدادِه وإقبالِه على ربِّه:

فمِن الناسِ مَن كان قلبُه مثلَ الوادِي الكبيرِ، يسَعُ غيثَ القرآنِ والصيامِ والقِيامِ، وكانت أرضُه طيبةً فقَبِلَت الماءَ، وأنبَتَت العُشبَ والكلأَ الكثيرَ، بل وحمَلَ معه الجمَّ الغفيرَ مِن الناسِ، وأصبَحَ مثلَ السِّراجِ المزهِر، والكوكب الدُّرِّيِّ المنِير.

ومِن الناسِ مَن كان قلبُه مثلَ الوادِي الصغيرِ جدًّا، الذي لا يحتَمِلُ شيئًا، وكانت أرضُه أجادِبَ وقِيعَان، لم تُمسِكِ الماءَ، ولم تُنبِتِ الكلأَ والعُشبَ، وضاقَ صدرُه عن استِقبالِ غيثِ رمضان المنهمِرِ في كل وقتٍ.

وبين هذه الوادِيَين أودِيةٌ أُخرى سالَت بقَدَرِها، كذلك يضرِبُ اللهُ الأمثالَ للناسِ؛ ليعتَبِرُوا ويتَّعِظُوا، وما يعقِلها إلا العالِمُون. معاشِر الصائِمين: إنَّ مِن أجلِّ المعانِي والقِيَم التي يغرِسُها شهرُ رمضان في قُلوبِ المخبِتِين الصادِقِين الخاشِعِين لله: أنه يُربِّيهم على التجرُّدِ لله – سبحانه وتعالى – وحده؛ فهم إن صامُوا صامُوا لله وحدَه، أو قامُوا الليلَ فمِن أجلِ الله إيمانًا واحتِسابًا، أو قرأُوا القرآنَ وختَمُوه مِرارًا، فحُبًّا لله وتقرُّبًا إليه. يدَعُون شهوتَهم وطعامَهم مِن أجلِ الله – سبحانه –، ويبتَعِدُون عن السِّبابِ والخِصامِ والغِيبةِ والنَّمِيمة وسائرِ المعاصِي؛ رجاءً في ثوابِ الله، وخوفًا مِن

عِقابِه، ولا يُصِيبُهم ظمَأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخمَصَةٌ إلا علِمُوا أن ذلك في ذاتِ الإله، فصبَروا ورضُوا وفرِحُوا. وكم هي الأفراحُ في رمضان التي تغمُرُ القلوبَ المتجرِّدة لله!

فهم طِيلةَ شهرٍ كامِلٍ يتربَّون على معانِي التجرُّد لله والإخلاصِ والصِّدق، ولا شكَّ أن ذلك سوفَ ينعكِسُ إيجابًا على حياتِهم، وأخلاقهم، وأقوالِهم، وتصوُّراتِهم؛ فإن مَن ذاقَ لذَّةَ العمل لأجلِ الله وحدَه، استغنَى بربِّه، وأشرَقَت رُوحُه، وهانَت عنده لذَّاتُ الحياةِ كلُّها، واحتَقَرَ اللَّهاثَ والسعيَ وراءَ رضا الناسِ وحَمدِهم، واستعلَى بإخلاصِهِ وتجرُّدِه على حُظوظِ النفسِ ومطامِعِ القلوبِ. وتلك نَفحةٌ مِن نفَحَات رمضان وهداياتِه، وأثرٌ مِن آثارِ أنوارِهِ وبيِّناتِه. فيا سعادةَ مَن ذاقَ طعمَه وحلاوتَه! فقد أدركَ جنَّةَ الله المعجَّلَة .. ويا بُؤسَ مَن لم يذُق لذَّةَ هذه المعانِي الإيمانيَّة الرمضانيَّة، ولم يشَمَّ لها رائِحة! ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفَعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قَولِي هذا، وأستغفِرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفِرُوه، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله، الحمدُ لله بارِي البريَّات، ومُجزِل العطايا والهِبات، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على المبعُوث بالهُدى والبيِّنات، وعلى آلِه وأصحابِهِ النُّجُوم الزَّاهِرات، والتابِعِين لهم بإحسانٍ إلى يوم العرضِ على ربِّ الأرض والسماوات. أما بعد: فإنه لم يَبقَ مِن شهرِكم إلا الثُّلُث الأخيرُ - يا أيها المسلمون -، والثُّلُثُ طيبٌ وكثيرٌ، عشرٌ مُباركاتٌ لياليها أفضلُ ليالي السنة على الإطلاقِ، وقد أقسمَ الله تعالى به في قوله: ﴿**وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾ [الفجر: ٢]. ولشرَفِها وجلالَتها كان النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم - يَخُصُّها بكثرة العبادة والاجتِهاد في القُرُبات، والاعتِكاف والخَلوَة بربِّه - سبحانه وتعالى -. فقد ثبَتَ أنه - صلى الله عليه وآله وسلم -، إذا دخلَت العشرُ شدَّ مِئزَرَه، وأحيَا ليلَه، وأيقَظَ أهلَه، فيجتهِدُ فيها ما لا يجتَهِدُ في غيرِها. وقد اختَصَّ الله - سبحانه وتعالى - هذه العشرَ المبارَكات بليلةِ القَدر التي لا مِثلَ لها ولا نظيرَ؛ فهي الليلةُ التي أنزِلَ فيها القرآن، فإما أن يكون المرادُ أنَّ ابتِداءَ نُزول القرآن - صلى الله عليه وآله وسلم -، كان في هذه الليلةِ المبارَكة، أو يكون المرادُ أن نُزولَ القرآن مِن اللَّوحِ المحفُوظ، ونسخَه منه جُملةً واحِدة إلى بيتِ العِزَّة في السماء الدنيا كان في هذه الليلةِ المبارَكة. ولذلك يكثُرُ فيها نُزول الملائِكةِ إلى الأرضِ؛ حتى إنها لتَضِيقُ بهم مِن كثرَتِهم، حتى إن جبريلَ - عليه السلام - ينزِلُ إلى الأرضِ؛ لجلالَة هذه الليلةِ وعظمَتِها عند الله - سبحانه

-، كما قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٤، ٥]. فهي ليلةٌ سالِمةٌ مِن كل سُوءٍ وكَدَر، طَلَقةٌ سَمِحَة، مُعتَدِلةٌ لا حارَّةٌ ولا بارِدةٌ، مُنيرةٌ مُضِيئةٌ، لا يُرمَى فيها بنَجمٍ، ولا تُرسَلُ فيها الشُّهُب، ولا يَخرُجُ شيطانُها حتى ينبَلِجَ الفجرُ، وتطلُعُ الشمسُ في صَبيحَتها حمراء ضعيفةً لا شُعاعَ لها. وهذه العلاماتُ ثابِتةٌ عن النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم -. ومِن جلالَةِ هذه الليلةِ: أنها ليلةُ التقديرِ السنويِّ، فيُفصَلُ فيها ما في اللَّوح المحفُوظ إلى صحائِفِ الملائِكةِ مِن أحداثِ الدنيا، والوقائِعِ العامَّة والخاصَّة التي تحصُلُ في الكَون للسنةِ القادِمة، كما قال - سبحانه -: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الدخان: ٤، ٥].

فجميعُ ما يكونُ في السنةِ القادِمةِ ويُقدِّرُه الله مِن رِزقٍ، وحياةٍ ومَوتٍ، وعِزَّةٍ وذُلٍّ، وغِنًى وفقرٍ، وغير ذلك يُفصَلُ مِن اللَّوح المحفُوظ في هذه الليلةِ الشريفةِ العظيمةِ القَدْر. فلا غَرْوَ إذًا - يا عباد الله - أن تكون العبادةُ فيها والطاعاتُ أفضلَ وأعظمَ أجرًا مِن عبادةِ ألفِ شهر؛ يعني: ما يُقارِبُ أربعًا وثمانين سنة. معاشِر الصائِمين: ليلةُ القَدر ليلةٌ عظيمةٌ شريفةٌ، ولذلك كان السَّلَف الصالِحُ يتحرَّون إدراكَها بعنايةٍ بالِغةٍ، ويحرِصُون عليها حِرصًا شديدًا، وقد تحرَّاها النبيُّ - صلى الله عليه وآله وسلم -، وحثَّ صحابتَه على تحرِّيها، وهي في العشر الأواخِر قَطعًا، والغالِبُ أنها في الأوتار، وقد تكونُ في الأشفاعِ، وهي في سَبعٍ يبقَين أو سبعٍ يَمضِين، وكثيرًا ما تكونُ في ليلةِ سَبعٍ وعشرين خاصَّةً إذا وافقَت ليلةَ جُمعة. والمشهُورُ عند كثيرٍ مِن العلماء: أنها تتنقَّلُ في الغالِبِ، وليسَت ثابِتةً في ليلةٍ مُعيَّنةٍ في كل الأعوام، وهذا التنقُّل مقصُودٌ؛ حتى يجتَهِدَ العبدُ في العشر في كل العَشر، ولا يتَّكِلَ على ليلةٍ واحدةٍ، ولا يحرِص على تتبُّعِ رُؤًى وتعبيراتِ المعبِّرين، وحساباتِ الحسَّابِين، وإذا اجتَهَدَ العبدُ في ليالِي العشرِ كلِّها، فقد أصابَ وأدركَ ليلةَ القدر قطعًا.

فاتَّقُوا الله - يا مُسلمون -، وأرُوا اللهَ مِن أنفُسِكم خيرًا، واجتهِدُوا فيما بقِيَ مِن الشهر؛ فالأعمالُ بالخواتِيم، والسابِقُ مَن سبَقَ في هذه الأيامِ والليالي، والمحرُومُ مَن حُرِمَ الخيرَ والمغفِرةَ والأجُورَ في رمضان، والأعظمُ حِرمانًا وخُسرانًا مَن حُرِمَ مِن رحمةِ الله وفضلِه ومغفرتِه في ليلةِ القَدر، ولا يُحرَم خيرَها إلا محرُومٌ مخذُولٌ، ولن يهلِك على الله إلا هالِك، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

عباد الله: صلُّوا على رسولِ الله؛ فقد أمَرَكُم بذلك الله؛ حيث قال في مُحكَم تنزيلِه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة السادسة عشر ٢٠ شوال ١٤٣٨هـ

بعنوان: خلق المروءة

الخطبة الأولى:

إن الحمدَ لله؛ نحمدُه ونستعينُه ونستغفِرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفُسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحْدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آلهِ وأصحابِه، ومَن تبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد: فأُوصِيكُم ونفسِي – عبادَ اللهِ – بتقوَى الله ومُراقبتِه في الخَلوَة والجَلوَة؛ فمَن أرادَ السعادةَ فليلزَم عتبَةَ العبودية والمراقبَة، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. أيها المسلمون: إن مِن أشدِّ الأزمات التي تمرُّ بها الأمةُ المسلمةُ اليوم: أزمةَ ضعف التمسُّك بالأخلاق الكريمة والشمائل الرفيعة، وإن الإسلام دينُ أخلاقٍ وسلوكٍ ومُعاملةٍ. وقد تقرَّر أن مِن أعظم مقاصِدِ بعثة المصطفى –صلى الله عليه وآله وسلم– أن يُتمِّمَ مكارِمَ الأخلاق وصالِحَ الآداب، ويُنشِئَ في الأمة النماذِجَ الأخلاقية الراقِيَة، والمُثُل والآداب السامِيَة التي تَكفَلُ الحياةَ الكريمةَ والسعادةَ، والعزَّةَ للفرد والجماعة. وإن فروعَ هذه الأخلاق الإسلامية الراقِيَة كثيرةٌ ومُتشعِّبة، ولكنها تجتمِعُ في أصولٍ عظيمةٍ، وأركانٍ متينةٍ، تلتَقِي فيها كلُّ الآداب النبوية والأخلاق المصطفوية، وما تعارَفَت عليه العقولُ الصحيحةُ والعاداتُ الحسنة. هذا وإن مِن أعظم هذه الأصول الجامِعة المانِعة: أصلاً عظيمًا يجتمِعُ تحتَه ما تفرَّق، وينتَظِمُ في سِلكِه ما تشعَّب، ألا وهو: المروءةُ.. وما أدراكُم ما المروءة؟! إنها منبَعُ الخيرات، ومُلتَقَى الآداب، وعِمادُ الحياة الشريفة الحُرَّة، وجِماعُ المحاسِنِ والكمالاتِ، وأساسُ الإنسانية، وكمالُ الرجولية. بها يتفاضَلُ الرجالُ والنساءُ، حتى عُدَّ ألفٌ بواحدٍ، والناسُ كمعادنِ الذهبِ والفضَّة، وكإبلٍ مائةٍ لا تكادُ تجِدُ فيها راحِلةً إلا مَن كمَّلَ نفسَه بأخلاق المروءة التي تُحبُّها النفوسُ الكِبارُ، ويَهِيمُ بها العُظماءُ والنُّبلاءُ، ويرتفِعُ بها العبدُ في قلوبِ الناسِ وإن كان أقلَّ منهم مالاً وجاهًا.

وإذا الفتَى جمَعَ المُروءةَ والتُّقَى * وحوَى مع الأدبِ الحياءَ فقد كمُل**

وتلك فِطرةُ الله التي فطَرَ الناسَ على حبِّ المروءة، والاتِّصاف بها، ورِفعة شأن المتحَلِّين بها، لا تبديلَ لخلقِ الله. فِطرةٌ مركوزةٌ في الخليقة والبشرية، حتى إن النفسَ لتنتَشِي فرَحًا حينما تُوصَفُ بأنها مِن أهل المروءات، أو ترى أفعالَهم.

إنِّي لتُطرِبُني الخِلالُ كريمةً * طرَبَ الغريبِ بأَوبَةٍ وتَلاقِي**

وتَهُزُّني ذِكرَى المُروءة والنَّدَى * بين الشمائِلِ هزَّةَ المُشتاقِ**

عباد الله: إن المروءةَ هي أصلُ كلِّ خيرٍ وشرفٍ وفلاحٍ، وهي في حقيقتها الناصِعة: هيئةٌ راسِخةٌ في النفسِ، وملَكَةٌ تحمِلُ صاحِبَها على الاتِّصافِ بصِفات الجمالِ، والنَّقاءِ، والطُّهرِ، والعَفافِ، والكرَمِ، والبُعد عن جواذِبِ النفسِ التي تجذِبُها للتخلُّق بأخلاق العلُوِّ والفَخرِ من الكِبرِ والحسَدِ والبغي، والأذَى والفسادِ، أو الاتِّصافِ بصِفاتِ الهَوانِ والضَّعَة، مِن الحرصِ المذمُوم، والشَّرَه، والطمَع، والتكالُبِ على الحُطامِ والتوافِه. فالمروءةُ خُلُقٌ فاضِلٌ كريمٌ، وسطٌ بين طرفَين، وهي تدعُو النفسَ إلى التحلِّي بحِليةِ الإنسانية الرفيعة الشريفة، واستِعمال كل ما يُجمِّلُ العبدَ ويُزيِّنُه مِن الأخلاق والآداب وجميل العادات، والبُعد عن كل ما يُدنِّسُ نفسَه ويَشِينُها، ويجلِبُ لها اللَّومَ والعيبَ وإراقةَ ماء الوجهِ. إن المروءةَ – يا عباد الله – هي خُلُقُ النفسِ الأبيَّة الكريمة، وعنوانُ الشخصية الشريفة العزيزة، التي لا ترضَى بالدَّنَس والدَّناءة، وتأنَفُ مِن الذلِّ والمهانة، وتترفَّعُ عن حياة العبَثِ واللَّهو والسُّخفِ. فلذلك ترَى صاحِبَ المروءة فقيهَ النَّفس، حرِيصًا على أخلاق الكمال والجمال والطُّهر في ملبَسِه ومَظهَرِه ومدخَلِه ومخرَجِه، وتراه كذلك مع الناسِ بجميع شرائِحِهم يستعمِلُ معهم الأدبَ والحياءَ والعِفَّة والكرَم والنَّزاهة والصِّيانة، وتراه ثالثًا مع ربِّه –سبحانه وتعالى– يستَحِي منه أن يراه على معصِيَة، أو يطَّلِع على قلبِه فيرى فيه غيرَه، أو تكون علانِيتُه خيرًا مِن سريرته. وقد جمعَ الله – سبحانه – في عدَّة آياتٍ مُحكَماتٍ خِلالاً كثيرةً مِن خِلالِ المروءة، كما في قوله – سبحانه –: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وكما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

وكما في الآياتِ الثلاثِ المتوالِيات مِن سُورة الأنعام التي اتَّفقَت عليها الشرائِعُ السماويةُ كلُّها، بِدايةً مِن قولِه تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى قولِه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وكذلك المناهِي التي في سُورة الإسراء بِدايةً مِن قولِه: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً﴾ [الإسراء: ٢٢] إلى قولِه: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩]، والآياتُ في هذا المعنَى كثيرةٌ.

وأعظمُ شخصيَّة تجلَّت فيها خِلالُ المروءة هي شخصيَّة النبيِّ الأعظَم –صلى الله عليه وآله وسلم–؛ فقد كانت حياتُه –عليه الصلاة والسلام– كلُّها قائِمةً على المروءة ومعالِي الأمور وكرائِمِها مع كل الناسِ، حتى مع أعدائِهِ – صلى الله عليه وآله وسلم–. وما أندَى قولَه –صلى الله عليه وآله وسلم– وأروعَه حينما قال: «إن الله يُحبُّ معالِيَ الأمور وأشرافَها، ويكرَهُ سَفسافَها» أخرجه الطبرانيُّ في "الكبير" عن الحُسين بن عليٍّ بسندٍ صحيحٍ. وقال –صلى

الله عليه وآله وسلم-: «**إن الله كريمٌ يُحبُّ الكُرماء، جَوادٌ يُحبُّ الجَوَدة، يُحبُّ معالِيَ الأخلاق، ويكرَهُ سَفسافَها**» أخرجه البيهقيُّ في "الشُّعب" عن طلحَة بسندٍ صحيحٍ.

وقال أيضًا -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الله يرضَى لكم ثلاثًا، ويكرَهُ لكم ثلاثًا؛ فيرضَى لكم: أن تعبُدُوه ولا تُشرِكُوا به شيئًا، وأن تعتصِمُوا بحبلِ الله جميعًا ولا تفرَّقُوا، وأن تُناصِحُوا مَن ولَّاه اللهُ أمرَكم، ويكرَهُ لكم: قِيلَ وقالَ، وكثرةَ السُّؤال، وإضاعةَ المال**» أخرجه أحمد ومسلم عن أبي هريرة. وقد لزِمَ هذا السَّنَنَ النبويَّ الرفيعَ صحابتُه الكرامُ - رضي الله عنهم - والتابِعُون لهم، وأورَثُوه إلى مَن بعدَهم مِن العُلماء والفُضلاء والنُّبلاء الذين كتَبُوا في ذلك الرسائل والكُتُب التي تُبيِّنُ للناسِ آدابَ المروءة وخِصالَها، حتى إنهم جعلُوا مِن أهم صِفاتِ راوِي الحديث ومَن تُطلَبُ مِنه الشهادةُ في الأُقضِيات أن يكون مُتحلِّيًا بآداب المروءة، مُجتنِبًا خوارِمَها ومُفسِداتها. بل قد حثَّ النبيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم- على التسامُح مع أهل المروءات، والعفوِ عن خطئِهم وعثَرَات أقدامِهم؛ لمروءتِهم ونُبلِهم، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**تجافَوا عن عُقوبةِ ذوِي المُروءةِ**»؛ أخرجه الطبرانيُّ عن ابن عُمر بسندٍ صحيحٍ.

وقال أيضًا -عليه الصلاة والسلام-: «**أقِيلُوا ذوِي الهيئاتِ عثَرَاتهم إلا الحُدود**» أخرجه أحمد وأبو داود عن عائشة - رضي الله عنها - فأهلُ المروءات مِن الحُكَّام والعُلماء والفُضلاء وصالِحِي المسلمين، لهم فضلُهم ومكانتُهم ومنزلتُهم، ولا يجوزُ أبدًا أن تُهدَرَ فضائِلُهم، أو تُطمَسَ مناقِبُهم لزلَّةِ قدَمٍ أو كَبوَةِ جَوادٍ؛ وما ذاك إلا لشرفِ المروءة وعلُوِّ كعبِها، والتي تحمِلُ صاحِبَها وترفعُه وتُزكِّيه، وإذا بلغَ الماءُ قُلَّتَين لم يحمِلِ الخبَثَ. والله - سبحانه وتعالى - قد احتمَلَ لكليمِهِ مُوسَى - عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام - احتمَلَ له إلقاءَه ألواحَ التوراة، وأخذَه بلِحيةِ أخيهِ هارُون - عليه السلام - يجُرُّه إليه وهو نبيٌّ.

وإذا الحبيبُ أتَى بذنبٍ واحدٍ * جاءَت محاسِنُه بألفِ شفيعِ**

بارَكَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفَعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قَولِي هذا، وأستغفِرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفِرُوه، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله، الحمدُ لله مُعِزِّ مَن أطاعَه واتَّقاه، ومُذِلِّ مَن استكبَرَ واتَّبعَ هواه، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه خليلِه ومُصطفاه، وعلى أهلِ بيتِه وصحابتِهِ والتابِعِين لهم، ومَن على سَنَنِه وأخلاقِهِ اقتَفَى ووالاه. وبعد .. أيها المسلمون:

إن المروءةَ خُلُقٌ عظيمٌ، وإذا نزلَت في جَذرِ قلوبِ الرجالِ والنساءِ أثمَرَت وطابَت بها الحياة، وسعِدَت الأرواح، وهذَّبَت ما في النفوسِ مِن آفات الشُّحِّ المطاع، والهوَى المتَّبَع، وإعجابِ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه. ولا تكادُ تجِدُ امرأً قد تمكَّنَت المروءةُ مِن قلبِه ورسَخَت إلا كان لله عامِلاً عابِدًا مُطيعًا؛ لأنه يعلَمُ أن ارتِكابَ المحرَّمات، والتساهُلَ في المنكرات والرِّضا بها مِن أخطر خوارِمِ المروءة ومُفسِداتها. ثم إن أهل المروءات أصحابُ هِممٍ عالِية، وإراداتٍ حازِمة؛ فإنه لم يُرَ أقعَدَ عن المكرُمات مِن صِغَر الهِمَم، فلذلك تجِدُهم يضربُون في كل خيرٍ بسَهمٍ، ويُسابِقُون في وجوهِ الإحسان، وهم يستعمِلُون مع الناسِ كلِّهم حُسنَ الأدبِ والخُلُقَ الحسنَ في القولِ والفعلِ، في الجِدِّ والمزاحِ، في السرَّاء والضرَّاء، في السفَر والحضَر، في الحبِّ والكُرهِ، فلا يصدُرُ منهم إلا جميلُ القول والفعل،

كما قال –سبحانه –: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. ومِن نُبلِهم ومُروءتهم: أنهم يقومون بحوائِجِهم وحوائِجِ أهلِيهم ومَن يعُولُون، فليس مِن المروءة أن يُضيِّعَ المرءُ نفسَه وأهلَه وعِيالَه، ولا أن يجعلَهم عالةً يتكفَّفُون الناسَ ويسألُونَهم. ولذلك فهم يحرِصُون على إصلاح أموالِهم، وينوُون في ذلك نيَّةً طيبةً مِن العفافِ والاستِغناءِ عن الناس، ونِعمَ المالُ الصالِحُ للرجلِ الصالِحِ. ومِن أجمل صِفاتِ أهل المروءات: الحِلمُ والرَّزانة، والتثبُّت والتأنِّي والهُدوء، والبُعد عن الطَّيش والعجَلَة والنَّزَق والتهوُّر، وخِفَّة العقل عند حُلول الحوادِثِ والنَّوائِب. وإن مِن خوارِمِ المروءة: أن يكون المرءُ داعِيةَ شرٍّ وإرهابٍ وفوضَى وفساد، أو يكون مِن الهَمَجِ الرَّعاع أتباعَ كلِّ ناعِقٍ، يَميلُون مع كل رِيحٍ، لم يستضِيئُوا بنُور العلمِ والحكمةِ، ولم يلجَأوا إلى رُكنٍ وثيقٍ مِن الحُكماء الحُلماء، مِن الحُكام والعُلماء الذين أمرَنا ربُّنا – سبحانه – أن نرُدَّ إليهم الأمرَ مِن الأمن أو الخوف. ولذلك كان مِن صِفات أهل المروءات: مُجالسةُ الصالِحين ذوِي المروءة والنُّبل والعقل والحِكمة، والبُعد عن مُجالسة الخُبثاء الأشرار الذين سقَطَت مُروءاتُهم في توجُّهاتٍ مُنحرفةٍ، وحِزبيَّاتٍ مقيتَة، وتنظيماتٍ إرهابيَّةٍ بغيضة.

عباد الله: ومِن أنبَلِ خِلالِ أهل المروءات: أنهم يُعامِلُون الناسَ بصِدقِ قلبٍ، وصفاءِ نفسٍ، بَعِيدُون عن النِّفاقِ والتلوُّن، يُحِبُّون للمُسلمين ما يُحبُّون لأنفسِهم، ولا يحمِلُون غِلاً ولا حسدًا ولا حقدًا للذين آمنوا، فلذلك يُوفِّقُهم الله – سبحانه –، فيُنجِّيهم مِن مواطِنِ الذمِّ والعيبِ واللَّومِ. والمروءةُ تحمِلُ صاحبَها على صِيانة نفسِه وحِمايتِها مِن كل ما يَعيبُها، ويُزرِي بها عند الله وعند خلقِه في كل زمانٍ ومكانٍ، فتعلُو هِمَّتُه، ويصلُبُ عزمُه وحزمُه، ويبتعِدُ عن كل ما يخدِشُ الإيمانَ والحياءَ مِن الدَّنايا والرَّزايا. ويكونُ كما قال القاضي الجُرجاني – رحمه الله – في طَليعَةِ أبياتِه التي عُدَّت مِن غُرَر الكلامِ ونفائِسِه:

يقولُون لي فيك انقِباضٌ وإنَّما * رأَوا رجُلاً عن موقِفِ الذلِّ أحجَمَا**

أرَى الناسَ مَن دانَاهمُ هانَ عندهمْ * ومَن أكرَمَته عِزَّةُ النفسِ أُكرِمَا**

وبعدُ .. أيها المسلمون: إن مِن أدبِ أهل المروءات: أنهم يُراعُون الأعرافَ والعادات الطيبة الحسنة عند الناسِ، ولا يُشهِرُون أنفسَهم بلِباسٍ أو مظهرٍ أو أمرٍ يُخالِفُون به أعرافَ الناسِ الطيبةَ التي تُخالِفُ الشرعَ؛ لأن مُجاراةَ العُرف الحسَن مِن الأمور المعتبَرَة شرعًا، خاصَّةً إذا ترتَّبَ على المخالفَة مفاسِد، فإنهم - أعني: أهلَ المروءات - مِن أحرصِ الناسِ على تأليفِ القلوبِ، وتطييبِ النفوسِ، ومَدِّ بِساطِ الأُخُوَّة والمحبَّة، وتلك شِيَمُ الكِرام أهل المروءات والنُّبل.

عباد الله: صلُّوا على رسولِ الله؛ فقد أمَرَكُم بذلك الله؛ حيث قال في مُحكَم تنزيلِه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة السابعة عشر ١٧ ذو الحجة ١٤٣٨هـ

بعنوان: التسليم لأوامر الله تعالى

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله، الحمدُ لله الذي تفضَّلَ على عبادِه بمواسِمِ الخيرات وتَمّ، وأسبَغَ عليه نعمَهُ ظاهرةً وباطنةً وهو بهم أبَرُّ وأرحَم، لا مُنتهَى لإحسانِه، ولا مُحصِي لنَعمائِه، ولا حدَّ لعطائِه، ولا عَدَّ لآلائِه، أحمدُه -سبحانه- وأشكرُه، وأُثني عليه وأُمجِّدُه. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له جعلَ الحجَّ آيةَ التوحيدِ في خِتام العام، وزِينةَ الليالي العشر والأيام المعدُودات العِظام، ومُلتقَى المسلمين في أعظَم اجتماعٍ سنويٍّ ليَشهَدُوا المنافِعَ والإنعام، فله الحمدُ والكمالُ ذُو الجلال والإكرام. وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، وصفِيُّه وخليلُه خيرُ مَن صلَّى وصامَ وحجَّ ولبَّى أفخَمُ الأنبياء مكانةً وقَدرًا، وأجَلُّهم منزلةً وشرَفًا، صلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وأصحابِه النُّجوم الأزاهِر، أُولِي الفضائلِ والكرائِمِ والمآثِر، وعلى التابِعِين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا عددَ ما خلقَ الله مِن الأوائِلِ والأواخِرِ. أما بعد: فأُوصِيكُم ونفسِي -حُجَّاج بيتِ اللهِ- بتقوَى الله سِرًّا وإعلانًا، حِلًّا وترحالًا؛ فالمتَّقُون هُم أولياءُ الله حقًّا وصِدقًا، الذين لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ حُجَّاج بيتِ الله: كَم لله عليكم مِن نعمٍ تَتْرَى، وآلاءٍ تتوالَى، فهو الذي حرَّك قُلوبَكم حبًّا وشَوقًا إلى الحجِّ والمشاعِرِ المقدَّسة، وهو الذي يسَّر لكم الوُصولَ إلى هذه البلاد المبارَكة، ثم وفَّقَكم وأعانَكم على أداءِ مناسِكِكم، والوقوفُ بهذه المشاعِرِ والشعائِرِ التي هي إرثٌ مِن إرثِ الخليلَين الكريمَين إبراهيم ومُحمدٍ -عليهما الصلاة والسلام-. فاشكُرُوا الله -سبحانه- واحمَدُوه على نعمة الحجِّ وأداءِ المناسِكِ، في سابغةٍ مِن السلام والأمنِ والأمانِ واليُسر والراحةِ.

وإن مِن شُكرِ الله: شُكرَ مَن ساهمَ مُساهمةً فاعِلةً في نجاحِ موسِمِ الحجِّ لهذا العام، وكان له الفضلُ بعد الله في تيسيرِ مناسِكِ الحجِّ للحُجَّاج، والقِيامِ على خِدمتهم وراحتِهم، وأمنِهم وسلامتِهم، وعلى رأسِهم قِيادتُنا ووُلاةُ أمرِنا، ورِجالُ الأمنِ الأوفِياء، والمسؤولُون في كل القِطاعات. فشكرَ الله لهم، وكتبَ أجرَهم، وأثابَهم مِن عندِه أجرًا عظيمًا.

حُجَّاج بيتِ الله: إن مِن رحمةِ الله بعبادِه المسلمين: أن جعلَ لهم في كل عامٍ مواسِمَ للطاعاتِ والخيراتِ، يتزوَّدُون مِنها، ويقِفُون فِيها وقفاتٍ مع النَّفسِ والعقلِ والقلبِ للمُحاسبةِ والتذكيرِ والإرشاد، وليُصحِّحُوا المسارَ، ويتدارَكُوا ما فاتَ وفرَطَ مِن حياتِهم، ويتبصَّرُوا طريقَ سَيرِهم.

وحين تشتَدُّ الهاجِرة، وتلفَحُ الوُجوهَ سُمُومَ التبديلِ والتخذيلِ، وتتألَّمُ النُّفوسُ مِن سَطوَةِ المعاصِي والأهواءِ، وينتشِرُ غُبارُ الفتنِ والمِحَنِ، فيزكُمُ الأُنوفَ، وتتغيَّرُ القُلوب، وتنتَقِضُ عُرَى الأُخُوَّة والأُلفَة، ويقِفُ الشيطانُ مُنتَشِيًا بالتحريشِ بين المسلمين بعد أن يئِسَ أن يعبُدَه المصلُّون؛ فإن الملجَأَ والمهرَبَ إلى الله، وسُنَّةِ رسولِه –صلى الله عليه وآله وسلم–، والأُصول المتِينة والكليَّات المحكَمة. وإن الرِّيَّ والرِّواءَ، والمرتَعَ الخَصبَ والصَّفاء يكونُ في حِمَى الوحيِ الإلهيّ، وفُسطاط التسليمِ للكتابِ والسنَّة بفَهم الصحابةِ –رضي الله تعالى عنهم–. ولا زالَ المصلِحُون والمقسِطُون مِن العُلماء العامِلين والحُكَّام العادلِين يثُوبُون إلى ذلك المأرزِ المنِيع، ويحتَمُون بذلك الحِمَى الرَّشِيد؛ مَعًا لتطايُرِ شَرَرِ الفُرقة والنِّزاع، والتنازُلِ عن ثوابِتِ الدين، وإضلالِ الأئمةِ المضلّين، واستيلاءِ فتنِ الشُّبُهات والشَّهَوات على فِئامٍ مِن الأنام، مُعتقِدِين يقينًا أنه لن يُصلِحَ آخِرَ هذه الأمة إلا ما أصلَحَ أولَها. وإن أعظمَ ما صلُحَت عليه عُقولُ وقُلوبُ أولِ هذه الأمة هو التسليمُ لله ولرسولِه –صلى الله عليه وآله وسلم–، وعدمُ مُعارَضَة نُصوصِ الوحيِ بشُبهةٍ أو شَهوةٍ، ولن تثبُت قدَمُ الإسلام في القَلبِ إلا على قاعِدةِ التسليم. نعم .. أيها المسلمون: إنه منهجُ التسليم لله ولرسولِه –صلى الله عليه وآله وسلم– الذي تربَّى عليه الحُجَّاج طِيلةَ أيام حجِّهم، وفي كل المناسِكِ والمشاعِرِ والشعائِرِ، تسليمٌ مُطلَقٌ لله تعالى، في رِضًا وطُمأنينةٍ وسَكينةٍ وفرَحٍ، بلا اعتِراضٍ ولا ضجَر، ولا ملَلٍ ولا سأَم. وهذا مِن أعظَم مقاصِدِ تشريعِ الحجِّ وغاياتِه. وقد ظهرَ هذا التسليمُ القلبيُّ والعمليُّ في مناسِكِ الحجِّ في مواطِن كثيرةٍ؛ مِن وُقوفٍ بعرفة، ومَبيتٍ بمُزدلِفة ومِنَى، وطوافٍ، وسعيٍ، ورميٍ، وحَلقٍ، ونَحرٍ، وإحرامٍ، وكلُّها تشهَدُ أن أعظَمَ آثار الحجِّ وثِمارِه التي تغمُرُ المسلمَ أن يتحلَّى بعبوديَّة التسليمِ لله ولرسولِه –صلى الله عليه وآله وسلم–، مُتذلِّلًا لربِّه، مُعترِفًا بعَجزِه وتقصيرِه، مُفتقِرًا إلى رحمةِ الله ورِضوانِه الذي بيدِه كلُّ شيء، وإليه تُرجَعُ الأُمورُ كلُّها.

أيها المسلمون: إن التسليمَ لله ولُزومَ غَرزِ النبيِّ –صلى الله عليه وآله وسلم– هو عُنوانُ الصدِّيقيَّة، وقاعِدةُ الولايةِ الربَّانيَّة، والاختِبارُ الحقيقيُّ لإيمانِ العبدِ وإسلامِه، كما قال الله – عزَّ وجل –: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥]، وقال –سبحانه–: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٣٦]. فمَن سلَّم عقلَه وقَلبَه وجوارِحَه لفاطِرِه ومولاه –سبحانه–، رضِيَ الله عنه وأرضاه، ورزقَه الحياةَ الطيبةَ، وعاشَ في حياتِه بنُورٍ مِن الله، على هَديِ رسولِ الله –صلى الله عليه وآله وسلم–، فسَلِمَ مِن الآفاتِ والشُّرورِ والأنكادِ والهُموم؛

لأنه سلَّمَ لمولاه فسلَّمَه الله وحفِظَه وسدَّده، ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢]. وليس هناك أحدٌ خيرًا وأفضلَ ممَّن سلَّم لله وأسلَمَ له، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]. واقتِرانُ ذِكرِ نبيِّ الله إبراهيم -عليه السلام- هنا مع إسلامِ الوَجهِ لله دليلٌ على أن هذه هي المِلَّة التي يرضَاها الله ويُحبُّها، وأن خليلَ الله إبراهيم هو أعظمُ الأنبياء بعد نبيِّنا مُحمدٍ -صلى الله عليه وآله وسلم-، الذين حقَّقُوا التسليمَ والاستِسلامَ لله، فاقتَرَنَ أعظمُ مطلُوبٍ بأعظَمِ نبيٍّ بعد نبيِّنا مُحمدٍ -صلى الله عليه وآله وسلم-، كما شهِدَ الله له بذلك في قَولِه: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٤].والتسليمُ لله كان شِعارَ أبِي الأنبياء إبراهيم، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

وابتَلاهُ الله بكلماتٍ فأتمَّهنَّ، فجعلَه الله إمامًا للناسِ، وأمَّةً قانِتًا لله حَنِيفًا، أمرَه ربُّه بالصَّدعِ بدَعوةِ التوحيدِ، فسلَّمَ أمرَه لله، وجهَرَ بالتوحيدِ ودعَا إليه أمامَ الملأ، وحاورَهم وجادلَهم، ثم أمرَه ربُّه بأن يحمِلَ ولدَه إسماعيلَ وأمَّهُ هاجَرَ – عليهما السلام – ليضعهما هنا في مكة، في وادٍ غير ذي زرعٍ، ولا قريبٍ ولا أنيسٍ. فسلَّمَ أمرَه لربِّه. ونادَتْه هاجَرُ: "يا إبراهيم! أين تذهبُ وتترُكُنا بهذا الوادِي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ"، قالت له ذلك مِرارًا، وهو لا يَلتَفِتُ إليها، ثم قالت له: "آللهُ أمرَك بذلك؟!"، قال: "نعم"، قالت: "إذًا، لا يُضيِّعُنا الله!".

فهل ضيَّعَهم الله؟! هل ضيَّعَهم الله؟! كلا والله؛ بل أكرَمَهم ورفعَ شأنَهم، وأقبلَ إليهم بقُلوبِ الخَلق، وجعلَها تفِدُ إيهم بالوُدِّ والرحمةِ، وخلَّدَ ذِكرَهم في العالَمين. ثم أمرَ الله خليلَه إبراهيم ببناءِ البيتِ، فرفعَ القواعِدَ وشيَّدَ المبانِي، وأذَّنَ في الناسِ بالحجِّ، فأتَوا مِن كل فَجٍّ عمِيقٍ، ثم كان الاختِبارُ الأصعَب، والامتِحانُ الأعظَم الذي لا يكادُ يتحمَّلُه أحدٌ، حين أمرَه ربُّه بذَبحِ ابنِه وفلَذة كبدِه النبِّ الكريمِ إسماعيل، بعد أن شبَّ واستوَى، وبلغَ معه السعيَ، وأصبَحَ أكثرَ حاجةً إليه مِن ذِي قبل. فسلَّم إبراهيمُ لربِّه، وأضجَعَ ابنَه إسماعيل، وقال: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وأسلَمَا أمرَهما لله، وتلَّه للجَبينِ، ولما كادَ أن يذبَحَه نادَاه ربُّه: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٦]. نعم .. يا حُجَّاج بيتِ الله: إنه أعظمُ امتِحانٍ للتسليمِ لأمرِ الله الذي يرتَقِي في مدارِجِ الإحسانِ والكمالِ والدرجاتِ العُلَى، ولذلك جزَى الله إبراهيمَ الخليلَ أعظمَ الجزاء، وفدَى ابنَه الذَّبيحَ بكبشٍ عظيمٍ، وجعلَ ذلك سُنَّةً للمُوحِّدين إلى يوم القِيامة، وأقامَ له لِسانَ صِدقٍ في الآخرين، وجعلَه إمامًا للعالمين، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ *

﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٨ - ١١١]. وبعدُ .. حُجَّاج بيت الله: مَن سلَّم لله أمرَه، ورضِيَ بشرعِه وقَدَرِه، ولزِمَ غَرزَ النبيّ -صلى الله عليه وآله وسلم-، واقتفَى أثَرَه، ولم يعترِض ولم يتسخَّط، فلا يخافُ الضَّيعةَ ولا يخشَى، ولا خوفٌ عليه؛ فلن يضِلَّ ولن يشقَى. وذلك كلُّه قبَسٌ مِن آثار التسليمِ لله ولرسولِه -صلى الله عليه وآله وسلم-، الذي هو مِن أعظم مقاصِدِ تشريع عِبادة الحجِّ. فيرجِعُ الحُجَّاج إلى دِيارِهم وقُلوبُهم مليئةٌ بعبوديَّة التسليم، بعد أن تعوَّدُوا عليها وألِفُوها طِيلةَ أيام الحجِّ، فيستقبِلُون حياتَهم مِن جديدٍ بصفحةٍ بيضاء مِلؤُها الرِّضا بالله ربًّا، ومُدبِّرًا، ومُشرِّعًا، وحاكمًا وإلهًا، والرِّضا بمُحمدٍ -صلى الله عليه وآله وسلم- نبيًّا ورسُولًا، ويعبُدُون اللهَ على جناحَي الخَوفِ والرَّجاءِ، حُبًّا لربِّهم، وتسليمًا لأمرِه؛ حتى يأتِيَهم اليقينُ وهم على ذلك، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

أقولُ قَولِي هذا، وأستغفِرُ اللهَ العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفِرُوه، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، والصلاةُ والسلامُ على مَن أرسلَه الله شاهِدًا ومُبشِّرًا ونذيرًا، وداعِيًا بإذنِه وسِراجًا مُنيرًا، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الأماجِدِ الذين لما رأوا الأحزابَ ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وعلى المؤمنين التابِعِين لهم بإحسانٍ الذين صدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليه ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. وبعد ..

أيها المسلمون: إن التسليمَ لله ولرسولِه -صلى الله عليه وآله وسلم- مقامٌ عظيمٌ، ومنزلةٌ جليلةٌ، وهو دليلٌ على صِدقِ الإيمان، وخُلوص النيَّة، وطهارةِ القلبِ مِن أدرانِ الشِّرك والوثنيَّة، والبِدعةِ الرَّدِيَّة، والمعصِيةِ الدنِيَّة. وهذه الثلاثةُ هي أصولُ الشرِّ، وركائِزُ البلاء والفساد. وحقيقةُ التسليم لله ولرسولِه -صلى الله عليه وآله وسلم- أن يسعَى العبدُ سعيًا حثيثًا في تخليصِ قَلبِه مِن كل شُبهةٍ تُعارِضُ الخبرَ الإلهيَّ، أو شَهوةٍ تُخالِفُ الأمرَ والنهيَ، أو إرادةٍ تُزاحِمُ الإخلاصَ لله، أو اعتِراضٍ يُعارِضُ الشرعَ والقَدَرَ. فإذا حقَّقَ العبدُ ذلك فقد صفَا قلبُه، وصارَ قلبًا سليمًا صحيحًا، طاهِرًا مِن كل مرضٍ وآفةٍ تُفسِدُه، وتُردِيه، وتُضعِفُه. ولا ينجُو في الدنيا ولا في الآخرة إلا صاحِبُ القَلبِ السليمِ

المخبتِ لله، المطمئنِّ لأمرِه ووعدِه، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. فالعبدُ الموفَّقُ المسدَّدُ لا يُعارِضُ خبرَ الله الصادِقَ بشُبهةٍ حائرةٍ زائفةٍ، أو بِدعةٍ فاسِدةٍ، ولا يُنازِعُ اللهَ في أسمائِه وصِفاتِه وأفعالِه بتأويلاتٍ وتحريفاتٍ فاسِدة، ولا يُخالِفُ أمرَ الله ونواهِيَه بشهواتٍ وأهواءٍ زائِغة، ولا يُزاحِمُ إرادةَ الله والإخلاصَ له بمُراءاةِ الخلقِ والتسميعِ بأعمالِه وأفعالِه؛ لكي لا تُصبِحُ أعمالُه ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]. ولا يعترِضُ على الله في حُكمه القَدَريّ والشرعيّ، فلا يتسخَّطُ ولا يَجزَع، ولا يرُدُّ شرعَ الله؛ فالتسليمُ على الحقيقةِ – يا عباد الله – هو في تخلُّص العبدِ مِن كل هذه الآفات، وتربيةِ العقلِ والقلبِ والجوارِحِ على التسليمِ لله ولرسولِه –صلى الله عليه وآله وسلم– تسليمًا مُطلَقًا، بلا مُنازعات، ولا مُعارَضاتٍ، ولا شُكُوكٍ، ولا تأويلاتٍ، ولا تحريفاتٍ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أيها المسلمون: هذا هو القلبُ السليمُ الذي سلَّم لله، فسَلِمَ مِن فتنِ الشُّبُهات والشَّهوات، فلا يَقبَلُ الفِتنَ، وإذا عُرِضَت عليه فإنه يرُدُّها ويُنكِرُها، وكلما ردَّ الفِتنَ وأنكرَها نُكِتَت في قَلبِه نُكتةٌ بيضاء، حتى يُصبِحَ قَلبُه أبيَضَ مُستنيرًا بسِراجِ الإيمانِ المزهِر.

وفي مُقابِلِ هذا القلبِ السليمِ: هناك القَلبُ الميّتُ القاسِي، المطبُوعُ عليه، الذي كلما عُرِضَت عليه فِتنةٌ مِن فتنِ الشُّبُهات والشَّهَوات قبِلَها وتشرَّبَها، فتُنكَتُ في قَلبِه نُكتةٌ سَوداء، حتى يعُودَ قَلبُه أسوَدَ مُنتَكِسًا قد خُتِمَ عليه وطُبِع، فلا يعرِفُ معروفًا، ولا يُنكِرُ مُنكرًا إلا ما أُشرِبَ مِن هواه. وبين هذَين القلبَين القلبِ السليمِ والقلبِ الميّتِ: قَلبٌ مريضٌ مُتقلِّبٌ، لا يثبُتُ على حالٍ، لم يتمكَّن فيه الإيمانُ وصِدقُ التسليمِ لله ولرسولِه –صلى الله عليه وآله وسلم–، فتارةً يُجاهِدُ نفسَه في التخلُّص مِن فِتنِ الشُّبُهات والشَّهَوات، فيكون مع أهلِ الإيمانِ، وتارةً يَقبَلُ الفِتنَ ويضعُفُ أمامَها، فيتخلَّقُ بأخلاقِ أهل المعاصِي والنِّفاقِ. معاشِر الحَجِيج: إن مُدافعةَ فِتنِ الشُّبُهات والشَّهَوات، ومُجاهَدَة النَّفس في ردِّها وإنكارِها أمرٌ ضروريٌّ ومُتحتِّمٌ لمن أرادَ النجاةَ وسلامةَ قَلبِه، وطهارةَ نفسِه. وليس هناك أخطرُ على القَلبِ مِن استيلاءِ فِتنِ الشُّبُهات والشَّهَواتِ عليه وامتِلائِه بهما، وقَبُولِه لكلِّ فتنةٍ تُعرَضُ عليه.

وإن خُطورةَ تشرُّبِ القُلوبِ بفتنِ الشُّبُهات والشَّهَوات تكمُنُ في أنها تُفسِدُ على العبدِ تصوُّرَه للحقائِقِ والعُلُوم النافِعَة بالشُّبُهات والمعارَضات والشُّكُوك، فتنحرِفُ عقائِدُه وأفكارُه، ويقَعُ في البِدعةِ والشِّركِ والإلحادِ، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]. وكذلك هي تُفسِدُ على العبدِ قصدَه وإرادتَه بالشَّهَوات، فيخلُدُ إلى الأرض، ويتَّبِعُ هواه وشهَوَاته، وتأسِرُه مطامِعُه ولذَّاتُه، ويكونُ

كما قال الله: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]. عباد الله: عرضُ الفِتن على القُلوبِ لا ينجُو مِنه أحدٌ أبدًا، ولكن ما هو الموقِفُ الصحيحُ مِن الفتن؟ وكيف النَّجاةُ مِن خطرِها؟ ثبتَ في "صحيح مسلم" عن حُذيفةَ – رضي الله عنه – قال: قال رسولُ الله –صلى الله عليه وآله وسلم–: «تُعرضُ الفِتنُ على القُلوبِ عرضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلبٍ أُشرِبَها نُكِتَت فيه نُكتةٌ سَوداء، وأيُّ قَلبٍ أنكرَها نُكِتَت فيه نُكتةٌ بيضاء، حتى تَصِيرَ القُلوبُ على قلبَين: قلبٍ أسوَدَ مُرباذًّا كالكُوزِ مُجخِّيًا، لا يعرِفُ معروفًا ولا يُنكِرُ مُنكرًا إلا ما أُشرِبَ مِن هواه، وقَلبٍ أبيضَ مثلِ الصَّفَا، لا تضُرُّه فِتنةٌ ما دامَت السماواتُ والأرضُ».

عباد الله: صلُّوا على رسولِ الله؛ فقد أمَرَكُم بذلك الله؛ حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة الثامنة عشر ١٦ محرم ١٤٣٩هـ

بعنوان: العبودية في السراء والضراء

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله، الحمدُ لله الذي لا تنقَضِي ألطافُه وعجائِبُه، ولا تَخلَقُ مواعِظُه وآياتُه، ولا يتناهَى علمُه وسُلطانُه، مِن شأنِه في كل ساعةٍ أن يُفرِّج همًّا، ويكشِف كَربًا، ويغفِرَ ذنبًا، وينصُر وليًّا، ويُهلِكَ عدوًّا، ويرزُق ويخفِضَ ويرفَع، وتنزِلُ أُقضِياتُه ومراسِيمُه على وَفق القَدَر المكتُوب قبل أن يخلُقَ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فله الحمدُ كثيرًا، وله الشُّكرُ كثيرًا. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له لا يتعاظَمُه شيء، ولا يتبرَّمُ مِن كثرة السائِلِين على تنوُّع حاجاتِهم ولُغاتِهم، قد وسِعَ كلَّ شيءٍ علمًا، وأحصَى كلَّ شيءٍ عددًا، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، وصفِيُّه وخليلُه، كمَّل مقامات العبودية كلَّها لله -تعالى- فصارَ أكرمَ خلقِ الله، وبلغَ عند ربِّه ما لم يبلُغه نبيٌّ مُرسَلٌ ولا ملَكٌ مُقرَّبٌ، وخاطَبَه ربُّه بوَصفِ العبوديَّة الشريفِ في أفخَمِ المقاماتِ، وأعلَى المراتِبِ في مقام الدعوة، ومقام التحدِّي والإعجاز، ومقام الإسراء، ومقام الإيحاء، وإنزال القرآن، فصلَّى الله عليه وسلَّم صلاةً سرمديَّةً، وسلامًا أبديًّا، وعلى آلِهِ وأصحابِه والتابِعِين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد: فاتَّقُوا اللهَ -أيها المسلمون-، واتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تَمرة، ولو بكلمةٍ طيبةٍ؛ فإنَّ الجنةَ حُفَّت بالمكارِهِ، وإن النارَ حُفَّت بالشَّهَوات. واعلَموا أن البِرَّ لا يَبلَى، والإثمَ لا يُنسَى، والديَّانَ لا يموت، وكما تَدينُ تُدان، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

معاشِر المسلمين: ما مِن إنسانٍ في هذه الحياةِ إلا وهو يتقلَّبُ بين حالتَين لا ينفَكُّ عنهما: فإما أن يكسُوَه الله لباسَ النِّعمة والسرَّاء، وإما أن تُنزعَ مِنه فتُصيبُه حالةُ الضرَّاء والبُؤس والبأساء. ولا يخلُو أحدٌ مِن بني البشر مِن هاتَين الحالتَين حتى يقضِيَ أجلَه في هذه الحياة، كما قال الله: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. فيَومًا علينا، ويومًا لنا، ويومًا نُساءُ، ويومًا نُسَرُّ. وليس الشأنُ في هذا التقلُّبِ بين السرَّاء والضرَّاء فهو حَتمٌ لا مناصَ مِنه، إنما الشأنُ كلُّ الشأنِ في كيفيَّة التعامُل معهما، ومدَى استِثمار العاقِلِ الموفَّق، واغتِنامِه لحالتَيِ النَّعماء والبَلواء بما يُقرِّبُه مِن ربِّه ويُرضِيه عنه، وبما ينفَعُه في حياتِه ودُنياه وآخرتِه.

ولقد بيَّن لنا ربُّنا -سبحانه وتعالى- كيفيَّة تعامُل الإنسان من حيث طبيعتُه الإنسانيَّة مع حالتَيِ النَّعماء والضرَّاء، فقال -سبحانه-: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[هود: ٩، ١٠]، وقال -سبحانه-: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا

﴿عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]. فالإنسانُ مِن حيث هو إنسان يُسرِفُ في الفرَح بالنَّعماء والسرَّاء، ويظنُّ أن الله - عزَّ وجل - قد اختصَّه بها لكرامتِه عنده؛ حتى يصِلَ إلى حدِّ الأشَر والبطَر والفخر، وينسَى أنها نعمةٌ لله، ولو شاءَ الله لنزَعَها مِنه في لَمحِ البصر، **﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾** [الزمر: ٨]. وفي المقابِل نجِد أنه يجزَع ويتسخَّط ويقنَطُ مِن رحمةِ الله إذا ابتُلِيَ بالضرَّاء، ونُزِعَت مِنه العافيةُ والرحمةُ؛ حتى يصِلَ به الحالُ إلى اتِّهام الله في قَدَره، والاعتِراضِ عليه في قضائِه، كما قال -سبحانه-: **﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾** [فصلت: ٤٩]، وقال: **﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾** [الفجر: ١٦]. وتلك فِتنة .. وأيُّ فتنةٍ؟! ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلَمُون! هكذا هو الإنسان، وهذه هي طبائِعُه، إلا صِنفًا مُوفَّقًا مِن الناسِ استثنَاه الله بقولِه: **﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾** [هود: ١١]. إنهم المؤمنون الصادِقُون الذين صدَقُوا مع الله، وشكَرُوا وصبَرُوا في حالتَي السرَّاء والضرَّاء، فوفَّقَهم ربُّهم لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، وعلِمُوا أن لله -تعالى- عليهم عبوديَّةً في حالةِ النَّعماء والسرَّاء، كما له -سبحانه- عبوديَّةٌ في حالة الضرَّاء والبَلواء. فسعَوا وبذَلُوا جُهدَهم في تكميلِ هاتَين العبوديَّتين حتى سُعِدُوا في حياتهم، وهنِئُوا في عَيشِهم، ورضُوا عن الله في الحالتَين، فرضِيَ الله عنهم وأرضاهم، وما كان ليُوفَّق إلى تلك العبوديَّة إلا المؤمن. كما ثبَتَ في "صحيح مسلم": عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «**عجبًا لأمرِ المُؤمن إن أمرَه كلَّه خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمُؤمن؛ إن أصابَتْه سرَّاء شكَرَ فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضرَّاء صبَرَ فكان خيرًا له**». فالمؤمنُ الصادِقُ هو أسعَدُ الناسِ حظًّا بربِّه، وأكملُ الناسِ استِمتاعًا بهذه الحياةِ ولذَّاتِها، وأعقَلُ الناسِ وأحسَنُهم تصرُّفًا في حالتَي الضرَّاء والسرَّاء التي لا ينفَكُّ عنهما أحدٌ مِن البشر.

أيها المسلمون: إن لله -تعالى- على عبدِه عبوديَّةً في حالة السرَّاء وما يُحبُّ، وله عبوديَّةٌ في حالة الضرَّاء وفيما يكرَه، وهاتان العبوديَّتان هما رُكنا السعادة وقُطبَا رحاها، ومَن كمَّلَهما وأتى بهما فلا أسعَدَ مِنه، ولا أشرَحَ صَدرًا، ولا أكمَلَ طُمأنينةً وسَكِينةً مِنه. إن نعمَ الله على عبادِه كثيرةٌ ومُتنوِّعةٌ، وهي تدورُ بين نوعَين: أعظمُهما وأجلُّهما قَدْرًا: النِّعمُ الدينية الشرعيَّة،

والعطايا القلبيَّة الإيمانيَّة، والمِنَحُ الرُّوحيَّة والأخلاقيَّة، وأعظمُها: نعمةُ التوحيد والإيمان، ونعمةُ العلم والبصيرة والفقهِ في الدين، ونعمةُ الاجتِماع والأُلفة والاعتِصام بالكتاب والسنَّة. والنوعُ الثاني: النِّعمُ الدنيويَّة والمتَعُ الماديَّة

والمعنويَّة التي تُعينُ العبدَ على النِّعم الدينيَّة، وتُكسِبُه بهجةَ الاستمتاع بالمباحاتِ والطيِّبات؛ كنِعمة العافِية في الأبدان، والأمنِ في الأوطان، وعدلِ السُّلطان، ونِعمة الأزواج والأولاد والأموال، وغير ذلك. وكِلا النَّوعَين نعمٌ مِن الله إيجادًا وابتِداءً وإمدادًا، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. فالمؤمنُ الصادِقُ أمامَ نعمِ الله المترادِفة عليه يقومُ لله بعبوديَّة الشُّكر والحمد والاعتِراف له بأنها مِنه وله، وأنها محضُ تكرُّمٍ مِنه -سبحانه-، وتفضُّلٍ على عبادِه، ثم يشكُرُ الله -سبحانه- بلسانِه وجوارِحِه، ولا يستعمِلُ هذه النِّعم إلا فيما يُرضِي اللهَ -سبحانه وتعالى-، فمَن فعلَ ذلك فقد أدَّى شُكرَ النِّعمة، وقامَ لله بعبوديَّة السرَّاء، واستحَقَّ جزاءَ الشاكِرين الحامِدِين الذي جاءَت النُّصُوصُ مُتكاثِرةً ببيانِه وبيانِ فضلِ الشُّكر ومكانتِه، وأنه فريضةُ الله على عبادِه. كقولِه -سبحانه-: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سبأ: ١٥]، وقوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. وأخرجَ الإمامُ أحمد بسندٍ صحيحٍ: عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: "إن أفضلَ عِبادِ الله يوم القِيامة الحمَّادُون". أيها المسلمون: إن عبوديَّة الشُّكر هي قَيدُ النِّعم، وسرُّ بقائِها وديمومتها وزيادتها، ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. وما حُفِظَت النِّعم ولا قُيِّدت بمثلِ الشُّكر والحمد، ولا فرَّت ونفَرَت وشرَدَت ومُحِقَت بركتُها بمثلِ البطَر والأشَر، واستِعمالها فيما حرَّم الله. وهذا هو عينُ كُفران النِّعم، كما قال -سبحانه-: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. وتلك سُنَّةُ الله لا تتبدَّل ولا تتغيَّر، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. وكما قصَّ الله علينا نبأَ قارُون الذي آتاه الله مِن الكُنوز والأموال ما لا يُوصَف، فجحَدَ نعمةَ الله عليه غُرورًا وبطَرًا، ونسِيَ كيف كان قبلَ نعمةِ الله عليه، وقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، فخسَفَ الله به وبدارِه الأرض، وجعلَه عِبرةً للمُعتبِرين. إن مُقابلةَ نعمِ الله بالبطَر والتكبُّر والإسراف والتبذير، وارتِكابِ ما حرَّم الله بها مُؤذِنٌ بزوالِها، ونذيرُ شُؤمٍ بسَلبِها واستِردادِها. ووالله الذي لا إله غيرُه؛ إن أقسَى العقُوبات التي يصُبُّها الله على مَن كفَرَ بأنعُمِه ولم يقُم لله بعبوديَّة الشُّكر: أن يسلُبَه النِّعمةَ بعد العطاء، ويَحرِمَه بعد الإنعام، وليس هناك أشدَّ على النفسِ وَطأةً وألَمًا وحسرةً مِن النَّقصِ بعد الزيادة، والإهانةِ بعد الإكرام، والحَور بعد الكَور، والسُّقُوط بعد العلُوِّ، والذلِّ بعد العِزِّ، والقَبضِ بعد البَسطِ. وإن مِن أقسَى صُور السَّلب بعد العطاء وأمرِّها: أن يُسلَبَ الإنسانُ في حياتِه لذَّةَ الطاعة والإنابَة، وخُشُوعَ

القلبِ وزكاةَ النَّفس، والفرحَ بالله، وقُرَّة العينِ بالحياةِ مع الله –سبحانه وتعالى– والأُنسِ به. ويبلُغ السَّلبُ بعد العطاء ذروتَه حين يُسلَبُ العبدُ الإيمان وشهادةِ الحقِّ في ساعة الاحتِضار، وعند سكَرَات الموت، فيُعاقَبُ بسُوء الخاتِمة، وشَناعَة النِّهاية، وموتة الأسَف، ولا يُوفِّقُه الله لخاتمةٍ حسنةٍ ومِيتةٍ مرضيَّةٍ سويَّة. ولعَمرُ الحقِّ! إنها لمِن أعجَب صُور سَلب النِّعم بعد العطاء، كحال فِرعون الذي طغَى وبغَى وكفَرَ بالله ونعمِه، ثم لما أدرَكَه الغرقُ وعايَنَ الموتَ ذهَبَ ليُؤمن، فقيل له: ﴿الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]؛ إنها لعِبرة .. وأيُّ عِبرةٍ؟! ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يشعُرُون! أمة الإسلام: وإن مِن العطايا الربَّانيَّة والمِنَن المرعيَّة التي تستوجِبُ الشُّكرَ والحمدَ: نعمةَ الأمن والأمان التي امتنَّ الله بها على عبادِه، ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]؛ ولفَتَ إليها الأنظارَ والعُقُولَ بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[العنكبوت ٦٧]

إن شُيُوعَ الأمن في مُجتمعات المسلمين عامَّةً ضرورةٌ شرعيَّة وحياتيَّة؛ لتستَقِيمَ حياةُ الناس، ويقُومُوا بعبادةِ ربِّهم، وهو أشدُّ ضرورةً وإلحاحًا في بلادِ الحرَمَين المملكة العربيَّة السعوديَّة؛ لأنها معقِلُ التوحيد، ورمزُ الإسلام، وحامِيةُ مُقدَّسات المسلمين. فالحِفاظُ على عقيدتها وأخلاقِها وأمنِها وسلامتِها واجبٌ شرعيٌّ على كل مُسلمٍ مُواطِنٍ أو مُقيمٍ في هذه البلاد، وستبقَى بلادُ الحرمَين – بإذن الله – مأرِزَ الإيمان والأمن، ومنارةَ الإسلام والسلام لكل العالَم بما شرَّفَها الله مِن عقيدةٍ وأخلاقٍ وسُلُوكٍ، وبما حوَتْه مِن مُقدَّساتٍ طاهرةٍ، وآثار النبيِّ –صلى الله عليه وآله وسلم– ، ومنازِلِ الصحابة الكِرام، ومآثِرِ التاريخ.

بارَكَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفَعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قَولِي هذا، وأستغفِرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفِرُوه، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله، الحمدُ لله حمدًا يَلِيقُ بجلالِه وعظمتِه وكِبريائِه كما يُحبُّ ربُّنا ويرضَى، والصلاةُ والسلامُ على إمام الشاكِرين والصابِرين، وحامِلِ لواءِ الحمد يوم الدين، وعلى آلِه وأصحابِه والتابِعِين. وبعد .. أيها المسلمون: قال ابن مسعُودٍ – رضي الله عنه –: "إن الإيمانَ نِصفَان: نِصفٌ شُكرٌ، ونِصفٌ صبرٌ". وهذا يدلُّ على أن تحقيقَ هاتَين العبوديَّتين علامةُ الإيمان الصحيح، وكما أن لله عبوديَّةً على عبدِه في حالةِ السرَّاء والنَّعماء بالشُّكر والحمد، فكذلك له –سبحانه– على عبدِه عبوديَّةٌ بالصبر والرِّضا في حالةِ البلاء والضرَّاء، تلك الحالةُ التي لا ينفَكُّ عنها إنسانٌ أبدًا. فمَن ذا الذي لم يُبتلَى بمرضٍ وسُقمٍ، أو فقرٍ وذُلٍّ، أو نقصٍ في الأموال والأنفُس والثَّمَرات، أو تغيُّر حالٍ وهمٍّ وغمٍّ

وحُزنٍ، أو أذِيَّةِ حاسِدٍ وحاقِدٍ، أو إدالَةِ الأعداء وانتِصارِهم على المسلمين؟! ولو نجَا مِن ذلك أحدٌ لنجَا الأنبياءُ والمرسَلُون الذين هم أكرَمُ الخلق على الله، وهم أشدُّ الناسِ بلاءً وامتِحانًا، والرجُلُ يُبتلَى على قَدرِ دينِه. إن الابتِلاءَ بالضرَّاء والبأساء سُنَّةٌ ماضِية، وحتميَّةٌ قدَريَّة، والمسلمُ العاقِلُ لا يملِكُ أمام ذلك إلا أن يرضَى ويُسلِّم أمرَه لله ويصبِر، وهو يعلَمُ أن لله في ذلك الابتِلاء حِكَمًا وغاياتٍ ظاهرةً وخفيَّة. ثم هو أيضًا لا يكتَفِي بالرِّضا والصبرِ فحسب؛ بل يتَّخِذُ كلَّ الوسائل الممكِنة المشرُوعة لدَفعِ ذلك الابتِلاء ورفعِ الضرَّاء، فيدفَعُ قدَرَ الله بقَدَر الله بالأسباب الشرعيَّة، ويتوكَّلُ على الله ويستَعِينُ به، ولا يتواكَلُ ولا يتخاذَلُ ولا يضعُفُ؛

فالمؤمنُ القويُّ أحبُّ إلى الله مِن المؤمن الضَّعيف. والله -تعالى- يُحبُّ مِن عبدِه أن يسعَى في رفع الضَّرر وإزالَة البلاء؛ حتى لا يقَع فريسةَ اليأس والقُنُوط مِن رحمةِ الله، فيضعُفُ عن مُواجهةِ البلاء، فيجزَعُ ويخنَعُ وينهَزِمُ، ويستَولِي عليه الشيطان. إن المؤمنَ الصادِقَ تظهرُ عبوديَّتُه لربِّه -سبحانه- أعظمَ ما تظهَر حين يُصابُ ببلاءٍ وكربٍ، فتجِدُه عظيمَ الثِّقةِ بربِّه -سبحانه-، شديدَ التعلُّق بمَولاه، دائِمَ الاستِغاثةِ والتضرُّعِ لسيِّده، مُتحلِّيًا بالصبرِ والمصابَرة، لا يشكُو، ولا يُظهِرُ الشِّكايةَ لأحدٍ، ينتظِرُ الفرَجَ مِن الله، ولا ييأَسُ مِن رَوحِ الله، ولا يشُكُّ في أن الله هو فارِجُ الهمِّ، وكاشِفُ الكَرب، ومُجيبُ دعوةِ المضطرِّين، ﴿**قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ**﴾ [الأنعام: ٦٤]. وتعظُمُ الثِّقةُ بالله والرَّغبةُ في فرَجِه حين يطُولُ أمَدُ البلاء، ويستَطِيرُ شرَرُ الفتنة، ويمتَدُّ زمنُ الضرَّاء ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[البقرة: ٢١٤].

أيها المسلمون: إن عبوديَّة الضرَّاء بالصبر والمصابَرة يُثمِرُ للعبد أفانِينَ الرِّضا والحُبُور والسَّكينة في صحراء البلاء، ووَهَجِ الضرَّاء، وتستَمطِرُ رحماتِ السماء، وغيثَ اليقينِ والرَّوح؛ لتُروِّيَ جَفافَ البأساء، وقَحطَ المِحَن والبلاء. إن المسلمَ إذا صدَقَ مع الله في تحقيقِ عبوديَّة الضرَّاء، فإن المِحَن تكونُ في حقِّه مِنَحًا، وتنقلِبُ الآلامُ آمالًا، والأحزانُ أفراحًا، ويجعلُ الله له مِن كلِّ ضِيقٍ مخرَجًا، ومِن كلِّ همٍّ فرَجًا، وربما صحَّت الأجسادُ بالعِلَل، ورُبَّ ضارَّةٍ نافِعة، ورُبَّ بلاءٍ كان سببًا لأَن يلِجَ العبدُ ملَكُوت السماء. وكم بدَّدَت شُعلةُ الأمل ظُلمات اليأس! وكم نبَتَت الأزهارُ مِن خُلَل الصُّخُور الصمَّاء! فعلامَ يحمِلُ العبدُ الهُمومَ، والله بيدِه كلُّ شيء؟! وعلامَ يحزَن وهو يعلَمُ أن هذه الدنيا دارُ كَبَدٍ والْتِواء لا دارُ استِقرارٍ واستِواء، وأن دوامَ الحالِ مِن المحال، وأن كلَّ عُسرٍ فهو مُحاطٌ بين يُسرَين.

سهِرَت أعيُنٌ ونامَت عيُونٌ *** في شُؤُونٍ تكونُ أو لا تكونُ

إن ربًّا كفاكَ بالأمسِ ما كانَ *** سيَكفِيكَ في غدٍ ما يكونُ

لقد سطَّر أنبياءُ الله ورُسُلُه أفخمَ الرَّوائِع في إظهار العبوديَّة الحقَّة لله في حالة البلاء والضرَّاء، كما قصَّ الله علينا مِن نبأِ نُوحٍ، وإبراهيم، ومُوسَى، وهودٍ، وصالحٍ، ويُونُس –عليهم السلام–، وكيف قامُوا لله المقامات العالِية في مُواجهة البلايا ومِحَن الطريق. وتنثَنِي خواصِرُ المهمُومين إجلالًا، وتفِيضُ دُموعُ المكرُوبين استِرواحًا لصبر يعقُوب – عليه السلام – على فَقد ولدِه الحبيبِ، وتفجُّعه ووَلَهه، وتوكُّله على الله، وقولِه: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. وأعجَبُ مِنه: صبرُ أيوب – عليه السلام – على المرضِ والبلاء قُرابةَ ثَمانِ عشرة سنة – كما قال المفسِّرُون –، حتى ملَّ مِنه الصِّدِيقُ والقَرِيبُ، وفقَدَ مالَه وأهلَه. وما كان الله ليَذَرَهم على ما هم عليه حتى يُنجِّيَهم ويكشِفَ كَربَهم، وما كان الله ليتخلَّى عنهم وهم قد قامُوا له –سبحانه– بعبوديَّة الضرَّاء، فجاءَهم الفرَجُ، ونجَّاهم الله مِن الهمِّ والغمِّ والبلاء، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]. أيها المسلمون: مِن أعجَب الحوادِثِ التي وقَعَت بالنبيِّ –صلى الله عليه وآله وسلم–، وأشدِّها ألمًا وابتِلاءً: حادِثةُ الإفك الشَّهيرة التي اتُّهِمَت فيها عائشةُ – رضي الله عنها– حبيبةُ رسولِ الله –صلى الله عليه وآله وسلم–، وبقَدر شدَّة هذه الحادِثة وألَمها، إلا أنها كانت تحمِلُ في طيَّاتها الخيرَ والبشائِر، كما قال الله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١]. ولذلك فقد يُقدِّرُ الله، ويُجرِي على عبادِه بعضَ المقادِير التي في ظاهِرها الشرُّ والضَّرَر، ولكن في ثناياها الخيرُ، وتكونُ عاقِبتُها إلى خيرٍ. فلا يأسَ مع رحمةِ الله وحُسن تدبيرِه، ولا قُنُوطَ مع لُطفِ الله وحكيمِ تقديرِه.

ولرُبَّ نازِلةٍ يَضِيقُ بها الفتَى *** ذَرعًا وعند الله مِنها المخرَجُ

ضاقَت فلما استحكَمَت حلَقُاتُها *** فُرِجَت، وكُنتُ أظنُّهَا لا تُفرَجُ

عباد الله: صلُّوا على رسولِ الله؛ فقد أمرَكُم بذلك الله؛ حيث قال في مُحكَم تنزيلِه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة التاسعة عشر ١٤ صفر ١٤٣٩هـ

بعنوان: الإيمان بالقضاء والقدر

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله، الحمدُ لله العليّ الأعلى، الذي خلقَ فسوَّى، والذي قدَّر فهدَى، أنارَ قُلوبَ أوليائِه بنُعُوتِ جلالِه ومشاهِدِ صِفاتِ كمالِه، وأدهشَهم بآياتِ عظمَتِه في قضائِه وقدَرِه وسُلطانِه، أحمدُه –سبحانه– وأشكرُه لا رادَّ لقضائِه ولا مُعقِّبَ لحُكمه. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له إلهًا واحدًا أحدًا صمَدًا، جلَّ عن الأشباهِ والأمثال، وتقدَّسَ عن الأضدادِ والنُّظراء والأشكال، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه، وخِيرتُه مِن خلقِه، وسيِّدُ أنبيائِه ورُسُلِه، بعثَه الله على حينِ فترةٍ مِن الرُّسُل، ففتحَ به قُلوبًا غُلفًا، وأعيُنًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، حتى دخلَ الناسُ فِي دِينِ الله أفوَاجًا بعد أفوَاجٍ، وأسرابًا بعد أسرابٍ، فصلَّى الله على هذا السيّد العظيم، وعلى آلِهِ وأصحابِه والتابِعِين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا ما تلألأَت بعد الظُّلُمات الأنوار، وتعاقَبَ على كرِّ الدُّهور الليلُ والنَّهارُ. أما بعد: فاتَّقُوا اللهَ –عباد الله–، اتَّقُوا اللهَ حقَّ التقوَى، واستَحيُوا مِن الله حقَّ الحياء، واحفَظُوا الرأسَ وما حوَى، والبطنَ وما وعَى، واذكُرُوا الموتَ والبِلَى، ومَن أرادَ الآخرة تركَ زِينةَ الدُّنيا؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أمةَ الإسلام: ما أجملَ حياة العبدِ، وما أسعدَ عيشَه، وما أقرَّ عينَه حين يعلَمُ علمَ اليقين أن ما أصابَه لم يكن ليُخطِئَه، وما أخطأَه لم يكن ليُصِيبَه، وأن كل شيءٍ في هذا الكَون يجرِي بعلمِ الله وتقديرِه، فحينها ينشرِحُ صدرُه، وتسكُنُ نفسُه، ويهدأُ بالُه، وتعظُمُ ثقتُه بربِّه، ويقوَى توكُّلُه عليه. وذلك كلُّه قبَسٌ مِن نور الإيمان بالقضاء والقدَر، الذي هو مِن أجلِّ أركان الإيمان، وأعظمِ أصُول المِلَّة والدِّين، لا يقبَلُ الله مِن عبدٍ صَرفًا ولا عَدلًا إذا لم يُؤمِن به إيمانًا صادِقًا، حيًّا نابِضًا، فاعِلًا في حياتِه، مُتدفِّقًا بالمعانِي الإيمانية، والحقائِق القلبيَّة التي تُنشِئُ في العبدِ نفسًا راضِيةً مرضِيَّةً عامِلةً بنَّاءةً، ساعِيةً في كل ما يُفيدُها في دُنياها وآخرتِها. ومِن هنا كان الإيمانُ بالقضاء والقدَر هو المَحَكَّ الحقيقيَّ لصِدقِ العبدِ وإخلاصِه، ومعرفتِه بربِّه، والرِّضا بأفعالِه، وكَم مِن الناسِ سقَطُوا في فتنةِ الجزَع، والتسخُّط والاعتِراضِ، وفشِلَ البعضُ عند أولِ عارِضٍ، وخُذِلَ آخرُون فزعَمُوا أنه لا قدَر وأن الأمرَ أُنُف، وصدَّقُوا ما بذَرَه الشيطانُ في عُقُولهم مِن الشُّبَه والتساؤُلات الحائِرة التي تتَّهِمُ اللهَ في أقدارِه، وتعِيبُه في قضائِه، ولا تُدرِكُ الحِكَم البالِغةَ في أفعالِه، فهُم في الحقيقةِ ما قدَرُوا اللهَ حقَّ قَدرِه حين سوَّلَ لهم الشيطانُ وأملَى لهم. إن الإيمانَ بالقضاءِ والقدَر هو النَّجاةُ

والفلاحُ والسعادةُ التي افتقَدَها كثيرٌ مِن البائِسِين اليائِسِين الحائِرِين، بينما المؤمنُ يعلَمُ يقينًا لا يُخالِجُه شكٌّ أن الله – سبحانه وتعالى– قد قدَّر الأحداثَ كلَّها في هذا الكَون خيرَها وشرَّها، صغيرَها وكبيرَها، وعلِمَها –سبحانه وتعالى– بعلمِه المحيطِ الواسِع، على الإجمالِ والتفصيلِ قبل وُجودِها، ثم أمرَ القلمَ أن يكتُبَ في اللَّوح المحفُوظ كلَّ شيءٍ كائِنٍ، وكلَّ حدَثٍ صائِرٍ صغُر أم كبُر. ثم صارَت الأحداثُ والأقدارُ تتوالَى وتحصُلُ بعد ذلك بمشيئةِ الله وإذنِه، إيجادًا مِنه وخَلقًا على وفقِ القدَرِ المكتُوب، حَذوَ القُذَّة بالقُذَّة لا ينخَرِمُ مِنه شيءٌ البَتَّة، كما قال –سبحانه–: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] يعني: في اللَّوح المحفُوظ. وقال –سبحانه–: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال –سبحانه–: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. وقد عدَّ النبيُّ –صلى الله عليه وآله وسلم– في الحديث المشهُور حديثِ جبريل، عدَّ مِن أركان الإيمان العُظمى: الإيمانَ بالقدَر حُلوِه ومُرِّه، خيرِه وشرِّه. وثبَتَ عند الترمذي في "جامعه": أن النبيَّ –صلى الله عليه وآله وسلم– قال: «**لا يُؤمِنُ عبدٌ حتى يُؤمِنَ بالقدَر خيرِه وشرِّه مِن الله، وحتى يعلَم أن ما أصابَه لم يكُن ليُخطِئَه، وما أخطأَه لم يكُن ليُصيبَه**». وكان النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم– يغرِسُ عقيدةَ الإيمان بالقدَر في نُفُوس الأطفال والشبابِ قبل الكِبار مِن الصحابةِ – رضي الله عنهم–. كما في الحديث المدهِش العجِيب، الذي ألقَى فيها النبيُّ –صلى الله عليه وآله وسلم– جُملةً مِن الوصايا الكُبرى على ابن عباسٍ –رضي الله عنهما، وهو بعدُ غُلامٌ صَغيرٌ–، ومِن هذه الوصايا العُظمى: «**واعلَم أن الأمةَ لو اجتَمَعُوا على أن ينفعُوك بشيءٍ لم ينفَعُوك إلا بشيءٍ قد كتبَه الله لك، وعلى أن اجتَمَعُوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبَه الله عليك، رُفِعَت الأقلام، وجفَّت الصُّحُف**» أخرجه أحمد والترمذي.

وقال –صلى الله عليه وآله وسلم– لزيدِ بن ثابتٍ –رضي الله عنه، وهو شابٌّ لقِنٌ فهِمٌ–، قال له: «**لو أنفَقتَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهبًا في سبيلِ الله، ما قَبِلَه الله مِنك حتى تُؤمِنَ بالقدَر، فتعلَمَ أن ما أصابَك لم يكُن ليُخطِئَك، وما أخطأَك لم يكُن ليُصِيبَك، ولو مُتَّ على غيرِ هذا لدخَلتَ النَّار**» أخرجه أحمد بسندٍ صحيحٍ. وفي حديثِ أبي الدَّرداء –رضي الله عنه– عند الإمام أحمد: قال –صلى الله عليه وآله وسلم–: «**لا يدخُلُ الجنةَ عاقٌّ، ولا مُدمِنُ خَمرٍ، ولا مُكذِّبٌ بالقدَر**». أيها المؤمنون: مِن أعاجيبِ عقيدةِ ومسائلِ الإيمان بالقدَر الباهِرة التي تُعظِّمُ الربَّ – سبحانه وتعالى–، وتستحِقُّ التأمُّلَ والتفكُّر: أن الله –سبحانه وتعالى– قد كتبَ مقادِيرَ الخلائِق قبل أن يخلُقَ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشُه على الماء، كما ثبتَ في "صحيح مُسلم".

وأن أولَ ما خلقَ الله القلمَ، "قال له: اكتُب، قال: ربِّ! وما أكتُبُ؟ قال: اكتُب مقادِيرَ كلِّ شيءٍ حتى تقُومَ الساعةُ"، كما ثبتَ عند أبي داود. والله –سبحانه وتعالى– يعلَمُ ما في البرِّ والبحر، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فهو –سبحانه وتعالى– قد علِمَ الأشياءَ كلَّها ومقادِيرَها، صغيرَها وكبيرَها، وعلِمَ ما كان، وما سيكُون، وما لم يكُن لو كان كيف يكُون. وكلُّ هذه الأحداثُ والمقادِيرُ مكتُوبةٌ على التفصِيلِ في اللَّوح المحفُوظ مِن قبلِ أن تُوجَد وتظهَر، كما قال الله – عزَّ وجل–: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، يعني: مِن قبلِ أن نُوجِدَها في الواقِع، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. ثم أوجدَ –سبحانه وتعالى– الوقائعَ والأحداثَ، وأظهرَها على سَمتِ رسمِ ما هو مكتُوبٌ عنده –سبحانه–، لا يتبدَّلُ منها شيءٌ ولا يتغيَّر. وهذا مِن أعظم الأدلَّة عل ألوهيَّته –سبحانه–، وربوبيَّته، وقُدرتِه الشامِلة، وعلمِه التامّ، وأنه الإلهُ الحقُّ المستحِقُّ أن يُعبَد وحدَه، ويُسألَ وحدَه، ويُعتمَد عليه وحدَه، ويُتوكَّل عليه وحدَه، ويُستغاثَ به وحدَه، قد وسِعَ علمُه كلَّ شيءٍ، وأحاطَ بكلِّ شيءٍ قُدرةً وسُلطانًا وقَهرًا، فلا يخرُجُ شيءٌ في هذا الكَون عن سُلطانِه وقُدرتِه، ولا يحصُلُ شيءٌ مِن الأحداثِ العِظام إلا بعلمِه وإذنِه. فسُبحان مَن بهَرَت حِكمتُه العُقُول، وسُبحان مَن أدهَشَت أقدارُه ذَوِي الألباب والفُهُوم، وعجَزَت أفصَحُ الألسُنِ عن التعبير عن ألطافِه في أقضِياتِه، وتقاصَرَت أفهامُ الخلائِقِ عن إدراكِ أسرارِ أقدارِه وأفعالِه، ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

قال الإمامُ الشافعيُّ – رحمه الله، وقدَّسَ رُوحَه –:

ما شِئتَ كان وإن لم أشَأْ * وما شِئتُ إن لم تشَأْ لم يكُنْ**
خلَقتَ العِبادَ على ما علِمتَ * ففِي العِلمِ يجرِي الفتَى والمُسِنْ**
على ذا مننتَ، وهذا خذَلتَ * وهذا أعَنتَ، وذا لم تُعِنْ**
فمِنهم شقِيٌّ، ومِنهم سعِيدٌ * ومِنهم قَبِيحٌ، ومِنهم حسَنْ**

أيها المسلمون: هذا التقديرُ الذي قدَّرَه الله وكتبَه في اللَّوح المحفُوظ هو التقديرُ العامُّ الأزَليُّ، الذي لا يتغيَّرُ ولا يتبدَّلُ، ولا يُمحَى مِنه شيءٌ أبدًا. وهناك التقديرُ العُمريُّ، الذي يكون لكلِّ إنسانٍ في هذه الحياة وهو في بطنِ أمِّه، وقبل أن تُنفَخَ فيه الرُّوح، يبعَثُ الله ملَكًا فيُؤمَرُ بكَتبِ رِزقِه، وأجَله، وعملِه، وشقيٍّ أو سعيدٍ.

وهناك التقديرُ السنويُّ الحَوليُّ، وذلك في ليلةِ القَدر مِن كل سنةٍ، يُفصَلُ فيها مِن اللّوح المحفُوظ كلُّ أمرٍ حكيمٍ؛ أي: يُقضَى فيها أمرُ السنةِ كلِّها مِن معايِشِ الناسِ ومصائِبهم، وموتِهم وحياتِهم إلى مثلِها مِن السنة القادِمة. وهناك التقديرُ اليوميُّ لأحداثِ الكَون، كما قال الله -عزَّ وجل-: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن: ٢٩]. قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**مِن شأنِه أن يغفِرَ ذنبًا، ويُفرّج كَربًا، ويرفعَ قَومًا، ويخفِضَ آخرِين**» أخرجه ابن ماجَه بسندٍ صحيحٍ. وثبَتَ عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما-: "**أن الله -سبحانه- ينظُرُ كلَّ يومٍ في اللَّوح المحفُوظ ثلاثمائةٍ وستين نظرة، يخلُقُ بكلِّ نظرةٍ، ويُحيِي ويُميت، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويفعلُ ما يشاءُ**" أخرجه الطبرانيُّ بسندٍ حسنٍ.

فمَن آمنَ بكل أقدارِ الله، ورضِيَ بما قسَمَه الله وقضاه؛ ملأَ الله صدرَه غِنًى وأمنًا، وفرَّغَ قلبَه لمحبَّته والإنابةِ إليه، وجمعَ عليه شَملَه، وأتَتْه الدنيا وهي راغِمة. ومَن فاتَه حظُّه مِن الإيمانِ بالقدَر فرَّقَ الله عليه ضَيعَتَه، وجعلَ فَقرَه بين عينَيه، وسيبقَى أسِيرَ الشكِّ والهُمُوم والأحزان وكسفِ البالِ، ولم يتهَنَّ بعيشِه، ولم يُدرِكه لُطفُ الله وحنانُه في المصائِبِ والمِحَن، كما اعترضَ إبليسُ على ربِّه -سبحانه-، وسخِطَ عليه أن فضَّلَ آدمَ - عليه السلام -، ثم رفضَ السُّجُودَ له، فكان جزاؤُه أن طرَدَه الله مِن الملَكُوت الأعلَى، ولعنَه إلى يوم الدين، وقال له: ﴿**اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا**﴾ [الأعراف: ١٨]. إن الإيمانَ بالقضاء والقدَر على التحقيقِ يُربِّي في المؤمنِ اليقينَ الراسِخَ أن كل شيءٍ في هذا الكَون إنما هو بيدِ الله وحدَه، الذي له مقالِيدُ السماوات والأرض، وعنده خزائِنُ كل شيء، ومفاتِيحُ كل شيء، وأن الخلقَ كلّهم ضُعفاءُ عاجِزون فُقراء، لا يملِكُون لأنفسِهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا يملِكُون موتًا ولا حياةً ولا نشُورًا. فيعيشُ المؤمنُ في هذه الحياة مُطمئنَّ البالِ، ساكِنَ النَّفس، عظيمَ الثِّقة بالله، قوِيَّ التوكُّل عليه، مِقدامًا غيرَ هيَّابٍ ولا وجِل، مما يكونُ دافِعًا له للعملِ والجِدِّ والمثابَرة، والإنتاجِ المثمِر؛ ليتفيَّأَ ظِلالَ العِزَّة والنصر والتمكين، والحياة الكريمة البنَّاءة. وهكذا يكونُ الإيمانُ بالقدَر حين تُخالِطُ بشاشَتُه القُلُوب، وتتسلَّلُ نسائِمُه مسالِكَ العقل والرُّوح، وتعلَمُ النُّفُوسُ أن كل شيءٍ بقدَر، كما قال النبيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم-: "حتى العَجزُ والكَيْسُ، والغِنَى والفقرُ، والصحةُ والمرضُ، والنصرُ والهزيمةُ".قال الله تعالى: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [يونس: ٦١]. بارَكَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفَعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قَولِي هذا، وأستغفِرُ الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفِرُوه، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الذي قدَّر وقضَى، وأعطَى كلَّ شيءٍ خلقَه ثم هدَى، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المجتبَى، والخليلِ المصطفى، وعلى آلهِ السادَة النُّبَلا، والصحابةِ أُولِي الألبابِ والنُّهَى، والتابِعِين لهم بإحسانٍ إلى يوم القِيامة الكُبرى.

وبعد.. أيها المسلمون: إن رُسُوخ عقيدة الإيمان بالقدَر، والرِّضا بالقضاء في القُلُوب يُزيلُ ما فيها مِن آفاتِ الهمِّ والحُزن والقلَق والخَوف مِن المستقبَل، ويُهذِّب النُّفُوس المخلِصَة فلا تحسُدُ أحدًا على ما آتاه الله مِن فضلِه، ولا تحمِلُ الحِقدَ والغِلَّ، ولا تتكبَّرُ على أحدٍ، ولا تتطلَّعُ إلى ما لم يُؤتِها الله، ولا تُنافِسُ في متاعٍ زائِلٍ، وسرابٍ بائِد. ويوم أن كانت هذه العقيدةُ الربَّانيَّةُ راسِخةً في قُلُوب الصحابةِ والسلف الصالِح، سادُوا الدُّنيا، وفتَحُوا مشارِقَ الأرض ومغارِبَها. ويوم أن ضعُفَ أثرُ هذه العقيدة في نُفُوس كثيرٍ مِن المسلمين، ودخلَها ما دخلَها مِن جدلٍ عقِيمٍ، وتصوُّراتٍ خاطِئةٍ وانحِرافاتٍ، ما زالَت الأمةُ في انحِدارٍ وتراجُعٍ وضعفٍ. إن القدَرَ نظامُ التوحيد، وسِرُّ الله في خلقِه، والدخُولُ في مسائل مِن القدَر مما اختصَّ الله به، وحجَبَ علمَها عن خلقِه، يُؤدِّي بالعبدِ إلى هاويةٍ كُبرى في مسالِك الحَيرة والشكِّ والإلحادِ. ولذلك قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**إذا ذُكِرَ أصحابِي فأمسِكُوا، وإذا ذُكِرَت النُّجُوم فأمسِكُوا، وإذا ذُكِرَت النُّجُوم فأمسِكُوا**» أخرجه الطبرانيُّ بسندٍ صحيحٍ. يعني: لا تخُوضُوا في مسائل لا تَعنِيكُم، ودقائِقَ لا تُدرِكُوها، وعليكُم بالتسليمِ والرِّضا المطلَق لله ولحِكمتِه الباهِرة في أقدارِه؛ لأن العبدَ ضعِيفٌ يعجَزُ عن إدراكِ أسرارِ أقدارِ الله وأفعالِه، لمحدُوديَّة عقلِه. وبعضُ الناسِ -يا عباد الله- وقعَ في انحِرافٍ مِن نوعٍ آخر؛ حيث إنه أباحَ لنفسِه أن يترُكَ بعضَ ما أوجَبَ الله عليه، أو يقَعَ فيما حرَّم الله مِن الذُّنُوب والمخالفات، ثم يحتَجُّ في ذلك بالقدَر، وأن الله قد قدَّر عليه ذلك، فتساهَلُ فيما حرَّم الله، ويُبتلَى برِقَّةٍ في دينِه، وضعفٍ في عبادتِه. وهذا في الحقيقةِ -يا مُسلِمون- مِن أشنَعِ أبوابِ الضلالِ والزَّيغ؛ لأن الاحتِجاجَ بالقدَر على تركِ الواجِبات، وفعلِ المحرَّمات هو حُجَّةُ إبليس، وحُجَّةُ المشرِكين؛ حيث قال إبليسُ: ﴿**رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال المشركون: ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ١٤٨]. وقد ردَّ الله -سبحانه وتعالى- على هذه الحُجَّة الإبليسيَّة الشِّرْكيَّة أبلغَ الردِّ، فقال -سبحانه-: ﴿**كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾. فلا يجوزُ الاحتِجاجُ بالقدَر لتبريرِ الوقوع في المعاصِي والمعائِب، وتركِ الواجِبات. أما المصائِبُ والابتِلاءاتُ التي لا يدَ للإنسانِ فيها، فالمشرُوعُ للعبدِ أن يرضَى ويُسلِّم، وأن يقول: هذا بقدَرٍ مِن الله وقضائِه، ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ [التغابن: ١١]. قال -صلى الله

عليه وآله وسلم-: «**احرِص على ما ينفَعُك، واستَعِن بالله ولا تعجَز، وإن أصابَك شيءٌ فلا تقُل: لو أنِّي فعَلتُ كان كذا وكذا، ولكن قُل: قدَّر الله وما شاءَ فعَل؛ فإن "لو" تفتَحُ عملَ الشيطان**» أخرجه أحمد ومُسلم. أمةَ الإسلام: وثمَّة انحِرافٌ سرَى في نُفُوس كثيرٍ مِن الناسِ منذ القِدَم، وكان له الأثرُ السيِّئُ في واقعِ الأمة، وهو: تركُ الأخذ بالأسباب الشرعيَّة الماديَّة والمعنويَّة، التي خلقَها الله، وربطَ بها حُصُولَ المسبَّبات، ورتَّبَ عليها إدراكَ النتائِج، والتساهُلُ في ذلك – أعني: التساهُلَ في تركِ الأسباب الشرعيَّة – توانِيًا وتكاسُلًا وخُذلانًا، أو بحُجَّة أنها تُعارِضُ القدَر، أو تُعارِضُ الرِّضا بالقضاء، وأن الله لو شاءَ لغيَّر الحال! هذا انحِرافٌ خطيرٌ، وسُوءُ فهمٍ لعقيدةِ الإيمان بالقدَر، أدَّى إلى مزيدٍ مِن الضَّعفِ والتأخُّر، وتركِ الأخذِ بأسبابِ القوَّة الماديَّة، والتواكُل، وترك السعيِ في طلبِ الرِّزقِ والعملِ، وطلبِ الشِّفاء والتداوِي، وقُصورٍ في فهمِ أحوال المسلمين، وارتِباطِ ذلك بالسُّنن الإلهيَّة، وأقدارِ الله المضطردة التي لا تُحابِي أحدًا. إن الله –سبحانه وتعالى– بحِكمته جعلَ لكل شيءٍ سببًا يتوصَّلُ به العبدُ إلى قدَر الله الذي قدَّرَه له، فيُوافِقُ أقدارَ الله بأقدار الله. وقد تقرَّرَ أن تركَ الأسباب قَدحٌ في الشرع، ونقصٌ في العقل، ولذلك أمرَ النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم– بالعمل، واتِّخاذ الأسباب الماديَّة والمعنويَّة، فقال – عليه الصلاة والسلام –: «**اعمَلُوا ولا تتَّكِلُوا؛ فكُلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِق له**» أخرجه الشيخان. وجاء رجُلٌ إلى النبيِّ –صلى الله عليه وآله وسلم–، فقال له: أأُرسِلُ ناقَتِي وأتوكَّلُ، أم أعقِلُها وأتوكَّل؟ فقال – عليه الصلاة والسلام –: «**بل اعقِلْها وتوكَّل**» أخرجه الترمذي بسندٍ حسنٍ. وقال – عليه الصلاة والسلام –: «**يا عبادَ الله! تداوَوا؛ فإن الله لم يضَع داءً إلا وضعَ له شِفاءً**» أخرجه الترمذي بسندٍ صحيحٍ. ويوم أن أرادَ عُمرُ الفارُوقُ – رضي الله عنه – أن يدخُل الشام، بلَغَه أن الطاعُون قد تفشَّى فيها، فرجَع ولم يدخُل، فلامَه بعضُ الصحابة وقالوا له: أتفِرُّ مِن قدَر الله يا عُمر؟ فقال عُمر: "نعَم، نفِرُّ مِن قدَر الله إلى قدَر الله"، فقال عبدُ الرَّحمن بن عَوفٍ – رضي الله عنه –: سمِعتُ النبيَّ – صلى الله عليه وآله وسلم– يقول: «**إذا فشَا الطاعُونُ في بلدٍ وأنتُم فيها لا تخرُجُوا مِنها، وإذا لم تكُونُوا فيها فلا تدخُلُوها**» أخرجه الشيخان. هذا هو الفهمُ الصحيحُ السديدُ لعقيدة الإيمانِ بالقدَر، وهذا هو المنهَجُ النبويُّ الذي يرَاهُ الله ويُثِيبُ عليه.

ألَم ترَ أنَّ اللهَ قال لمَريَمٍ * وهُزِّي إليكِ الجِذعَ يسَّاقَطِ الرُّطَبْ**

ولو شاءَ أن تَجنِيهِ مِن غيرِ عِلَّةٍ * جنَتْه، ولكن كلُّ شيءٍ له سبَبْ**

عباد الله: صلُّوا على رسولِ الله؛ فقد أمَرَكُم بذلك الله؛ حيث قال في مُحكَم تنزيلِه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الخطبة العشرون ١١ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ

بعنوان: الاعتصام بثوابت الشريعة

الخطبة الأولى:

الحمد لله، الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، الذي جعل الإسلام هو الدين الخاتم المهيمن على كل الأديان وكفى بالله حسيبا، أحمده سبحانه وأشكره، وأثني عليه وأمجده، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أعزَّ جندَه ونصَر عبدَه، وهزم الأحزاب وحدَه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله ربه بالهدى بشيرا ونذيرا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وزوى له الأرضَ فرأى مشارقَها ومغاربَها، فبلغ دينُه ما رأى، وسيبلغ ما بلغ الليل والنهار، صلى عليه الله، وعلى آله الشرفاء السادة وأصحابه النبلاء القادة، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والإعادة وسلَّم تسليما كثيرا متتابعا متواصلا وزيادة. أما بعد: فأوصيكم ونفسي عباد الله بتقوى الله وخشيته في السر والعلانية؛ فليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن بما وقَر في قلب العبد من خشية الله وتقواه، والكفّ عن محارمه وهواه، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلَاقِ: ٢-٣].

أمة الإسلام: إن من العوامل التي كتب الله بها الخلودَ والبقاءَ لدين الإسلام وضمن له الحفظ والصيانة من التحريف والتبديل أن جعله -سبحانه- قائما على أصول ثابتة وأركان متقنة، ومحكمات مشيدة كفلت لدين الإسلام أن يبقى عزيزا شامخا ثابتا، ثبوت الرواسي بل أشد مع كل ما تعرَّض له هذا الدينُ من العاديات والمحاولات الحاقدة من الأعداء التي مارسوها ضد هذا الدين لهدمه ونقضه وتشويهه أو صهره وتذويبه منذ فجر الإسلام وإلى عصورنا هذه المتأخرة التي يشهد العالَمُ فيها هذا الانفتاحَ الفكريَّ والثقافيَّ والإعلاميَّ الهائلَ الذي يشكِّل في الحقيقة حالة فريدة لم تحصل في تاريخ البشرية قط. وقد أسهم هذا الانفتاح الهائل في عبور آلاف الأفكار المضادة والآراء المتطرفة والثقافات الوافدة والقِيَم الغريبة على المجتمع المسلم التي كان لها تأثير لا ينكر على عقول وقلوب فئام من الناس، مما فتح الباب على مصراعيه لفتن الشهوات والشبهات أن تنخر في الأمة بغية إضعافها وتجريدها من الوصف العظيم الشريف الذي وصفها الله -تعالى- به في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٠].

إنه لا يمكن للأمة أن تتجاوز المحن والمصاعب وسلبيات الانفتاح والأمواج الهادرة من الثقافات والأفكار وتسلم من ذلك كله إلا بأن تعود عودة صادقة قوية إلى أصول دينها، ومُحْكَمَات الشريعة وكليات الإسلام الكبرى التي أنقذت الأمة وحفظت بيضتها من كل الهجمات التي تعرضت لها عبر التاريخ. إن الاعتصام بمحكمات الشريعة وثوابتها أصبح اليوم أكثر ضرورة من ذي قبل؛ فالمسلمون بأمسِّ الحاجة إليها وإلى تعلُّمها ودراستها وإشاعتها بين أفراد المجتمع وبناء الخطاب العلمي والدعوي والفكري والإعلامي عليها، ويوم أن كانت محكمات الشريعة وأصولها حاضرة في أذهان المسلمين الأوائل سَلِمَتْ لهم عقائدُهم وأخلاقُهم وقيمهم وعاشوا في أمن فكري وعقدي ومجتمعي متيقظينَ لكل الواردات والآفات الوافدات، واستطاعوا أن يحافظوا على حوزة الدين ونقائه وحيويته من أن تطمسها تحريفات المبطلين، وتأويلات أهل الأهواء وانتحال الغالين حتى وصل إلينا الإسلام نقيا صافيا غضا طريا.

أيها المسلمون: إن محكمات الشريعة وقواعد الدين هي الملاذ الآمن للأمة والسياج المنيع بعد توفيق الله وحفظه وهي مستمدة من نصوص الوحيين، التي من تمسك بها فلن يضل أبدا، ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [هُودٍ: ١]، قال –صلى الله عليه وآله وسلم-: «**ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه**» أخرجه أحمد وأبو داود. وقد وضَع اللهُ في هذه المحكمات والثوابت من الخصائص العجيبة وأسباب البقاء والدوام والحفظ العامّ للأمة والنصر والتمكين ما يجعلها خير عاصم وحافظ لكيان الأمة ونضارتها على مر الأزمان والأجيال، فهذه المحكمات والأصول –يا عباد الله– ثابتة ومطردة وشاملة لكل نواحي الحياة وهي محفوظة بحفظ الله لم تُنسخ ولم تبُدل ولا يقدر أحد أبدا على إلغائها وتهميشها، وهي واضحة بينة شديدة الوضوح والبيان، لم يتطرق إليها تأويل أو تحريف مع كثرة الجالبين عليها بخيلهم ورجلهم وهي حجة دامغة وبرهان تدفع حجج أهل الشبه والزيغ وتدفع باطلهم وضلالهم وتُكسب المسلمين في عامتهم في غالبهم مناعة وحصانة ذاتية ضد الشبهات والشهوات فلا يغترُّون بها ولا ينساقون وراءها وينفرون من كل تحريف وتعطيل وتشويه لحقائق الإسلام وكلياته. ثم هي أخيرا: الأصل العظيم؛ أعني محكمات الشريعة التي تُرَدّ إليها الفروع والجزئيات والخلافيات وما قد يشتبه من النصوص ويغلق فهمها على البعض أو يستغفلها من في قلبه مرض لتقرير أهوائه أو تمرير شهواته،

وهذا هو المنهج الرباني الذي أرشد الله –تعالى– إليه كما قال في كتابه: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ**

وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧]، فجعل -سبحانه- المحكمات هي الأصل العظيم وهي أم الكتاب وما قد يكون فيه اشتباه بغموض أو خفاء في المعنى فهو اشتباه نسبي ليس في كل نص وليس عند كل أحد وهو قليل جدا في نصوص الوحيين. ومنهج الراسخين في العلم أنهم يفسرون المتشابه بالمحكمات ويفقون بينها فيتضح معنى المتشابه ويظهر ويسلمون للنصوص الثابتة ولا يضربون بعضها ببعض، فهم يؤمنون بأن نصوص الوحيين من عند الله ولا يمكن أن تتعارض أو تتناقض، هذا هو منهج الراسخين في العلم الذي أرشد الله إليه وأما من لم يرض بهذا المنهج الرباني فإنه سوف يسلك منهج أهل الهوى والزيغ الذين يتركون المحكمات والثوابت البينات ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بالباطل وقد حذر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- من منهج أهل الزيغ والأهواء فقال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**» أخرجه الشيخان. وقد أخذ بهذا التحذير النبوي الخليفة الراشد الفاروق عمر -رضي الله عنه- فقد كان في عهده رجلٌ يتعمد إثارة الشبهات وأغلوطات المسائل ليحدث الفتنة بين المسلمين فاستدعاه عمر وقرره بفعلته ثم ضربه على رأسه بعراجين النخل ونفاه من المدينة وأمر الناس ألا يجالسوه حتى يتوب من إثارة الفتنة ثم بعد مدة تاب هذا الرجل وجاء إلى عمر فقال: «**والله قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي يا أمير المؤمنين**» أخرج القصة الدارمي في سننه.

أمة الإسلام: إن محكمات الشريعة وثوابتها كثيرة ومتنوعة تشمل كل جوانب الحياة، وهذا دليل بين على مدى عناية الله بهذه الأمة وبدينها ورحمته بها؛ حيث أحاطها بهذا السياج والحصن الحصين من المحكمات والأصول التي تحفظ عليها دينها ودنياها؛ فمن أمثلة المحكمات والثوابت: وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، وتحريم الشرك بكل صوره، وأن الله واحد في ذاته وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته

فليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأن نصوص الوحيين حق مقدس لا تقبل المنازعة والرد أبدا، وأن فهم هذه النصوص يكون كما فهمها الصحابة -رضي الله عنهم- بالأسلوب العربي المبين مما يؤكد على توحيد مصدر التلقي والاستلال وتوحيد مصدر التشريع وأن ذلك حق لله ولرسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-. ومن المحكمات قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»،

ولما سئل عن الفرقة الناجية قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**هي ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» وهذا أصل عظيم يا مسلمون، في رد كل البدع والمحدثات فما لم يكن في عهد النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وصحابته

الكرام فليس من دين الله في شيء. ومن الثوابت: أن صريح المعقول لا يعارض صحيحَ المنقول؛ فالرسل جاءت بمحارات العقول ولم تأت بمحالاتها، وأن حديث الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام يفيد العلم وأن الاجتهاد لا يكون في أصول الدين وقطعياته وأنه لا قياس مع النص، وأن المصلحة المعتبرة هي ما شهد لها الشرع ولا تخالف مقصوده وأن الفتوى لا تقبل إلا من أهلها المعتبرين وكل فتوى تخالف النص أو الإجماع أو تكون بمنهج استدلالي مبتَدَع فهي مردودة ومرفوضة، وحفظ الضرورات الخمس التي جاءت كل الشرائع الإلهية بالأمر بها وحفظها وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال من أعظم المحكمات فلا صلاح للمجتمعات ولا قيام لها ولا قوام لنظامها إلا برعاية هذه الضرورات الخمس. وفي مقابل ذلك جاءت الشريعة بتحريم القبائح الخمس التي دخل منها كل شر وبلاء وفساد على الأمة وهي المذكورة في قوله –تعالى–: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الْأَعْرَافِ: ٣٣]. ومن ثوابت الشريعة العظيمة ما ورد في الوصايا العشر في أواخر سورة الأنعام والمناهي العشر في سورة الإسراء والجمل العشر في سورة الشورى والحكم العشر في سورة العبد الصالح لقمان والأخلاق والآداب العامة التي وردت في سورة النور والأحزاب والحجرات والآيات والأحاديث التي تأمر بالحجاب والستر والعفاف التي ندرأ بها كثيرا من الفتن والشبهات، ومن ثوابت الدين يا عباد الله أن من دخل في الإسلام بيقين فلا يخرج منه إلا بيقين. فلا يجوز إطلاق التكفير على المسلم إلا بتحقق الشروط وانتفاء الموانع والنصوص التي تأمر بطاعة ولاة الأمر ومناصحتهم في المعروف والصبر على جورهم وعدم منازعتهم الأمر وتحريم الخروج عليهم من الأصول المحكمة التي تحفظ استقرار المجتمعات وتحميها من تهور الجهلاء وسفه الحمقى الأغرار، والنصوص التي تأمر بالاجتماع والوحدة والألفة والمحبة والأخوة الإيمانية ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وتحذر من التفرق والتنازع والخلاف المذموم من أجل محكمات الشريعة التي تدرأ عن الأمة فتن الأحزاب والجماعات والخصومات والتصنيفات. أمة الإسلام: محكمات الشريعة أكثر من أن تحصى؛ ولذلك كانت هي حجة الرب –سبحانه وتعالى– على عباده وسبيله التي تعصم من الضلال وتحفظ من الانحلال، ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٥٣]،

قال ابن مسعود –رضي الله عنه–: «**إنها ستكون هنات وأمور مشتبهات فعليك بالتؤدة، فلأن تكون تابعا في الخير خير من أن تكون رأسا في الشر**»؛ إي والله لأن تكون تابعا في الخير خير من أن تكون رأسا في الشر،

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه. وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: «**سَنَّ رسولُ اللهِ وولاةُ الأمرِ من بعده سُنَنًا الأخذُ بها تصديقٌ لكتاب الله، واستكمالٌ لطاعة الله وقوةٌ على دين الله؛ فليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، مَنْ عمل بها مهتدٍ، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غيرَ سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا**» أخرجه الآجري في الشريعة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أتقن خلقه وأبدعه، وأحكم كتابه وشرعته، والصلاة والسلام على هذا السيد العظيم والرسول الكريم الذي ما ترك خيرا إلا بينه ولا شرا إلا أنذره وعلى آله وصحابته نجوم الهدى ومصابيح الدجى والتابعين لهم بإحسان ما صُبْح بَدَا وغيثٌ هَمَى.

أما بعد فيا أيها المسلمون: إن الاجتماع على محكمات الشريعة والدعوة إليها وتربية الصغار قبل الكبار عليها، وحث الناس على التفقه بها والاعتصام بها هو واجب العصر اليوم، هو واجبٌ على كل العلماء والدعاة والمصلحين والمربين، ومن تسنَّم منابرَ التوجيه في كل الوسائل، فالأمة اليوم يا عباد الله تتعرض لهجوم وعدوان غير مسبوق على عقيدتها وفِكْرها وثقافتها وهُوِيَّتِهَا، وهذه المحكمات والثوابت إذا رَسَخَت في القلوب والعقول ونشأت عليها الناشئة فإنها من أعظم الأسباب التي تحفظ الأمةَ من ضياع الهُوِيَّة وفِقْدَان التوجيه الصحيح والتخبُّط بين أهواء البشر ورغباتهم، وتحمي عقيدتَها وأصولَها في التلقِّي والاستدلال من عبث العابثين والمفسدين.

ولا ريب أن محكمات الشريعة من أجلّ الوسائل في حصول الأمن العَقَدِيّ والفكري والنفسي والاجتماعي بين أفراد الأمة؛ بما تحمل في ثناياها من خصائص الوضوح والبرهان والطمأنينة والسَّكِينَة والألفة والمحبة والاجتماع التي تَكْفُل -بإذن الله- تحقيقَ مقاصد البعثة النبوية وحِكَم التشريع وغاياته؛ فالنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- إنما بعث بالحنيفية السمحة، والشريعة المحْكَمَة؛ لكي يتمِّمَ صالحَ الأخلاق ومكارمَ الآداب والمروءات، وإن هذا الدين يسر ولن يشادَّ الدينَ أحد إلا غلبه، ومن هنا كان الواجب الابتعاد عن كل الوسائل والأساليب التي تخالف المحكمات ولا تَصْلُح أن تكون أصلًا وكُلِّيَّةً تجتمع حولها الأمةُ، بل تثير العامةَ، وتُدْخِل اللبسَ والفتنةَ عليهم؛ لأن من خصائص محكمات الشريعة أنها تَجْمَع الأمة وتقرِّب بين أفرادها، وتمنع من الفتنة والزيغ والاختلاف المذموم. إن تربية الأمة على ثوابت الدِّين ومحكمات الشريعة يعصِم -بإذن الله- من الفوضى الفكرية والأخلاقية، ويحمي من التطرف والتدين

المغشوش والتلون في دين الله، والتنقل بين أقوال الرجال وأهوائهم الذي أضرَّ كثيرًا وأفسد كثيرًا وشوّه صورة الإسلام الصافية النقية السمحة.

والمحكمات في مقابل ذلك تُنشئ في النفوس التدين الصادق الجاد والشخصية المسلمة التي تعتز بدينها وثوابتها فلا تغتروا بزخرف القول ولا بزيغة الحكيم ولا بجدال منافق عليم اللسان وقد كان هذا من أشد الأمور التي كان يخشاها النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– على أمته، كما ثبت عنه أنه قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان**» أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب بسند صحيح.

أيها المسلمون: اعتصِموا بهذه المحكمات والثوابت فإنها حبل الله المتين، واجتَمِعُوا عليها وتدارسوها وعلموها أنفسَكم وأبناءَكم وأهليكم؛ فإنها النجاة والعصمة والفلاح، وعليكم بسنة سيد المرسلين –صلى الله عليه وآله وسلم– وسيرته العطرة المباركة اعملوا بها وانشروها وأحيوها وعطِّروا بها مجالسكم؛ فإن السنة النبوية والسيرة المصطفوية أعظمُ شارحٍ لآياتِ القرآنِ المحكمة تبيّن مجملَها وتشرح مقاصدها، وتقيِّد مطلقها، وعليكم بالعلم النافع وهو العلم بالله والعلم بأمر الله، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالأمر العتيق والهدي الأول القائم على الوسطية والاعتدال والسماحة، وعليكم يا عباد الله بفقه الصحابة وعلومهم، اقْتَدُوا بآثارهم والزموا غرزهم، فهم أفضل الأمة بعد نبيها –صلى الله عليه وآله وسلم– وأبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفا.

وتأملوا –رحمكم الله– هذه الوصية النبوية الباذخة الفاخرة الجامعة المانعة، قال العرباض بن سارية –رضي الله عنه–: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وآله وسلم– الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» أخرجه أحمد وأصحاب السنن بسند صحيح.

عباد الله: صَلُّوا وسلِّموا على رسول الله فقد أمركم بذلك الله حيث قال في محكم تنزيله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الْأَحْزَابِ: ٥٦]

الخطبة الحادية والعشرون ١٦ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ

الفرح بالله تعالى

الخطبة الأولى:

الحمد لله، الحمد لله الذي شرَح صدورَ أوليائه بأفراح محبته، وأنار بصائرَهم بجلائل علمه وحكمته، وبهَر العقولَ بأعاجيب قدرته، أحمده –سبحانه– وأشكره، وأُثني عليه وأُمجِّده، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، عز جاهه وعَظُمَ سلطانُه، وتقدست أسماؤه، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وصَفِيُّه وخليله، أعلمُ الخَلْقِ بربِّه، وأخشاهم وأزكاهم روحًا وأنقاهم، وأزكاهم روحًا وأتقاهم، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل البيت والآل وعلى الصحابة الأماجد أُولِي الفضائل والكمال، وعلى التابعين لهم بإحسان ما سبَّح المحبون وهللوا بالغدو والآصال. أما بعد: فأوصيكم ونفسي –عباد الله– بتقوى الله في الحِلّ والترحال، والسرّ والإعلان، واعلموا أن التقوى هي النجاة والسعادة، وأساس الولاية والريادة، وما استجلبت رحمة الله وفتحت أبواب كرامته بمثل تقواه –سبحانه–، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الْأَعْرَافِ: ٩٦].

أيها المسلمون: الفرح حالة من سرور القلب وابتهاج النفس تغمر الإنسانَ بسبب نَيْل مطلوب أو تحقيق لذة، والأشياء الْمُفْرِحَة في حياة الناس متنوعة، وهي تختلف باختلاف مشاربهم وقناعاتهم ومنطلقاتهم، وكثير من الناس يظن أن الفرح الحقيقي هو الفرح بالأموال والمناصب والجاه، والمراكب والدُّور وغير ذلك من مُتَع الدنيا، والحقيقة أن هذه أفراح قاصرة ناقصة، مشوبة بالمنغِّصات والأكدار لا تصفو ولا تدوم لصاحبها، بل قد تكون في أحيان كثيرة هي سبب الشقاء والآلام والأحزان، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٤٤]، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فَاطِرٍ: ٢]. وأكثرُ الناسِ غافلونَ عن أن هناك نوعًا من الأفراح لا يشبهه شيء من أفراح الدنيا التي يلهث خلفَها اللاهثون؛ فرح عجيب له جلالتُه وحلاوتُه ونداوتُه، إذا تخللت نسماتُه القلوبَ وعبقت برائحته النفوسُ، وتشرَّبت بطلاوته الأرواحُ؛ إنه الفرح بالله؛ الفرح بالله والسرور بالرب –سبحانه جل في علاه–، الفرح بالله وبكل ما يأتي من الله، الفرح بالله وبرسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–، وبشريعته، الفرح بالقرآن وبالصلاة والصيام والصدقة وأعمال الخير كلها التي ترضيه –سبحانه وتعالى. هذا هو الفرح الحقيقي الذي يُثمر حالةَ الحبور والسرور والسعادة والأُنْس، هذا هو الفرح الدائم الذي لا يزول، والسعادة التي مَنْ لم يذق طعمَها فما ذاق

شيئًا من النعيم، وليس في التعبير عن الفرح بالله إلا حروف وكلمات قاصرة لا توفّيه حقَّه، ولا تستطيع وصفَه على الحقيقة، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرَّعْدِ: ٣٦]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونُسَ: ٥٧-٥٨]، وفضل الله هنا هو الإسلام ورحمته هي القرآن؛ كما قال ذلك جمهورُ المفسرين، ومعنى الآية؛ يقول ربنا -سبحانه-: افرحوا بالإسلام، وافرحوا بالقرآن؛ فهو خير مما يجمع الناس من الدنيا وأزكى وهو الأحق بالفرح. إن الفرح بالله -سبحانه- وبكل ما يرضيه -عز وجل- من الأقوال والأعمال عبادة عظيمة لَطَالما غفل كثيرٌ من الوعاظ والمصلحين عن إرشاد الناس إليها وتذكيرهم بها؛ فهي عبادة منسية، عبادة منسية مع أن فيها شفاء الأرواح من آفاتها ودواء القلوب من أحزانها، وبَلْسَم النفوس من همومها وآلامها وتنشِّط الجسدَ وتقويه وتخلِّصه من آفات الملل والفتور، يقول ابن القيم -رحمه الله-: "من أعظم مقامات الإيمان الفرح بالله والسرور به، فيفرح به إذ هو عبده ومحبه، ويفرح به -سبحانه- رَبًّا وإلها ومُنْعِمًا ومربِّيًا أشدَّ من فرح العبد بسيده المخلوق". أيها المسلمون: إن الفرح بالله هو سلوان المؤمنين في معترك الحياة، ومن أعظم أسباب انشراح الصدور، وهو أَجَلّ نعيم للقلوب وأحلى لذَّات النفوس، ومقامه من أعلى المقامات التي يحبها الله ويُعلي من شأن أصحابها. إن العبد إذا أيقن أن له ربا وإلها ومدبِّرًا ورازقا ومَلِكًا قاهرًا بيده كل شيء ولا يُعجزه شيءٌ تطمئن نفسُه ويفرح بهذا الرب -سبحانه- فرحًا ليس كمثله شيء من أفراح الدنيا. وتتواصل أفراحه ويكمل سروره إذا استشعر هذه الحالةَ واستحضرها في كل زمان ومكان، إن المؤمن لَيفرح بربه وسيده ومولاه أشدَّ من فرح العبيد بأسيادهم، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [الْبَقَرَةِ: ١٦٥]، يفرح المؤمن بربه حين يشعر أن الله معه ينظر إليه ويسمع كلامَه ويُعينه ويؤيده، ويكون سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يبطش بها؛ فما أسعد عيشَ هذا المؤمن، وما أطيبَ حياتَه، وما أقواه وأحراه بالنصر والتأييد ولو كادته السمواتُ والأرضينُ ومَنْ فيهن.يفرح المؤمن حين يخلو بربه في هزيع الليل الآخر يتلو كلامه ويتدبر خطابه، ويستمد منه -سبحانه- مددَ القوة واليقين والصبر، ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجْدَةِ: ١٦-١٧].

يفرح المؤمن بفضل الله ومِنَّتِه وتوفيقه له للثبات على دينه وأمره وطاعته، والبعد عن معاصيه ومساخطه في وقت هوى كثيرٌ من الناس في قاع الشهوات وتساقَطُوا في الفتنة، تساقطوا في الفتنة وتهاونوا بالفرائض والواجبات واستخفوا

بالعزائم والمبادئ والمسلَّمَات. يفرح المؤمن بأن جعله اللهُ من أمة سيد المرسلين -صلى الله عليه وآله وسلم-، وشرَّفه باتباع سُنَّتِه وهديه، يوم أن أضل عن ذلك أقواما ابتدعوا في دين الله ما لم يأذن به الله، وخالفوا سنته -صلى الله عليه وآله وسلم-، أولئك هم الأخسرون أعمالا؛ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الْكَهْفِ: ١٠٤]. يفرح المؤمن حين يتواضع للناس صِدْقًا لا تصنُّعًا ولا تكلُّفًا، ويرحمهم ويُحسن إليهم ويسعى في حوائجهم ونفعهم، ويُطعم جائعهم ويقضي دَيْنهم ويُعينهم على نوائب الدهر طاهرًا قلبُه، وسالما صدرُه من آفات الحسد والحقد والغل والشحناء والتكبر والترفُّع والعصبية المقيتة. وتفرح المؤمنة بحيائها وحجابها وحشمتها وطاعتها لزوجها وقرارها في بيتها وأدائها لرسالتها الحقيقية في الحياة الدنيا الخالدة التالدة؛ التي شرفها الله -تعالى- بها؛ وهي كونها مَدْرَسَةُ الأجيالِ ومربِّية الرجال وصانعة القدوات. وكل هذه الأفراح وغيرها كثير هي من الفرح بالله ومن أَجْل الله، وبكل ما يرضي الله؛ فلا تَسَلْ عن ألوان السعادة والحبور والسرور التي يعيشها المؤمنُ في هذه الحياة؛ فهو في أفراح متواصلة ونعيم لا ينقطع ولذة وبهجة لا يجدها ولا عُشْر معشارها من خَطِئَ طريقَ الفرح بالله، وذهب يَنْشُد السعادةَ في سراب ظنَّه ماءً وصحراءَ قاحلة يحسبها واحةً غنَّاء، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النُّورِ: ٤٠]عباد الله: إن الفرح بالله من أعلى منازل الإيمان وأعظم أبواب الإحسان؛ لأنه في الحقيقة ثمرة ونتيجة مقامات إيمانية جليلة من المحبة والرضا واليقين والصبر وحُسْن الظن بالله، وما فتح الله على عبده من ختم الخير وكنوز الإكرام بمثل أن يمتلئ قلبُه فرحًا بربه وفاطره ومولاه؛ فهناك تَقَرّ به العيونُ وتأنس به الأرواح وتُجِلُّه النفوسُ ويجمع اللهُ عليه شملَه، ويجعل اللهُ غناه في قلبه، وتأتيه الدنيا وهي راغمة. واستمعوا -رحمكم الله- إلى ابن مسعود -رضي الله عنه وأرضاه- يقول كلاما يشبه كلام الأنبياء، كأنه تنزيل من التنزيل أو قول من نور الذِّكْر الحكيم، يقول -رضي الله عنه-: "إن مِنْ ضَعْف اليقين أن تُرضي الناسَ بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يُؤْتِكَ اللهُ، وإن رزق الله لا يسوقه إليك حرصُ حريصٍ، ولا يرده عنك كراهيةُ كارهٍ، وإن الله بقسطه وعدله جعل الروحَ والفرحَ في الرضا واليقين، وجعل الهمَّ والحزنَ في الشكِّ والسخطِ". أخرجه البيهقي في شُعَب الإيمان.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله عدد خلقه، وزنة عرشه، ومداد كلماته ورضا نفسه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام الموحدين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين. أما بعد: فإن الفرح بالله هبة ربانية وعطية إلهية لا يوفَّق لها إلا عبادُ الله الصادقون وأولياؤه المخلصون، الذين عاشوا ليلَهم ونهارَهم مع ربهم -سبحانه وتعالى-، واستحضروا قربَه ومعيته؛ فالحياة مع الله أسمى ألوان الحياة، والعيش مع الله أرقى أحوال العيش، وكم من الناس حُرموا من هذه الحياة الطيبة، وخُذلوا وهم لا يشعرون بمرارة خِذْلان الله لهم، ولا يَحُسُّون بألم إعراض الله عنهم. وفرحوا في الحياة الدنيا، نَعَمْ فرحوا في هذه الحياة الدنيا ولكنه فرح كفرح الأطفال بِلُعَبهم، لا كفرح الكبار بالمهمات الكبار، فرحوا بأموالهم ومناصبهم وجاههم لا فرح الشكر لله والحمد لله، بل فرح الأشر والكِبْر والغرور؛ فهم في سكرتهم يعمهون، كما طغى قارون وبغى فقال له قومه: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [الْقَصَصِ: ٧٦]، الأشرين المتكبرين، فرحوا بما يأتون من القبائح والمخازي والمعاصي القولية والفعلية، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوه؛ فجمعوا بين فعل الشر المنكر وقوله والفرح به، وبين محبة المدح على الخير الذي لم يفعلوه، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨٨]، فرحوا بالمصائب والكوارث التي تنزل بالمسلمين وتمنَّوْا زوالَ نعمة الله عنهم؛ فكانوا كما وصَف اللهُ -تعالى- المنافقين بقوله: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التَّوْبَةِ: ٥٠]. فرحوا بما عندهم من العلم الزائف وعاشوا في أوهام الفوقية والترفع على مَنْ دونَهم وقطعوا دينَهم قطعا، وفرقوا شرائعه وتعصَّبُوا لذلك، وفقَدُوا الإنصافَ والعدلَ حتى صاروا شِيَعًا وأحزابًا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٥٣]، فرحوا بذلك كله، وهو فرح زائف خاوٍ، ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غَافِرٍ: ٧٥]. أما المؤمنون الصالحون فلهم أفراح لا تُشبه أفراحَ التائهين الحائرين الهالكين في أودية الدنيا؛ فأفراحهم متصلة بالله -سبحانه-، وبكل ما يرضي اللهَ -عز وجل-، يستبشرون بها ويتنعمون بروحها ولذتها، كما فرح صِدِّيقُ هذه الأمة أبو بكر -رضي الله عنه- فرح بصحبة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في الهجرة وبكى من شدة الفرح، ما فرح الصحابة -رضي الله عنهم- بشيء أشد من فرحهم بقول النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- للأعرابي: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». وانظروا إلى فرح أُبَيِّ بن كعب -رضي الله عنه- حينما قرأ النبيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم- عليه سورة البَيِّنَة وقال له: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَهَا عَلَيْكَ»، قال أُبَيٌّ: «وَسَمَّانِي لَكَ»، قال: «نَعَمْ»، فبكى أُبَيٌّ

من شدة الفرح؛ أن الله سمَّاه باسمه في الملكوت الأعلى.وما ألذَّ فرحَ التائبين بتوبة الله عليهم؛ فقد خَرَّ كعبُ بنُ مالك -رضي الله عنه- ساجدًا لله من شدة الفرح لَمَّا بشروه بتوبة الله عليه، وفرح بذلك النبيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم-، وقال له ووجهُه يبرق من الفرح والسرور: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدَتْكُ أُمُّكَ».

وهذا عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- يقول: "ما فرحتُ بشيء في الإسلام أشدَّ فرحًا بأن قلبي لم يدخله شيءٌ من هذه الأهواء". أيها المسلمون: ما لنا لا نفرح بربنا؟ ما لنا ألا نفرح بربنا -سبحانه- وهو الذي وَسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيء؟ والذي هدانا سُبُلَنَا وآوانا وكفانا وأطعمنا وسقانا، أفلا يُحَبّ هذا الإلهُ البرُّ الرحيمُ؟ أفلا يُفرح به وهو بكل خير إلينا أسرعُ؟ أَشْعِرُوا أنفسَكُم بقُرْبه وإحاطته، وظُنُّوا به خيرًا؛ فهو عند ظن عبده به، واستغنوا بربكم -سبحانه- عن الناس جميعا، استغنوا بالله -سبحانه وتعالى- عن الناس جميعا، فهو الغَنَاءُ كل الغَنَاء، وَأَشْغِلُوا أنفسَكم بِذِكْر ربكم وتلاوة كلامه تسعد أرواحُكم وتَطِب أيامكم. أيها المسلمون: وما لنا ألا نفرح برسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- سيد الخَلْق وأكرمهم على الله الذي، بعثه اللهُ رحمةً وهدى للعالمين، افْرَحُوا برسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- الفرحَ الذي شرَعَه اللهُ، اقرءوا سُنَّتَه الشريفةَ وعِيشُوا مع سُنَّته المباركة، وَاتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا؛ فقد كفيتم، وأحبوه -صلى الله عليه وآله وسلم- كما كان الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- يحبونه؛ بلا غُلُوّ ولا إطراء، ولا تنقُّص ولا جفاء، وما كان شيء أكره إلى نبينا -صلى الله عليه وآله وسلم- من البدعة في الدين والغُلُوّ والإطراء. يا أمة الإسلام: افرحوا بفضل الله وبرحمته؛ فالإسلام دين الأفراح والسرور والحنيفية السمحة، وما دعا الإسلامُ إلى رهبانية قَطُّ ولا إلى ضِيق ولا إلى حُزْن بل ما ذُكِرَ الحزنُ في القرآن إلا منهيًّا عنه، عَدِّدُوا نِعَمَ اللهِ عليكم فهو أجدرُ أن تكثُر أفراحُكم وتوقَّعوا الخيرَ منه -سبحانه وتعالى- وارضوا بما قسم الله لكم، وتفاءلوا بالخير وأَبْشِرُوا واستبشروا ولا تيأسوا ولا تحزنوا، فمن فرح بالله لم يحزن على فائت ولم ييأس من واقع ولم يسخط على حال. مَنْ فَرِحَ بالله لم يجزع لمصيبة ولم يخضع لمخلوق ولم ينهزم لأول عارض ولا تستفِزُّه الأحداثُ؛ لأنه مع ربه -سبحانه وتعالى- في ليله ونهاره يمدُّه بعونه وتوفيقه ويُذيقه لذةَ الأُنْس به، والركون إليه ويطعمه من أفراح الأرواح ونعيم النفوس ما يُنسيه كلَّ هَمّ وحزن وضيق كما كان النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يبيت عند ربه يُطعمه ويسقيه ويفيض عليه حتى غَدَا -صلى الله عليه وآله وسلم- أشرحَ الناس صدرًا وأسعدَهم قلبًا وأقواهم يقينًا؛ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرَّعْدِ: ٢٨]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ٦٩]. عباد الله: صَلُّوا وسلِّموا على رسول الله؛ فقد أمركم بذلك اللهُ؛ حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الْأَحْزَابِ: ٥٦].

الخطبة الثانية والعشرون ١٤ جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ

بعنوان: التحذير من العجلة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا. أما بعد: فمع الوصية للمسلمين جميعا بتقوى الله ومراقبته في السر والعلانية؛ فإنا نعوذ بالله من فتنة القول، كما نعوذ به من فتنة العمل، ونعوذ به من التكلُّف لِمَا لا نُحسن، كما نعوذ به من العُجْب بما نُحسن، ونعوذ به من فساد النيات والأعمال، كما نعوذ به من أن يكون في إيماننا دَخَل ودَغَل فتزلَّ أقدامُنا بعد ثبوتها، ويُحال بينَنا وبينَ قلوبنا، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ [الْأَنْفَالِ: ٢٤].

أيها المسلمون: لقد خلق الله الإنسان على هيئة عجيبة؛ وجعَل فيه من الصفات المتقابلة ما يحيِّر العقل، وفطَرَه على بعض السجايا التي لو بقيت فيه كما هي بدون إصلاح وتهذيب لخسر خسرانا مبينا؛ كصفة الجهل والظلم والجحود والهلع والجزع، بيدَ أن صفة العَجَلَة هي أُسّ الخيبات وأم الندامات، وهي فطرة مؤثرة جدا في شخصية الإنسان تؤدي به إلى عواقب لا تحمد، ونتائج لا تسعد إلا أن يتدارك نفسه برحمة الله، ﴿**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٣٧]. إن الاستعجال في حقيقته هو جلب الشيء بسرعة قبل اكتمال أدواته وطلبه قبل إبَّانه، وفعله قبل أوانه بلا روية ونظر ولا تأنٍّ وفكر، فيأتي الفعل باهتا فجًّا، خاليا من ثماره الناضجة، فيكون الرجل قد أساء من حيث أراد الإحسان، وفشل وهو يريد النجاح، وخسر وهو يطمح في الربح، ﴿**وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا**﴾ [الْإِسْرَاءِ: ١١]، إن العَجَلَة يا مسلمون لم تأتِ في القرآن والسنة إلا على وجه النهي والذم واللوم، إلا في مواضع يسيرة جاءت ممدوحةً بلفظها صراحةً، أو بمرادفاتها من المسارعة والمسابقة والمبادرة؛ ولذلك حذرت الشريعة من الاستعجال؛ لأنه في غالبه حركة نفسية عَجِلَة غير مدروسة، وخالية من تقدير العواقب ومن استحضار الظروف والملابسات، وأخذ الأُهْبَة والاستعداد، ويكفي أن نعلم أن الاستعجال إذا أصبح هو الحاكم على شخصية الإنسان أورثه ذلك الطيشَ والتهورَ والسفاهةَ والحمقَ واتباع الهوى والعناد والغرور والاستخفاف، وحُقَّ للاستعجال أن يكون جماع الآفات الإنسانية وبؤرة شر الخصال. أيها المؤمنون:

لقد نهى الله نبيَّه -صلى الله عليه وآله وسلم- عن العَجَلَة في تلقِّي القرآن قبل كماله وانقضاء إيحائه، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤]، وعاتب ربنا -سبحانه وتعالى- موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- عاتَبَه على أن قَدِمَ إليه وحدَه لميقات ربه ولم يأت مع قومه، ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٨٣]. ولو صبر موسى -عليه الصلاة والسلام- مع القوم الخضر -عليه السلام- ولم يعجل لرأى من بديع أقدار الله شيئا عجبا.

ونهى الله نبينا -صلى الله عليه وآله وسلم- أن يكون مثل يونس -عليه السلام- حين خرج مغاضبا قومه مستعجلا أمر ربه، ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [الْقَلَمِ: ٤٨]، وحكم داود -عليه السلام- لأحد الرجلين اللذين تسوروا عليه المحراب بعد أن سمع منه قبل الآخر فقضى قبل سماع حجة الخَصْم الآخر، وشعر داود -عليه السلام- أنه استعجل، ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]. وهذه يا أيها المسلمون هي الفتنة التي ابتلي بها داود -عليه السلام- وهي الحكم بأحد الخصمين قبل سماع حجة الآخر، وليست كما تزعم الروايات الإسرائيلية أنها فتنة النظر إلى المرأة الحسناء والسعي لأخذها من زوجها، فهذا أمر من الخيانة شنيع، ينزَّه عنه أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام-. واستبطأ الصحابة -رضي الله عنهم- النصر والتمكين في الأرض وهم يرون علو الكفر وطول زمنه فبشرهم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بأن الله سوف يتم هذا الأمر ولكنكم تستعجلون، وتعجل الرماة النصر في معركة أحد وخالفوا أمر رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فحقت عليهم سنة الله في المتعجلين النصر والتمكين بغير هدى من الله.

أيها المسلمون: إن العَجَلَة المذمومة إشكالية كبرى في مسيرة الإنسان في هذه الحياة، وعائق كبير من عوائق النجاح، ومزلة قدم تجلب المعاناة وسقوط القمم، فكم خرَّب الاستعجالُ مِنْ خطط منظَّمة، وكم أفسد من أعمال كبار، وضيَّع فرصًا لا يعوض مثلها، وكم ندم الإنسان وأوقعه في الحرج وحرمه من خير وكمال كان قريبا مناله، ولو تأنَّ لظفر به، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وأكثر ما يغيظ الصدور ويورث الضغينة ويحيل الحبيب إلى بغيض ويهدم العلاقات الأسرية والزوجية قارصة عجولة من قوارص الكلام أو تصرُّف أرعن أو سرعة قرار في زفرة غضب، أو نشوة فرح، أو هوج فعل لم يخطم بتمهل وروية، ولم يُزَمَّ بأناة وبصيرة. إن الاستعجال يحرم العبد من إجابة الله لدعائه؛ فالله -سبحانه- يستجيب لعبده ما لم يستعجل الإجابة، وقد تُبطل العَجَلَة صلاةَ العبد؛ كما دل عليه حديث المسيء صلاته، والذي يسابق إمامَه في الركوع والسجود لا يُؤمن عليه أن يحوِّل الله صورته إلى صورة

حمار، وقد يعجل المرء في الحكم على الأشخاص بكفر أو فسق أو بدعة أو صلاح وتقوى وعلم، أو ينتقص من أعمال وجهود ويذمها بادي الرأي فيكون ممن خبط في عمايا، وهوى في جهالة، وظلم ولم ينصف وبخَس الناسَ أشياءهم، وقد يتعجل المرء في كره وذم؛ كما يستعجل في حب ومدح، قال علي -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-: "أَحْبِبْ حبيبَكَ هونًا ما عسى أن يكون بغيضَكَ يومًا ما، وَأَبْغِضْ بغيضَكَ هونًا ما عسى أن يكون حبيبَكَ يومًا ما". أخرجه البخاري في الأدب المفرد بإسناد صحيح.

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبًا * لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ**

إن العَجَلَة -يا عباد الله- شؤم ونذير وهن، وما كان العجول محمودا في قبيل ولا دبير؛ فهي تُعمي البصيرةَ وتسد على العبد موارد التوفيق والسداد، وقد يصاب المرء بداء العَجَلَة في طلب العلم؛ فيستعجل التصدر والوصول أو يقفز فوق المراحل ليستجلب المفاخر ولا يصبر على ذل التعلم وثني الرُّكَب فيُحرم بركةَ العلم ويكون من نتائج ذلك فتوى عَجِلَة غير محررة، وَفَهْم أعوج للنصوص واستدلالات خاطئة. ومن أشنع مسالك الاستعجال أن يستبطئ العبد نصر الله وتمكينه للأمة وتمكينه لدينه فييأس من روح الله، ويقنط من رحمته ويضعف أمام الباطل ويتنازل عن مبادئه وثوابته، وقد يجتهد اجتهادات خاطئة يستعجل بها مراحل النصر التي لا يمكن أن تتم في عشية وضحاها، بل هي محكومة بسنن كونية وشرعية لا تتبدل ولا تتغير، أو يستبطئ رزق الله؛ فيستعجله بما حرم الله من شهوات البطون والفروج. وكم من أناس سقطوا في الفتنة، وحُرموا من الاتصاف بصفات الكمال من العفة والورع والأمانة والصدق بسبب استعجالهم الخوضَ فيما حرَّم الله، ولم يكبحوا شَرَهَ أنفسِهم؛ فتعجلوا سخط الله عليهم. أيها المسلمون: إن العَجَلَة من الشيطان؛ لأن الشيطان خُلِقَ من نار والنار من صفاتها الطيش والخفة والإحراق، وهذه الصفات لها تعلق ظاهر بثمار العَجَلَة المذمومة؛ فالعَجُول أموره مُدْبِرَة، وبضاعته كاسدة، ويندفع بلا عقل ولا روية، وكلما لاح له طمع بادَر إليه مما قد يُوَرِّطُهُ في الولوغ في دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم وتكفير المسلمين واتهامهم في نياتهم، فأنى يوفق هذا العجول المتكايس؟ وكيف يسدد هذا المستعجل المتحامق؟

لَا تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْعَجَلِ * الرِّزْقُ فِي اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ مَعَ الْأَجَلِ**

فَلَوْ صَبَرْنَا لَكَانَ الرِّزْقُ يَطْلُبُنَا * لَكِنَّمَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ**

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي خلَق النفوس وسوَّاها فألهمها فجورها وتقواها، وقد أفلح مَنْ زَكَّاها، وقد خاب من دساها، وأصلِّي وأسلِّم على إمام المرسلين وسيدهم وعظيمهم ومقدَّمهم وعلى آله السادة الشرفاء، وصحابته النجباء النبلاء، والتابعين لهم بإحسان عددَ ما ينزل إلى الأرض ويعرج في السماء. أما بعد: فإن العَجَلَة –يا مسلمون– آفة العقول والألباب والحِجَا، وهي تُورِثُ فسادَ الرأي والتدبير والنُّهَى، وقد نهى الله نبيَّه –صلى الله عليه وآله وسلم– عن الاستعجال فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الْأَحْقَافِ: ٣٥]، وأخبر سبحانه أن قوما يستعجلون العذاب ويستعجلون السيئة قبل الحسنة، وهذا من ضَعْف عقولهم لو كانوا يعقلون.

إن الاستعجال آفة مهلكة إذا لم يبادر العبد إلى إصلاحها وتهذيبها؛ وذلك لا يتم له إلا بأمور مهمة؛ منها: تعويد النفس وتمرينها على التأني والروية والتمهل والتعقل، وزَمّها بالصبر والتصبر قبل أن يصدر منه أي قول أو فعل أو رأي، والتأني والتروي قيمة مطلَقَة يحبها الله، ويوفِّق صاحبَها للسداد والبصيرة، والله –تعالى– من أسمائه "الحليم والصبور"، وقد ثبَت عنه –صلى الله عليه وآله وسلم– أنه قال: «التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» أخرجه البيهقي في الشُّعَب من حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه–. وقد يكون خلق التأني والتؤدة والرزانة وهبيًّا؛ مِنَّةً من الله على عبده، كما يدل عليه حديث أشج عبد القيس حينما قال له النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمَ وَالْأَنَاةَ» أخرجه مسلم في الصحيح من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–. ويمكن اكتساب خُلُق التأني بمطالعة عِبَر التاريخ وتجارب الأمم، والقراءة في سير العقلاء والنبلاء والجلوس مع أهل العلم والخبرة والتجربة ومشاورتهم مع تدريب النفس وتعويدها على التأني؛ فهذه وسائل مهمة في تهذيب العَجَلَة وإصلاحها، وقد شرع الله –سبحانه وتعالى– الاستخارة والاستشارة من أجل اتقاء شر الاستعجال في اتخاذ القرارات هينةً كانت أم عظيمةً، ولم يكن أحد أكثرَ مشاورةً لأصحابه من رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– وهو النبي الموحى إليه، وقد كان عمر –رضي الله تعالى عنه– يجمع المهاجرين والأنصار لمشاورتهم في كثير من قراراته وهو الْمُحَدَّث الْمُلْهَم. أيها المسلمون: العَجَلَة فطرة مركوزة في شخصية الإنسان، لا يكاد ينجو من شرها أحد إلا إذا هذَّبها وأصلحها مستعينا بالله بأن يصرفها في وجهها الصحيح، ويعدل مسارها فيما ينفع ويفيد، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ التُّؤَدَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ، إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ» أخرجه أبو داود والحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه–. وقد جاءت الشريعة بطلب الاستعجال في أمور من الخير وعمل الآخرة لا ينبغي التأني

فيها وتأخيرها، فقد أمرت بالاستعجال في رد الحقوق إلى أصحابها والتحلل منها قبل يوم القيامة سواء كانت ديونا أو ميراثا أو عارية أو وديعة أو استيفاء لبيع وشراء، ولا يجوز للمسلم أبدا أن يحبس حقوق الناس عنده، فإن ذلك من الظلم والبغي، والموفَّق هو الذي يستعجل في أداء فريضة الحج، إذا كان مستطيعا ولم يحج مِنْ قبلُ، قال صلى الله عليه وسلم: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ، -يَعْنِي الْفَرِيضَةَ-، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ» أخرجه أحمد من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-. والصائم شُرِعَ له تعجيلُ الفطر ولا يزال الناس بخير ما عجَّلُوا الفطرَ، وَشُرِعَ للعبد المسارعةُ والمبادرةُ والمسابقةُ في عمل الخيرات، ولم يكن هناك أحد من الصحابة أسبق لكل خير من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، والمؤمن العاقل يبادر الأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، ولا تطيب نفس المؤمن أن يسبقه أحد إلى الله، شعاره دائما: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

وإن من أوجب الأعمال التي لا تقبل التأخير والتسويف المبادرة والمسارعة إلى التوبة والاستغفار من كل ذنب وفي كل وقت، والله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، والعبد لا يدري متى يَفْجَؤُهُ الموتُ، فلا يمكَّن من التوبة. ومن العَجَلَة المحمودة الإسراع بالميت في تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، والإسراع في إكرام الضيف وإطعامه، ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٢٦]، وكذلك المسارعة في تزويج الفتاة من الكفء المناسب بعد الاستخارة والاستشارة؛ فإن الإسراع في ذلك من الخير ومن العَجَلَة المحمودة. وتأخير الزواج مصيدة من مصائد إبليس إلا من عذر قاهر، وبكل حال -أيها المسلمون- فالمشروع هو المبادرة والمسارعة والاستعجال في كل أعمال الآخرة التي تقرب إلى الله، وفي أعمال الخير من المروءات ونجدة الملهوف وإطعام المحتاجين ورفع الظلم وغير ذلك، ويكون الهدوء والرزانة والتأني والتؤدة فيما هو دون ذلك من أمور الدنيا وما يتعلق بها، قال الله -تعالى-: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٣]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الْجُمُعَةِ: ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الْفُرْقَانِ: ٦٣].

لَا تَعْجَلَنَّ لِأَمْرٍ أَنْتَ طَالِبُهُ * فَقَلَّمَا يُدْرِكُ الْمَطْلُوبَ ذُو الْعَجَلِ**

فَذُو التَّأَنِّي مُصِيبٌ فِي مَقَاصِدِهِ * وَذُو التَّعَجُّلِ لَا يَخْلُو مِنَ الزَّلَلِ**

عباد الله: صَلُّوا وسلِّموا على رسول الله فقد أمركم بذلك اللهُ حيث قال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الْأَحْزَابِ: ٥٦].

الخطبة الثالثة والعشرون ١١ شعبان ١٤٣٩هـ

بعنوان: الدَّين أحكامٌ وآداب

الخطبة الأولى:

الحمد لله، أتم علينا نعمتَه، وأحسن إلينا بشريعته، وأفاض علينا بكرمه ومِنَّتِه، أحمده -سبحانه- وأشكره، وأثني عليه وأمجده، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وَسِعَ كلَّ شيء رحمةً وعلمًا، وأحصى كلَّ شيء عددًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير نبي ونذير، وأشرفُ رسولٍ وبشيرٍ، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين أزواجا وذرية، وعلى الصحابة الكرام البررة، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا. أما بعد، فاتقوا الله أيها المسلمون، واستحيوا من ربكم حقَّ الحياء، واحفظوا الرأسَ وما وعى، والبطنَ وما حوى، واذكروا الموتَ والبلى، و﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الْحَدِيدِ: ٢٠]، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[يُونُسَ: ٢٥]. أمة الإسلام: الدواوين عند الله في يوم القيامة ثلاثة: فديوان لا يغفره الله أبدا؛ وهو الشرك، وديوان لا يَعْبَأُ اللهُ به؛ وهو ظلم العبدِ نفسَه فيما بينَه وبينَ ربه، وديوان لا يترك اللهُ منه شيئًا أبدا؛ وهو ما يكون بين العباد من حقوق وتظالم، فهذا الديوان لا يتركه الله حتى يقتصَّ للعباد من أنفسهم فيأخذ لكل ذي حق حقه، بل حتى البهائم لا يجعلها الله ترابا حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، وهذا أمر جَلَل، يخاف منه المسلمُ الصادقُ؛ فيحرص على أن يتحلل في هذه الدنيا من حقوق العباد، ويخرج منها وهو خفيف الظهر من حقوق الناس وأعراضهم، خميص البطن من أموالهم. هذا وإن من أعظم مجالات حقوق العباد التي يحصل فيها كثير من التظالم والتفريط مجال الديون والاستدانة، تلك القضية التي انتشرت وفشت في المجتمعات المسلمة وغيرها، وكثيرا ما تجد الناس إما دائنين أو مدينين؛ مما يتطلب وقفة صادقة عند هذا الأمر توجيهًا وإرشادًا ونصحًا وتذكيرًا. إن كثيرا من الناس أسرفوا على أنفسهم بفتح باب الدَّيْن إسرافا مُرْهِقًا، وأسرعوا في أمر كانت لهم فيه أناة، ومع سهولة إجراءات الاقتراض أقدم البعض عليه بلا روية ولا تفكير مدروس، ولا معرفة شرعية بأحكام الدين وآدابه، وتساهلوا في ذلك حتى ورَّطُوا أنفسَهم في ديون وحقوق كانوا في سلامة منها وعافية. إن الواجب على المسلم أن يحرص على ألا يتحمل في ذمته شيئا من أموال الناس وحقوقهم؛ لأن حقوق العباد مبنية على المقاصة والمشاحة والمقاضاة، ولو نجا عبد من المحاسبة في الدنيا فلن ينجو من محاسبة

الملك العدل في الآخرة، وسيقتص الله من كل ظالم ومفرّط في حقوق الناس، وسيُرفع لكل غادر لواءٌ يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان.

عباد الله: إن شأن الدَّيْن عند الله شأن عظيم، فقد أنزل فيه –سبحانه– أطول آية في القرآن وهي آية الدين في أواخر سورة البقرة، وثبَت عنه –صلى الله عليه وآله وسلم– أنه كان كثيرا ما يتعوذ بالله من ضِلَع الدَّيْن وقهر الرجال ومن المأثم والمغرم، وثبَت في مسند أحمد عنه –صلى الله عليه وآله وسلم– أنه قال: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي الدَّيْنِ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رَجُلاً قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيِىَ ثُمَّ قُتِلَ مَرَّتَيْنِ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دَيْنُهُ**». وفي المسند أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– امتنع عن الصلاة على جنازة رجل مديون في دينارين، حتى تكفَّل أبو قتادة –رضي الله عنه– بسدادها، ثم لَمَّا قضاها أبو قتادة قال له النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: "الْآنَ بَرَّدْتَ عَلَيْهِ جِلْدَهُ". وتوفي أحد الصحابة وعليه دَيْن فقال النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– لأخيه: «**إِنَّ أَخَاكَ مَحْبُوسٌ بِدَيْنِهِ، فَاقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ**» أخرجه أحمد في المسند. وثبَت عند أبي داود والحاكم عنه –صلى الله عليه وآله وسلم– أنه قال: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَلَيْسَ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَلَكِنْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**»، والشهيد في سبيل الله يغفر له كل ذنب إلا الدين، كما في صحيح مسلم.

أيها المسلمون: ما شددت الشريعة في أمر الدَّيْن والاستدانة إلا لحفظ مصالح الناس وحقوقهم المبنية على حفظ الضرورات الخمس المشهورة، ومنها حفظ المال، ثم لئلا يصبح أفراد المجتمع مرتهنين لغيرهم قد غُلَّت أيديهم إلى أعناقهم بديونهم، وفي ذلك ما لا يخفى من الآثار السلبية والمفاسد على الأفراد والمجتمعات، فقد يقع المستدين في الخوف وعدم الشعور بالأمن النفسي خاصة إذا لقي غريمَه وَحَلَّ وقتُ السداد، وهذا مصداق لقول النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: «**لَا تُخِيفُوا أَنْفُسَكُمْ بِالدَّيْنِ**» أخرجه أحمد؛ أي: لا تستدينوا فتخيفوا أنفسكم بتبعات الدَّيْن وآثاره. وقد يلجأ المستدينُ إلى الكذب وإخلاف الوعد والتهرب من مواجَهَة غريمه أو التحايل والمخادعة لإثبات إعساره، وفي صحيح البخاري: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ** –يعني استدان– **حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**».وقد يذهب جزء كبير من مرتبه في قضاء الديون فيضطر للاستدانة مرة أخرى، ويبقى هكذا في دوامة الدَّيْن، وفي هذا إذلال لنفسه، والمؤمن لا ينبغي له أن يذل نفسه، وكثير من المديونين يقعون في الهم والغم والقلق، وقد يمرض البعض ويفقد صحتَه، وقد تفوته الطاعات والقربات بسبب انشغال عقولهم وقلوبهم بالدَّيْن وكرباته ومطالبات الناس، وقد قال بعض السلف: "ما دخل هم الدَّيْن قلبًا إلا أَذْهَبَ من العقل ما لا يعود إليه". والدَّيْن هم بالليل وذُلٌّ بالنهار، ولا

هَمَّ إلا هَمُّ الدَّيْن كما قيل، وقد قال أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه-: "إياكم والدَّيْن فإن أوله هَمّ، وآخره حَرْب". ووجه كونه حربًا كما قال أمير المؤمنين أن التفريط في ديون الناس من أكبر أسباب الهجران والقطيعة والخصومة بين الأقارب والأصدقاء، وقد يصل الأمر إلى الشكاوى في المحاكم؛ مما يُوقع المرءَ في حرج شديد وألم نفسيّ عميق. أيها المسلمون: إن الواجب على المسلم أن يتعفف عن أموال الناس، وألا يفتح على نفسه باب الدَّيْن حتى ينجو من تبعاته وآثاره في الدنيا والآخرة، وأن يعوِّد نفسَه وأهلَ بيته على القناعة والصبر والرضا بما قسمه الله وقدَّره من الأرزاق ومتع الحياة، وما أعظمَ بركةَ الاقتصادِ والتوسطِ والاعتدالِ في النفقة، وأن يحذر المسلم من آفة التبذير والإسراف في إنفاق المال فيما لا طائل تحته مفاخرةً ومباهاةً ومكاثرةً ومسايرةً للواقع ومستجداته، فإن ذلك من أكثر أسباب التورط في الديون فُشُوًّا وشيوعًا. ومع هذا كله -يا عباد الله- فإن الشريعة لم تمنع من الاستدانة والاستعانة بمال الغير مطلقًا، ولكنها أرشدت إلى جملة من الوصايا النافعة في هذا الباب؛ لينجو بها المسلم من آثار الدين السيئة وتبعاته الأليمة: فالواجب على المسلم ألا يستدين إلا في أمر مباح هو مضطر إليه، ومحتاج إلى تصريف أحواله به، وأن يبتعد عن الاستدانة من أجل أمور لا يحتاج إليها، أو هي فيما حرم الله من المعاصي. وعليه أن يعقد النية الجازمة والعزم على أن يَرُدّ الدَّيْن إلى أهله؛ لأن النية الجازمة في رد الدين، وكونه في أمر مباح من أهم أسباب إعانة الله للمستدين كما ثبت عن ابن ماجه عنه -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «**إن الله مع الدائن حتى يقضي دَيْنَه، ما لم يكن دَيْنُه فيما يكره الله**»، وقال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**ما من أحد يُدَانُ دَيْنًا يعلم الله منه أنه يريد قضاءَه إلا أدَّاه اللهُ عنه**». وإذا اضطر المسلم إلى الدَّيْن فليكن بطريقة مباحة لا شبهة فيها ولا غشّ ولا تحايل على الربا، ومن استدان بطريق محرم فإنه لا يوفَّق ولا يُعَان، وكان كالمستجير من الرمضاء بالنار، وليحرص الدائن والمستدين على توثيق الدَّيْن وكتابته والإشهاد عليه، كما أمر الله -سبحانه- في آية الدَّيْن، ولا يتحرجَا من كتابة الدَّيْن ولا يسأما من توثيقه صغيرا كان أو كبيرا، فهو أقسط عند الله وأقوم وأوثق، وَلْيَحْرِصِ المستدينُ على رد الدَّيْن إذا حَلَّ الأجلُ، وأن يُبرئ ذمتَه بسرعة؛ فالموت يأتي بغتةً، والعوارض كثيرة، وقد ثبَت عنه -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «**إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُوفُونَ الْمُطِيبُونَ**» أخرجه الطبراني وأبو نعيم؛ يعني: الذين يُوفُونَ بالحقوق ويؤدونها. ولا يجوز له أن يماطل أو يسوف إذا كان عنده مال يكفي للسداد؛ فإن في المماطلة أذية للدائن، الذي كان ينبغي أن يُشكر ويُكافأ بِرَدّ ماله، لا أن يُعامَل بالمماطلة والتحايل التي هي في الحقيقة خسة طبع ودناءة نفس، وهي من الظلم الذي لا يرضاه الله، كما ثبَت في الصحيح: «**مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ**»

وفي المسند عنه -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْوَفَاءُ**»؛ يعني: إن شكر الدائن والمقرِض يكون بحمده والثناء عليه، وبسرعة الوفاء له والسداد. أيها المسلمون: مَنِ اضْطُرَّ للاستدانة لحاجة مباحة بطريقة شرعية وعقد العزم على رد حقوق الناس فليُبْشِر بالعون والتوفيق من الله، فالله معه حتى يقضي دَيْنَه، ومن أرهقته الديون وأقضت مضجعه فعليه أن يُكثر من الاستغفار وأن يُلِحَّ على الله بالدعاء أن يعينه على قضاء الدَّيْن، وأن يلظ بالدعاء العظيم الذي علمه النبيُّ -صلى الله عليه وآله وسلم- عليَّ بنَ أبي طالب -رضي الله عنه- كما في المسند حيث قال له: «**ألا أعلمك كلمات لو كان عليكَ مثل جبل صبير دَيْنا أداه الله عنكَ، قل: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**». وقد رغَّب الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- المسلمَ إذا نزلت به ضائقة أو كرب أن يُنزلها بالله -تعالى- وحدَه لا شريك له، فالله يتحملها عنه وهو الغني القادر، وما أسرع أن تنكشف كربته ويأتيه الله بالفرج؛ فقد ثبَت عند الترمذي عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «**مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ يُوشِكُ اللَّهُ بِرِزْقٍ وَاسِعٍ أَوْ أَجَلٍ عَاجِلٍ**». وعلى المستدين أن يدبِّر معيشتَه، ويقتصد في نفقته، ويحسن تصريف أموره بحكمة وعقل، ويقدِّم الأهمَّ فالأهم حتى يتمكن من سداد ديونه وردّ حقوق الناس؛ ففي صحيح البخاري عنه -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا, أَدَّاهَا اللهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ**». بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، الحمد لله الذي أنزل القرآن وعلمه، وخلق الإنسان وبالعقل كرمه، وفضله بالبيان وبالقلم علمه، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، رسول الملة، ونبي الملحمة، وشفيع الأمة، وعلى زوجاته وذرياته وصحابته وأتباعه، وبعدُ.

أيها المسلمون: إن من محاسن الشريعة ما جاءت به من الأحكام والآداب لحفظ حقوق الناس وأموالهم، وكما أنها أوصت المستدين بوصايا نافعة ليبارك الله له وينتفع بدَيْنه، فكذلك ندبت الشريعة وحثت مَنْ كان ذا مال وافر، وكان مقتدرا ألا يمنع الناس من فضل الله الذي عنده إذا جاءه مكروب ذو حاجة للاستدانة؛ لأن تفريج كربات الناس وإدخال السرور عليهم ونفعهم من أجل القربات عند الله، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وهو من صور التكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى، وعلى الدائن أن يحرص على أن يحسن نيته في إقراض المحتاجين ويقصد وجه الله لا رياء ولا سمعة، ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾ [الْإِنْسَانِ: ٩]. وعلى الدائن أن يصبر على المستدينين ولا يمن عليهم ولا يفخر عليهم، وينبغي أن يمهلهم ولا يؤذيهم بالمطالبة والمداعاة إذا لم يظهر منهم مماطلة أو تحايل، ويجمل بالدائن أن ينظرهم إذا طلبوا الإنظار لعسرهم وحاجتهم، وإذا سمت نفسه فسامحهم في ديونهم أو وضع عنهم فهذا هو الفضل والكرم والشرف،

فقد ثبت في صحيح مسلم قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**من أنظر معسرا** -يعني: أمهله ولم يَعْجَل عليه- **أو وضع عنه، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**». وفي مسند أحمد قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةً**»، وفي رواية: "مثليه"؛ يعني: يكون للدائن بمثل مقدار الدَّيْن في كل يوم صدقة، إذا أمهله وأنظره، وفي الصحيحين: «**أن رجلا كان يداين الناس فإذا جاءه رجل معسر قال: لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، قال: فلقي الله فتجاوز عنه**». وقد رغبت الشريعة في أن يقوم الموسرون وأهل الفضل بقضاء ديون المحتاجين والمعوزين ممن حل أجل ديونهم ولا يقدرون على السداد، أو المأسورين والمحبوسين بديونهم، سواء كان ذلك من زكواتهم أو غيرها، وقد جعل الله -سبحانه وتعالى- من مصارف الزكاة إعطاءها للغارمين خاصة يا مسلمون إذا كان المدين والدًا أو ولدًا؛ فإن قضاء الديون عن الوالدين أو الأبناء أو أحد الزوجين للآخر فيه أجران؛ أجر القرابة والصلة، وأجر تفريج الكربات، ولا يضجر الابن من ذلك، ولا يتأفف فمهما فعل الابن مع أبويه فلن يوفيهما شكرهما، ولن يبلغ جزاءهما، فقد ثبت في صحيح مسلم: «**لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ**»، وثبت عند البيهقي في الشعب، أن ابن عمر -رضي الله عنهما- رأى رجلا يطوف بالبيت الحرام وهو يحمل أمه على ظهره، فقال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: "لا، ولا بزفرة واحدة". يعني من زفراتها حال الولادة. أيها المسلمون: وليحذر الدائن أن يطلب زيادةً على رأس ماله، على رأس مال الدَّيْن عند إقراضه للناس؛ فإن ذلك هو صريح الربا، صريح ربا الجاهلية، وليحذر أيضا من أي أجر أو منفعة تحصل له من المستدين بسبب الدين؛ لأن ذلك يدخل في القاعدة المشهورة: "كل قرض جر نفعا فهو رِبًا". وقد كان كثير من السلف -رحمهم الله- إذا أقرضوا رجلا لا يقبلون منه أي شيء، حتى الدعوة إلى الطعام إلى أن يَرُدَّ إليهم ديونَهم خشيةَ أن يقعوا في النفع الذي جره القرضُ، وهذا من تمام ورعهم وخشيتهم، وقد قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "إذا أسلفتَ رجلًا سلفًا فلا تَقْبَلْ منه هديةَ كراعٍ، ولا عاريةَ ركوبِ دابةٍ"، وقد نقل ابن المنذر -رحمه الله- إجماعَ العلماء على ذلك. فما أحرانا -يا عباد الله- أن نتأدب بآداب الشرع وتعاليمه؛ ففيها -والله- الغَنَاء والكفاية والهداية والإصلاح والصلاح، ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الْبَقَرَة: ٢٨٢]. عباد الله: صَلُّوا وسلِّموا على رسول الله فقد أمركم بذلك الله حيث قال في محكم تنزيله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الْأَحْزَابِ: ٥٦].

الخطبة الرابعة والعشرون ١٤ ذو القعدة ١٤٣٩هـ

بعنوان: سيدة نساء الجنة

الخطبة الأولى : الحمد لله الذي جعل أمة الإسلام خير الأمم، وأفاض عليها ما لا يُحصى من ألوان النِّعَم والكرم، وجعل منهم أئمة ونجوما، بهم يُقتدى ويُهتدى في ظلمات الأحداث والأمر المدلهم، أحمده –سبحانه– وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جاد بالفضائل والبركات والخير العَمَم، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الخليل المصطفى، والرسول المجتبى، قال بالحق والصدق، وبه عدل وحكم، صلى الله عليه وعلى آله السادة الطيبين، وصحابته الأئمة المهديين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا دائما مزيدا.

أما بعد: فاتقوا الله –عباد الله– وراقبوه، واستشعروا عظمته وجلاله في كل وقت وحين، فهو –سبحانه– أقرب إليكم من حبل الوريد، ولن يعجز اللهَ أحدٌ، ولن يعجزه هربا، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا. أيها المسلمون: إن تربية الأمة على الأخلاق الفاضلة والقِيَم النبيلة من خلال الاقتداء بالقدوات الصالحة المؤثرة، والاهتداء بها في الخطاب والمنهج والتطبيق، من أعظم العوامل والأسس التي تساهم مساهمةً عميقةً في بناء الشخصية المسلمة المعتزة بدينها وثوابتها وانتمائها وتاريخها، والتي نحن أحوج ما نكون إليها في زماننا هذا؛ ولأهمية عامل القدوة الصالحة وأثره الفاعل في التكوين والتربية والبناء، أمر الله نبيه –صلى الله عليه وآله وسلم– أن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، وقال له: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[الْأَنْعَامِ: ٩٠].

وضرب لنا في القرآن بدائع النماذج لقدوات هم غُرَر في جبين الزمان؛ كالأنبياء –عليهم السلام–، ومؤمن آل فرعون، ولقمان العبد الصالح الحكيم، ومريم بنت عمران، وامرأة فرعون، وغيرهم كثير؛ بَيْدَ أن أعظم القدوات الذين أشاد الله –تعالى– بهم هو سيدنا ونبينا محمد –صلى الله عليه وآله وسلم–، الذي قال الله فيه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الْأَحْزَابِ: ٢١]، فالنبي –صلى الله عليه وآله وسلم– هو قدوة مطلقة، قدوة مطلقة بلا حدود زمانية ولا مكانية، في أقواله وأفعاله، وأخلاقه وسيرته وتقريراته، دَقَّتْ أم جَلَّتْ.

وقد سرت هذه القدوة النبوية المباركة إلى ذريته وزوجاته، وقد صح في الخبر الأمرُ بالصلاة عليه وعلى ذريته وأزواجه، فأصبحوا كذلك قدوة للعالمين، قال الله –تعالى–: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾[الْأَحْزَابِ: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الْأَحْزَابِ: ٣٣].

هذا وإن من أَجَلّ القدوات النبوية من أهل بيته الشريف ابنته السيدة الفاضلة الشريفة فاطمة الزهراء –رضي الله عنها– وعن أمها المباركة خديجة، وصلى الله على أبيها وسلَّم.

إن الحديث عن القدوة النبوية فاطمة حديث مُغْدِقُ الثمارِ، عظيم الشأن، له حلاوة وطلاوة وريّ ونماء ورونق وبهاء، ينبه الغافلين، والمنبهرين اللاهثين وراء السراب؛ أن هَلُمُّوا فها هنا الجلال والكمال والطهر والنقاء، ها هنا القدوة النبوية التي اختارها الله على علم لتكون غيثا للناس في زمانِ جدبِ الأخلاقِ والقِيَمِ والحياءِ، وواحة غنَّاء للأمة في صحراء الشهوات والشبهات، وفقر النفوس وتهافتها وتفاهتها، اختار الله هذه السيدة المباركة على علم، وأودع في شخصيتها من الفضائل والكمالات ما زكاها به ورقاها في درجات العز والشرف، تربت –رضي الله عنها– في بيت النبوة، وتخرجت بمدرسة أبيها النبي الأعظم –صلى الله عليه وآله وسلم–، وتعلمت من مشكاة الرسالة، ونهلت من علم وفقه زوجها الإمام علي –رضي الله عنه– فحازت أعلى المقامات، وتشرفت بأعظم الثناء، وسطَّر لها التاريخُ أنبلَ المواقف وأفخم الوقائع في تعاملها مع ربها وأبيها، وزوجها ومجتمعها، فمن ذا يلحق شأوها؟ ومن ذا يساميها من نساء الدنيا؟

وُلِدَتْ رضي الله عنها قبل البعثة النبوية بخمس سنوات في مكة، وقريش تبني الكعبة، وأمها خديجة بنت خويلد أحب أزواج النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– إلى قلبه، وصاحبة المواقف المشهودة المشهورة، كانت فاطمة –رضي الله عنها– أصغر بنات النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–، وأحبهن إلى قلبه؛ لأنها صَحِبَتْهُ منذ نعومة أظفارها ولم تفارقه، وشهدت الأحداث الكبرى في حياته، ورأت من أحوال أبيها وأمورها العجب، وشاركته معاناته، وآلامه وأحزانه وهموم الدعوة، رمى المشركون سلا الجزور على رأس رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– وهو ساجد عند الكعبة فجاءت فاطمة مسرعةً –وهي صغيرة السن–

فأزالت القذر عن رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–، وفي غزوة أُحُد أصيب خَدّ النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– وسال دمه بغزارة فجاءت فاطمة –رضي الله عنها– وغسلت الدم عنه حتى كف، ومرة أخرى رمى المشركون التراب على رأس رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– فكانت فاطمة حاضرة ونظَّفت رأسه الشريف وهي تبكي، والنبي –صلى الله عليه وآله وسلم– يهدئها ويقول: "لا تبكي يا بنية؛ فإن الله ناصر أباك". تعلمت العلمَ مِنْ فِيّ رسولِ الله –صلى الله عليه وآله وسلم– حتى صارت من رواة الحديث، وحديثها في دواوين السُّنَّة، وتخلقت بأخلاق النبوة، وتأدبت بآداب أبيها –صلى الله عليه وآله وسلم–، وصار الناس إذا رأوها تذكروا النبي –

عليه الصلاة والسلام-، حتى في مشيتها ما تخطئ مشيتُها مشيةَ أبيها -صلى الله عليه وآله وسلم-، تقول عائشة -رضي الله عنها-: "ما رأيتُ أحدًا أشبه سمتًا وَدَلًّا وهديًا برسول الله؛ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله". كانت -رضي الله عنها- كريمة على أبيها -صلى الله عليه وآله وسلم-، فما رآها قط مقبلة إليه إلا قام إليها، واحتفى بها وأجلسها بجانبه، وقال: "مرحبا بابنتي"، وكان إذا أقبل من سفر بدأ بالمسجد، ثم عرَّج على ابنته فاطمة في بيتها، وسلَّم عليها ودعا لها، ثم ذهب إلى أزواجه. ومن كرامتها -رضي الله عنها- على أبيها: أنه ضمها وضم عليًّا والحسن والحسين وألقى عليهم الكساء، ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"﴿أخرجه أحمد والترمذي﴾. وبلغت منزلتُها ومكانتها أن قال فيها النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: "إنما فاطمة بَضعة مني" يعني قطعة مني "يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها"أخرجه الشيخان، وفي رواية: "يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها"أخرجها أحمد والحاكم. وأبقى اللّٰهُ سببَ وَنَسَب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فيها وفي ولديها؛ الحسن والحسين -رضي الله عن الجميع-، كما ثبت عن الحاكم والبيهقي: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**». ومن كرامتها -رضي الله عنها- ومنزلتها: أنه نزل مَلَك من السماء لم ينزل قط لكي يبشر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أن فاطمة سيدة نساء الجنة، وأن الحسن والحسين سيدَا شباب أهل الجنة؛ ولذلك شهد لها أبوها -صلى الله عليه وآله وسلم- أنها من خير النساء،

كما في مسند أحمد: «**خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسيا امرأة فرعون**».أيها المسلمون: لقد وضع الله في شخصية فاطمة -رضي الله عنها- من الأسباب والعوامل ما رفعها الله به فوق نساء العالمين، وجعلها قدوة عظيمة للنساء، في كل زمان ومكان، وإضافة إلى ما سبق ذكره من جوانب عظمتها فقد كانت فاطمة -رضي الله عنها- امرأة عابدة قانتة صوامة قوامة قانعة باليسير، صابرة على حياتها وشظف العيش وشدته، حريصة على طاعة أبيها -صلى الله عليه وآله وسلم-، واتباع سنته، قائمة لزوجها بحقه وطاعته، لم يُحفظ عليها -رضي الله عنها- زلة أو خطأ، عظيمة الخوف والمراقبة لله، متدثرة بثوب الحياء والعفة والتصون، لم يُؤْثَر عنها كذب في الحديث، أو إخلاف لموعد أو تصرف مشين، تقول عائشة -رضي الله عنها-: "ما رأيت أحدا أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي وَلَدَهَا". وكانت -رضي الله تعالى عنها- طيبة المعشر كريمة المحتد، محببة للناس كلهم، تحتفظ بعلاقات طيبة مع الجميع حتى مع زوجات أبيها -صلى الله عليه وآله وسلم-؛ فقد كن يحببنها، ويرسلنها أحيانا إلى أبيها -صلى الله عليه وآله وسلم- لتشفع لهن عنده في بعض الأمور. عباد الله:

ومن جوانب عظمتها -رضي الله عنها-: ما سطَّره التاريخ بمداد من نور في قصة زواجها بعلي -رضي الله عنه-، فهل سمعتُم بخبره وكيف كان؟ وما مهرها؟ وما جهاز بيتها؟ إنه حدَث لم يشهد التاريخ مثله؛ فهو زواج سيدة نساء الجنة، ابنة سيد الأنبياء -صلى الله عليه وآله وسلم-، وزوجها هو علي -رضي الله عنه-، رابع الخلفاء الراشدين، ومن أكابر سادات الصحابة -رضي الله عنهم-، لقد كان عرسها عُرْسًا سهلا ميسَّرًا متواضعا مع كل هذا المجد والشرف، تزوجها علي -رضي الله عنه- بعد غزوة بدر، ولم يكن عنده مهر، فأشار عليه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أن يُمْهِرَهَا قيمةَ درعِه الحطميةِ التي غنمها في بدر، وبلغت قيمتُها في ذلك الوقت أربعمائة وثمانين درهما تقريبا، ثم أَوْلَمَ عليها وليمةً مباركةً على شاة واحدة، وأما جهاز بيتها وأثاثه: فتقول أسماء بنت عميس -رضي الله عنها-: "جهزتُ فاطمةَ إلى عليّ فما كان حشو فراشهما ووسائدهما إلا الليف، ولقد أولم على فاطمة فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته"، وقال جعفر بن محمد: "دخلتُ بيتَ عليّ فإذا إهاب كبش على دكة، ووسادة فيها ليف، وقِربة، ومنخل، ومنشفة، وقدح" هذا هو زواج فاطمة، وهذا هو بيتها وأثاثه، وهي ابنة سيد الخلق -صلى الله عليه وآله وسلم-. عباد الله: وبعد زواجها كانت فاطمة -رضي الله عنها- مثالا للزوجة الراضية القانعة المتحببة إلى زوجها، وقد كان يحصل بينهما ما يحصل بين الزوجين من خلاف وتبايُن في وجهات النظر، ولكنها -رضي الله عنها- لم تكن لتتجاوز أدبها مع زوجها عليّ، ولم يكن علي -رضي الله عنه- ليظلمها، بل سرعان ما يتراضيا لكرامتها عليه، وَلِمَا بينهما من الحب الذي تذوب معه كل الخلافات. وقد رزقها الله من عليّ الحسن والحسين، ومحسنا، وأم كلثوم، وزينب، وأم كلثوم هذه هي التي تزوجها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بعد ذلك، رغبة منه في مصاهرة أهل بيت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-. وقد كانت فاطمة -رضي الله عنها- ترعى شئون أولادها وزوجها بنفسها، وتقوم بأعمال بيتها حتى أثَّر عمل البيت في يديها، وتعبت من ذلك ولاقت شدةً، فذهبت إلى أبيها -صلى الله عليه وآله وسلم- تطلب منها خادمًا من السبي تعينها على أعمال البيت فامتنع النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقال: "والله لا أعطيك وأدع أهل الصُّفَّة" وأهل الصفة هم الفقراء الذين لا مأوى لهم، فرجعت فاطمة -رضي الله عنها- إلى بيتها، وإذا برسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يأتيها فوجدها مع عليّ فلاطفهما، ثم أرشدهما إلى أن يُسَبِّحَا ويحمدا اللهَ ثلاثا وثلاثين، ويكبِّرَا أربعا وثلاثين عند النوم، فهو خير لهما من خادم، فرضيت فاطمة -رضي الله عنها- وأسلمت لله ولرسوله، وحافظت على هذا الذِّكْر العظيم فرزقها الله بعد ذلك قوة ونشاطا وتحمُّلًا وصبرا،

ولم يترك علي -رضي الله عنه- هذا الذكر ولا ليلة صِفِّينَ؛ فلذلك كان من أقوى الرجال -رضي الله عنه-، وذلك كله ببركة طاعة الله ورسوله، وبركة ذكر الله -تعالى-.

والمجدُ يُشْرِقُ من ثلاثِ مَطَالِعٍ * فِي مَهْدِ فَاطِمَةَ فَمَا أَعْلَاهَا**

هِيَ بِنْتُ مَنْ؟ هِيَ زَوْجُ مَنْ؟ هِيَ أُمُّ مَنْ؟ * مَنْ ذَا يُدَانِي فِي الْفَخَارِ أَبَاهَا؟**

هِيَ أُسْوَةٌ لِلْأُمَّهَاتِ وَقُدْوَةٌ * يَتَرَسَّمُ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ خُطَاهَا**

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذِّكْر الحكيم.أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم والفضل والقدوات، يُحيي بشمائلهم القلوبَ، ويجدد بعلمهم ما اندرس من أمر الدين، والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير، وعلى آله وصحابته والتابعين. أما بعد: فإن جوانب العظمة والقدوة -يا أيها المسلمون- في شخصية السيدة الجليلة فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- لا ينقضي منها العجبُ، ولا يُقضى منها الأرب، لكننا نشير إلى أن أمر وفاة أبيها -صلى الله عليه وآله وسلم- كان له أعظم الأثر على قلبها وروحها، واهتز له كيانها هزة عنيفة، وهي الصابرة المحتسبة ولكن الأمر كان شديدا عليها، بل وعلى المسلمين جميعا، وتبدأ هذه القصة المؤلمة منذ أن ابتدأ المرض الأخير الذي مات فيه النبي الأعظم -صلى الله عليه وآله وسلم- فَفَقَدَ الكونُ كلُّه هذه الرحمةَ المهداةَ، وانقطع خبر السماء، ووحي الله بموت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، وقد ابتدأ مرض النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في مطلع شهر ربيع الأول في سنة إحدى عشرة من الهجرة النبوية، وقد اشتدت عليه الحمى وألم الرأس متأثرا بالأكلة التي أكلها في خيبر من الشاة المسمومة التي سممتها لها المرأة اليهودية؛ حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدتُ انقطاعَ أَبْهَرِي من ذلك السُّمِّ**» أخرجه البخاري. وكانت مدة مرضه -صلى الله عليه وآله وسلم- قرابة عشرة أيام أو أكثر قليلا، ويشتد عليه الوجع، ويغمى عليه -صلى الله عليه وآله وسلم-، وتدخل عليه ابنته فاطمة وهو في هذا الكرب الشديد فيعتصر الحزنُ قلبَها، وتقول: "واكرب أبتاه"، فيصحو من إغمائه -صلى الله عليه وآله وسلم- ويقول: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم" ثم إنه دعاها، وَأَسَرَّ لها أنه ميت في هذا المرض فبكت -رضي الله عنها- حزنا على فراقه، ثم أَسَرَّ لها بِسِرٍّ آخَرَ؛ وهو أنها

أول أهله لحوقا به، فضحكت استبشارا. فلما توفي النبي –عليه الصلاة والسلام–، ودفنه الصحابة، قالت فاطمة لأنس بن مالك: "كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–؟"، وبقيت فاطمة –رضي الله عنها– بعد وفاة أبيها –صلى الله عليه وآله وسلم– ستة أشهر، وهي محزونة مكمودة، تذوب كما يذوب الملح في الماء من هول هذه الفاجعة، وذبلت زهرة حياتها، وانطفأت شمعة بهجتها، وتفطر قلبها الرقيق، ولم يعد فؤادها المكلوم يتحمل فراق أبيها –صلى الله عليه وآله وسلم– فوافاها الأجل ليلة الثلاثاء الثالث من رمضان، في السنة التي توفي فيها أبوها –صلى الله عليه وآله وسلم–، وكان عمرها يومَ توفيت تسعا وعشرين سنة تقريبا، وتولى غسلَها وتكفينَها وتجهيزَها زوجُها علي –رضي الله عنه– وأسماء بنت عميس زوج أبي بكر الصديق –رضي الله عنهما–، ودفنها علي ليلا في البقيع. أيها المسلمون: لقد كانت فاطمة –رضي الله عنها– رمزا للحياء والستر والعفة، وحتى عند وفاتها –رضي الله عنها– فقد كانت جنائز النساء في عهدها يُلقى على الواحدة منهن ثوب، ثم يصلى عليها وتحمل إلى المقابر، وقد يصف الثوبُ أعضاءَ جسمها، وقد تنكشف، فكانت فاطمة –رضي الله عنها– من حيائها تكره ذلك ولا يعجبها، وتتمنى شيئا يستر المرأة في جنازتها، وذكرت ذلك لمن حولها من النساء قبل وفاتها، فاقترحت عليها أسماء بنت عميس –رضي الله عنها– شيئا رأته في الحبشة؛ وهو أن يُجعل على النعش شيء مقوَّس من جريد النخل، ويطرح عليه الثوب، وتوضع المرأة تحته، فلا يصف أعضاءها، ففرحت بذلك فاطمة –رضي الله عنها– وقالت: "سترتني سترك الله". فكانت فاطمة –رضي الله عنها– هي أول امرأة يصنع نعشها على هذه الصفة التي نشاهدها اليوم في نعش النساء. فما أبرك هذه السيدة الجليلة، وما أعظم خيرها على الأمة في حياتها وبعد مماتها.

أمة الإسلام: حق لهذه السيدة الجليلة أن تكون أعظم قدوة لنساء الأمة ونبراسا ينير الطريق، ومثالا فخما بديعا يُحتذى، ويُقتدى في الحياء والحشمة والعفاف، وما أروع أن تكون سيرتها وشمائلها تعطِّر وتجمِّل مجالس السمر ومنتديات العلم، وتكون مقرَّرًا في مناهج التربية والتعليم وبناء القدوات. وإن الواجب علينا أن نعرف لهذه السيدة المباركة حقها ونعظمها ونتخذها قدوة، ولا يجوز لنا أبدا أن نغلو فيها، ونرفعها فوق منزلتها، أو أن نخترع لها من الفضائل ما لم يصح؛ فكم قد كذب عليها الكذابون والأفاكون، وكم قد اختلقوا وافتروا عليها وعلى زوجها عليّ وأبنائه ما هم منه براء، والمنهج الحق هو الوسط بين الغلاة المفرطين، والجفاة المقصرين. فرضي الله عن فاطمة بنت رسول الله، وعن أمها المباركة خديجة وصلى الله على أبيها النبي الأعظم سيد ولد آدم وسلم تسليما كثيرا. عباد الله: صَلُّوا وسلِّموا على رسول الله فقد أمركم بذلك الله حيث قال في محكم تنزيله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[الْأَحْزَابِ: ٥٦].

ثانياً:

خُطبة عيد الأضحى المبارك

من المسجد الحرام لحج ١٤٣٦هـ

خُطبة عيد الأضحى المبارك

من المسجد الحرام لحج ١٤٣٦هـ

الخطبة الأولى:

الحمد لله، الحمد لله العلي الكبير المتعال المحمود على نعمه وآلائه في كل الأزمان والأحوال المتصف - سبحانه - بالعزة والعظمة والجلال، نحمده - سبحانه - ونشكره بالغُدو والآصال، ونعوذ بعزته وقدرته من ظلمات الشرك والشك والضلال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحدٌ أحدٌ صمدٌ لا كُفؤ له ولا شبيه ولا مثال، المعبود بحق وصدق الذي سجدت له الخلائق والأفلاك والشخوص والظلال، القاهر فوق عباده الذي خضعت له الرقاب وهو القوي شديد المحال. خلق الخلق فانقسموا فريقين: هذا مُهتدٍ محبوب، وذاك مبغوض ضال، وكما بدأ أول خلقٍ بلا كُلفة ولا مؤونة، فهو - سبحانه - يُعيده وهو أهون عليه وإليه المرجع والمآل، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي المجتبى والرسول المصطفى كريم الشمائل والخصال، وخيرُ البريَّة وأتقاها وأعدلها ، فما حاد عن الحق ولا مال. النور الهادي والسيد الكبير والسراج المنير، والمنقذ للأمة من الهلاك والضلال، أتم الله به النعمة، وأعظم به المنَّة، وجعله فخر الأنبياء وسيدهم ، وشامة الرسل وإمامهم، صلَّى عليه الله ما ناحت الأطيارُ والحمائِم، وتعاقب الليل والنهار، وتتابعت منائح الله والكرائم، صلَّى عليه الله وعلى أهل بيته السادة أهل الشرف والفضائل، وأزواجه الطاهرات الحرائر، وسائر صحابته الكرام الأبرار، والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم العرض والسؤال. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. الله أكبر عدد ما لبى الحجيج وهللوا وكبروا الله أكبر عدد ما أحرموا الله بالتوحيد وأسلموا الله أكبر عدد ما ما أصبح عيد الأعياد وأسفر، وأشرقَ صبحه ،وأنوَر، الله أكبر زِنَة العرش المجيد، ومداد كلمات الله الحميد، ورضا نفسه وهو على كل شيءٍ شهيد، الله أكبر عدد الخلق والأمر نورًا وبُشرى ، الله أكبر ما تعالت الأصوات تكبيرًا لله وذكرًا ، الله أكبر ما توالت الأعياد عمرًا ودهرًا، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

أما بعد : فأوصيكم ونفسي - حجاج بيت الله الحرام - بتقوى الله في السر والعلانية، والغُدو والرواح، و الإمساء والإصباح؛ فإنها الزاد الأعظم والمنهل الأكرمُ والنورُ الأتم في ظُلمات الحياة ودروبها، ومُعترك الأقدار وأهوالها، وذل المصائب. والأحزان وآلامها.

أمة الإسلام .. حجاج بيت الله الحرام

من أكرم منكم اليوم؟! يوم العيد الأكبر ، والحج الأعظم. وأنتم أضياف الملك العظيم .. من ذا يُساميكم ويبزكم شرفًا وفخرًا، وأنتم وفد الله الجليل، وحُجاج بيته العتيق .. دعاكم فأجبتُموه، وحرّك قلوبكم للقدوم عليه فأقبلتُم زُرافات ووحدانًا، من كل فج عميق، ولبيتُم النداء الإلهي الجليل على لسان إبراهيم الخليل – عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والتسليم .. فما تظنُّون بالرب الرحيم الكريم؟ وماذا تتوقعون من ملكٍ مُحسن جواد كريم؟! بيده خزائن الخيرات وختمها، وكنوز الرحمات وحللها ما جاء بكم – سبحانه وتعالى – إلى بيته الحرام إلا ليُكرمكم، ويُسبغ عليكم عفوه وفضله، وما حرك

عزائمكم وأثار أشواقكم إلى حج بيته وأعانكم على الوصول إلى الشعائر والمشاعر إلا ليُرِيَكم كرائم فضله وعفوه ورحمته.

وما أصابكم من تعب ولا نصب ولا مشقة، ولا هبطتُم واديًا أو صعدتُم شرَفًا، ولا أنفقتُم من نفقة صغيرة ولا كبيرة، ولا جارتُم إلى الله وبحت أصواتكم بالتلبية والتكبير ، وأجهدتم أنفسكم إلا كتب لكم ذلك كله. وليس للحجة المبرورة جزاءً وثواب إلا الجنة، ومن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، كما ثبت عنه ﷺ وهل أتاكم نبأ حديث عظيم؟! تهتز القلوب عند سماعه فرحًا وحبورًا، فيكون حاديًا للأرواح والنفوس، وشاديًا للأفئدة والأجساد إنه الحديث الفخم الجليل الذي أخرجه الطبراني وغيره بإسناد حسن، عن ابن عمر – قال: قال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم : «أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام – يعني تقصد وتريد – فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة، وأما وقوفك بعرفة فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا، فيُباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي جاؤوني شعثًا غَبرًا من كل فج عميق، يرجو رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني، فكيف لو رأوني؟! فلو كان عليك مثل رمل عالج، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبا غسلها الله عنك ، وأما رميك الجمار فإنه مذخور لك، وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك». الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

أمة الإسلام إن أعظم المقاصد والقواعد التي من أجلها شرع الحج، هو: إعلان التوحيد الخالص لله – سبحانه –، والبراءة والخلوص من الشرك. ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]. ومناسك الحج كلها دلائل وبراهين على التوحيد فمنذ أن يُحرم الحاج وهو يُعلن التوحيد،

ويستشعره في التلبية والتكبير والطواف والسعي ورمي الجمار والوقوف بعرفة ومزدلفة، وغير ذلك، فيتربى الناسُ طيلة أيام الحج على التوحيد قولاً. وعملاً، وقصدًا، وإرادةً ، حتى يُصبحوا حنفاء لله غير مُشركين به ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وإنما جعل الطواف والسعي ورمي الجمار لإقامة ذكر الله – عز وجل ، والتسليم المطلق الله – عز وجل ، وليعلم الله من يخافه بالغيب ويُطيع أوامره وليظهر من لم يرض ولم يُسلّم الله وهم في شكوكهم و طغيانهم يعمهون. إن التوحيد أظهرُ ما يكون في الحج؛ حيث تلتقي أمة التوحيد من كل فج عميق، ليُؤكّدوا أن التوحيد عقيدة الأمة جمعاء، من شرقها إلى غربها، وهو دين الله الذي قام به النبي – صلى الله عليه وسلم – خير قيام، وقام صحابته من بعده بنشره وتبليغه وسار على دربهم أئمة الإسلام العظماء كالإمام أبي حنيفة النعمان والإمام مالك بن أنس، والإمام محمد بن إدريس الشافعي والإمام أحمد بن حنبل، والإمام البخاري، وغيرهم من أئمة الإسلام الأعلام على مر العصور. وإن من الخسران المبين أن يأتي الحاج إلى هذه المشاعر والشعائر التي تفيض بالتوحيد، فيرتكب الشرك، ويسأل غير الله، أو يبتدع في دين الله، ولا يُبالي أكان حجه لله خالصًا، أو كان رياءً وسمعة أو على غير هدي محمد – صلى الله عليه وسلم –، أو كانت فيه شوائب الشرك وحب الثناء والمحمدة والتفاخُر بالأعمال، ليُشار إليه بالبنان فاتقوا الله – يا حجاج بيت الله .. واعلموا أن التوحيد والإخلاص هو روح الأعمال وأساس صحتها، فلا تُفسدوا أعمالكم بالشرك ووسائله وبالرياء وطرائقه، وحبّ الشهرة والظهور والمحمدة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له – سبحانه –. وفي "صحيح مسلم": «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيره تركته وشركه». فالله أكبر، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. حجاج بيت الله الحرام لقد حج النبي – صلى الله عليه وسلم – حجةً واحدةً في حياته بعد بعثته، فكانت حجةً مهيبة جليلة، فيها من العبر والدلائل والتشريع والحكم والمقاصد ما لا يحصى إلا بكلفة جهيدة، ومن ذلكم خُطبته العصماء البليغة العظيمة في عرفات، ثم في منى، قرر فيها قواعد الإسلام، وأصول الأخلاق وقيم التعامل النبيلة، مما يجدر بتلك الكلمات النبوية المجيدة أن تكون أقدم وثيقة تاريخية لقيم الفضيلة والتعايش وحقوق الإنسان في الإسلام

وحُقَّ للمُسلمين جميعا أن يفخروا بها، ويُفاخروا بها الأمم التي زعمت سبقها في إرساء هذه الحقوق، وهم في حقيقة واقعهم وحياتهم أبعد الناس عن كثير منها. لقد أكد النبي – صلى الله عليه وسلم – في خطبته في عرفات ثم في منى على

حرمة الدماء المعصومة، والأموال والأعراض، وأن المسلمين تتكافؤ دماؤهم وأموالهم وأعراضهم، وهي حرام كحرمة البلد الحرام في الشهر الحرام، وقرر -ﷺ- مبدأ المساواة والعدالة، وأن المؤمنين كلهم إخوةً مُتساوُو الحقوق، لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى. وأكد -ﷺ- أن كل شعائر الجاهلية من الشرك والعصبيات، والفخر بالأحساب وغيرها مرفوضة وباطلة، وأن من أعظم شعائر الجاهلية الباطلة الربا، تلكم الكبيرة الشنيعة الماحقة لكل خير وبركة، التي تُفسد الاقتصاد والحياة والأخلاق. وشدد النبي ﷺ- على حقوق المرأة، وحذر من ظلمها والتعدي عليها لضعفها وقلة حيلتها، وأوصى أمته وصية بالغة بالنساء، وأن يتقوا الله فيهن وقرر النبي - عليه الصلاة والسلام - أن العاصِم من الضلال والغواية هو التمسك بالكتاب والسنة، فقال - عليه الصلاة والسلام : «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي**». وأكد -ﷺ- في كل مواطن الحج؛ حيث كان دائمًا يُرَدِد على مسامع الناس: «لتأخذوا عني مناسككم». فما أعظمها من قواعد وحقوق وآداب أرساها وقرّرها -ﷺ- في هذه المحافل الكبار في عرفات، ثم في منى أمام الحجيج، في أواخر حياته - ﷺ. لتكون نبراسًا للأمة ومشعل هدايةٍ وحضارة وتقدم ورقي، في كل الأحوال والأطوار. فالله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. أمة الإسلام .. معاشر الحجيج إن في الحج لآيات باهرات وعبرًا بالغات أدهشت العقلاء والحكماء في سابق الأزمان ولاحقها، وأماطت اللثام عن جلالة هذا الدين وعظمة أحكامه، ومحاسن تشريعاته، وأنه دين الله في الأرض ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الخاسرين**﴾ [آل عمران: ٨٥].

ففي الحج: تزكية للنفوس والقلوب، وتهذيب للسلوك والأخلاق وتربية للعقول والجوارح على المعاني السامية، والآداب الرفيعة، والمنهج المنضبط. في كل شؤون الحياة حيث إن فيه تعويدًا للناس على خُلق السكينة والهدوء والتروي، وعدم العجلة والطيش والتهور الذي هو من طبيعة الإنسان، ﴿**وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولًا**﴾ [الإسراء: ١١]. تلك العجلة التي تدل على خفّة العقل، وعدم النظر في العواقب ومراعاة الأصلح والأسلم حالاً ومآلاً. إن خُلق التروي والسكينة والهدوء ليظهر في مواطن كثيرة في الحج في الطواف بالبيت والإفاضة من عرفات ومن مزدلفة. وفي رمي الجمار، وفي غير ذلك. وقد كان -ﷺ- يُردّد قولته المشهورة: «**السكينة - عباد الله - السكينة**» أخرجه أبو عوانة بسند صحيح. ويقول - عليه الصلاة والسلام : «يا **أيها الناس عليكم بالسكينة والوقار: فإن البر ليس في إيضاع الإبل**» أخرجه أحمد والنسائي.

وفي الحج – يا عباد الله –: تربية للناس على التسليم لله وللرسول – صلى الله عليه وسلم –. وأخذ الناس بالحزم على اتباع سُنَّة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في كل شيء، والبعد كل البعد عن الاعتراض على النصوص وردّها بالعقل والهوى والمصالح الشخصية فقد كان شعار الحج الذي يتكررُ في كل موطن: «**خُذوا عني مناسككم**». وفي ذلك ترويض للنفوس الشاردة، والعقول المعجبة بآرائها أن تتبع النص القرآني والنبوي وتخضع له، فإنها السلامة التي لا يعدلها شيء. وفي الحج تعليم للناس وتدريب على النظام والترتيب في الأحكام والزمان والمكان، النظام والترتيب الذي هو صفة كاشفة للمسلم الواعي الراقي المستنير بدينه وشريعته البعيد عن الفوضى وعدم الانضباط الذي يُخلف آثارًا سيدة على الفرد والمجتمع. فلو تأملنا جميع أحكام الشريعة – ومنها الحج – لرأيناها كلها مبنيَّةً بإحكام على أساس متين من الترتيب المدهش، والنظام الدقيق المتقن الذي يُعينُ الأمة على التكيف مع أحكام الشريعة، وتُصبح قادرةً على تحمل التكاليف الشرعية، مهما تغيرت الأحوال والعادات، فتغدو النفوسُ مُنضبطةً مُهيَّأةً لكل عارض وطارئ فتنتظم حياتها، وتنجو من الفوضوية والارتجالية التي تدمر الجهود المبذولة، وتُبعثر الطاقات النافعة، فتتأخر مسيرة حضارتها وتقدمها. إن هذه الحشود الهائلة في الحج، التي تُؤدي مناسكها في وقتٍ واحدٍ ومكانٍ واحدٍ إذا كانت واعية بأهمية النظام والانضباط في أداء شعائرها، فإن ذلك يُثمِرُ لها الطُّمأنينة والأمن والأمان الذي هو من أعظم المطالب الشرعية؛ إذ بدون الأمن والأمان لن يستطيع المسلم تأدية مناسكه براحة وطمأنينة وسكينة. وإننا لنحمد الله ونشكره على أن تفضل علينا بالأمن والأمان للحجاج في الحج بفضله ورحمته، ثم بجهود المخلصين من قادة هذه البلاد المباركة ورجال الأمن الذين يقومون على راحة الحجيج وأمنهم، ويضربون على يد كل من تُسوّل له العبث والتخريب والفوضى.

إن خادم الحرمين الشريفين – وفقه الله – وحكومته جعلوا أهم أولوياتهم رعاية الحرمين الشريفين، وحجاج وعُمَّار بيت الله الحرام، وسخروا كل إمكانياتهم وما يستطيعون لراحة الحجيج وتسهيل أداء نسكهم والحفاظ على أمن الحرمين الشريفين وهذا من جلائل الأعمال التي تُذكر في صباح هذا العيد فتشكر ويُشاد بها وتُنشر ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. فالله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أمة الإسلام في الحج تظهر عالمية الإسلام وشموله وقدرته على قيادة البشرية وتوجيهها تلك العولمة الإسلامية التي تقوم على العدل والمساواة والأخوة، لا عولمة الشر والفساد والإفساد فهؤلاء الحُجاج يأتون بأعداد هائلة في كل سنة، من كل أصقاع العالم. الأمم. وهم مختلفو الجنسيات والألوان والطبقات في مشهد مهيب أخَاذٍ لا نظير له في

العالم، ولا مثيل له عند الأمم جمعهم دين واحد ونبي واحد ورسالة سامية واحدة، وهموم وقضايا مُشتركة، وفي ذلك أعظم الأدلة على أن الإسلام هو الدين العالمي الخاتم الموحد والجامع للبشرية جمعاء، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

هذه العالمية لدين الإسلام تُؤَكِّدُها هذه الآية التي نزلت في بداية الدعوة في مكة وبشر بها النبي – – في أحلك الظروف وأصعب المواقف في مكة في زمن الاستضعاف وفي غزوة الأحزاب حين رمت العرب النبي –صلى الله عليه وسلم– عن قوس واحدة، وفي مواقف أخرى، كلُّها تُقرِّرُ وتُؤكّد أن الإسلام سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، وسيدخل كل الحواضر والبوادي، وسينتشر في كل الأصقاع، بتدبير إلهي، وتمكين ربَّاني، لن تقف في وجهه أي قوة في الأرض مهما بلغت قوتها وحضارتها. إن الأدلة متكاثرة ومتنوّعة على أن هذا الدين مُؤيَّد ومنصور – بإذن الله –، وأنه – سبحانه وتعالى – مع هذه الأمة المباركة أمة محمد –صلى الله عليه وسلم–. يحميها ويُدافع عنها وينصرها، فهي أكرم الأمم عليه، وأشرفُها لديه إن قامت بشريعته ومنهجه فلها النصرُ والسناء والتمكين وهي موعودةً بألا يستبيحها الأعداء فتستأصلها وتُبيدَها وألا يُهلكها بسنةٍ ومجاعة عامة. فالله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد أمة الإسلام إن الأمة المحمدية اليوم تمر بفترة استثنائية عجيبة ومؤلمة فترة مليئة بظلم الأعداء وتسلطهم وتكاليبهم على هذه الأمة التي أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أنها سوف يأتيها زمان تصير فيها أمةً غُثائية تتداعى عليها الأمم، فتفرقت كلمتها، وتشتتت جهودها، وابتعدت عن مصدر عزّتها، فطمع فيها الأعداء، وسُلّطت عليها أقسى أنواع الغزو الفكري والثقافي والعسكري، وسامها المجرمون والطغاة أبشع صور القتل والدمار والهلاك. وما نراه ونسمعه في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، وما يحصل من اعتداءات وانتهاكات لحرمة المسجد الأقصى من قبل المحتلين، وما يحصل في غيره من بلاد المسلمين، كل ذلك مما يُدمي القلب، ويذوبُ له الفؤادُ كمدًا وحُزنًا. سفك للدماء الطاهرة وتشريد للأطفال والنساء، ومكر وكيد وعدوان ووحشيَّةً في ظل ضعف المسلمين وتخاذلهم، وصمت مُرِيبٍ مُوجِع ومخزي من المؤسسات العالمية، والمنظمات الحقوقية الدولية. إن هذا الكيد والعدوان والمكر الكبار، والقتل والتدمير لو أنزل على الجبال لأزالها، ولو صُبَّ على أمةٍ غير أمة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – لصارت أثرًا بعد عين، ولكانت حديثًا من أحاديث التاريخ، ولكنها أمة الإسلام أمة محمد –صلى الله عليه وسلم–.. أعظمُ الأمم وأحبُّها إلى الله، جعل فيها عوامل البقاء والدوام والعزّة، وبشرها بأنها أمةٌ مرحومة منصورة مهما دبَّر الأعداء وكادوا، وقتلوا وشردوا ، وانتهكوا الحرمات والمقدسات. وأن كل ما أصابها إنما هو ابتلاء واختبار وتمحيص وتمييز للصفوف، حتى تعود الأمة لربها،

وتتوب إليه – سبحانه وتعالى –. إن المبشرات – يا حُجَّاج بيت الله – بعودة مجد الأمة والتمكين لها تتكاثر كل يوم وتتضح معالمها في كل الأحداث. ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤١].

إننا من أمةٍ أنزلها دينها ... فوق البرايا منزلاً

نجمها فيه من الخُلد سنا ... إن خبَّا حينًا فلا لن يأفلا

إنه الإسلام دينٌ مُبرَمٌ ... ليس يرضى الله عنه بدلاً

زحفه من أمسه في يومه ... قد تحدى يصنع المستقبلا

طلعة للفجر لاحت للدنا ... من سَناها الليل ولَّى وَجَلا

يا حجاج بيت الله إن هذه الأمة المحمدية المباركة لن تُستأصل شأفتها، ولن تُباد خضراؤُها مهما فعل بها الأعداء والمجرمون، ومهما أجلَبُوا علىها بخيلهم ورجلهم، ولو اجتمع عليها من بأقطارها، بل سيتداركها الله برحمته ولطفه، وسيغيثها بنصره وتأييده، ويجعل لها الكرة على الأعداء، ويُعيدُ لها قيادة الأمم، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢.٣٣]. فالله أكبر الله أكبر، الله أكبر ، لا إله إلا الله الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعنا بما فيهما من الآيات والذكر والحكمة أقول ما تسمعون؛ فإن كان حقًّا فمن الله وحده لا شريك له، وإن كان غير ذلك فإني أستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الحمد الله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والشكر له على كريم فضله وجميل امتنانه، وأُصلي وأسلم على المبعوث للعالمين رحمةً وهداية فأوجب الله علينا طاعته تعظيمًا لشأنه، وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

الله أكبر، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. حجاج بيت الله الحرام هذا هو يوم الحج الأكبر، أعظم أعياد الإسلام وخير أيام الدنيا عند الله اجتمعت فيه أكثر أعمال الحج من رمي الجمرة الكبرى، ثم النحر، ثم الحلق أو التقصير، والحلق أفضل وأطيب، ثم الطواف بالبيت العتيق ثم يعود الحجاج إلى منى ليرموا بها الجمار، ويبيتوا فيها ليالي التشريق في ذكر وتكبير وتعظيم لله وأكل وشرب فرحًا وشرورا بنعمة الله وتيسيره ورحمته.

إن إسالة الدماء بنحر الهدايا والأضاحي من أجل القربات التي يُحبها الله – سبحانه وتعالى ، فأفضل الحج: العج والثج، كما ثبت عنه – صلى الله عليه وسلم .

والأضحية سنة إبراهيمية محمدية، لا ينبغي للمُستطيع أن يُفرّط فيها؛ فإنها تقع عند الله بموقع عظيم، والسنة فيها أن يُضحي بما له ستة أشهر من الضأن، أو سنة من المعز أو سنتان من البقر، أو خمس سنين من الإبل، من الغنم أو البقر أو الإبل، ولا يجوز ذبح غير هذه الأصناف الثلاثة. ويجب أن تكون خالية من العيوب التي نبه عليها النبي – صلى الله عليه وسلم فلا تكون عرجاء، ولا مريضة، ولا هزيلة، ولا عوراء، وتُذبح بعد صلاة العيد، ومن ذبح قبل صلاة العيد فليعد مكانها أُخرى. والسنة أن يأكل منها، ويهدي بعضها، ويتصدق منها إن شاء. فتقربوا إلى الله بذبح أضاحيكم سليمةً مُوفّرةً طيبةً بها نفوسكم، واعلموا أن ابني أدم – عليه السلام – كلاهما تقرب إلى الله لكن الأول منهما تقرّب بالهزيلة الضعيفة بخيسة الثمن ونفسه كارهةً نافرة، والثاني تقرَّب إلى الله بالكريمة السليمة النفيسة بنفس طيبةٍ مُنشرحةٍ مُقبلة، فتقبل الله منه، ولم يُتقبَّل من الآخر، ﴿ وإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧].

فالله أكبر الله أكبر، الله أكبر ، لا إله إلا الله الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد حجاج بيت الله الحرام إن مخالفة المشركين مقصد عظيم من مقاصد الحج، فقد وقف النبي – صلى الله عليه وسلم – بعرفة، ومُشركو قريش ما كانوا يتجاوزون مزدلفة، وكانت العرب في جاهليتها يعقدون مجالس الفخر والتفاخر بمآثر الآباء والأجداد أيام الحج وفي أيام التشريق ويتناشدون فيها الأشعار فخرًا بأحسابهم وأنسابهم، وكان كثير منهم ينشغلون في ليالي التشريق بتتبع الشهوات والتشبيب بالنساء والتغزل بهن. فأمر الله عباده الموحدين أن يجعلوا أيام الحج وليالي التشريق أيام ذكر الله وفرح بنعمته، وشكر له – سبحانه –، وتكبير وتهليل وتعظيم له – سبحانه ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

أمة الإسلام لقد كان سلفنا الصالح – رحمة الله عليم – يحجون هذا البيت الحرام وهم يستشعرون عظمة الله وجلالة هذه المناسك وكانوا يعدُّون الحج من أعظم العبادات التي تُغيّر النفوس وتزكها وتربيها ولذلك علموا أهمية

الوقت في الحج، وضرورة اغتنامه في الطاعات وعلموا أهمية الإخلاص والصدق وتحري متابعة النبي –صلى الله عليه وسلم–. وما كانوا – رحمهم الله – يعدُّون الحج نزهة أو سياحة أو مغنَمًا؛ بل كان حجهم الله وبالله ، لا رياء ولا سمعة ولا مفاخرة. فلذلك كان حج السلف عبرة وعظة سجله التاريخ بمدادٍ من نور، في سير وصحائف خالدة تالدة تستنشق منها عبق الإخلاص ونسائم الصدق، وتتذوّق فيها حلاوة الإيمان وطعم اليقين فلله ما أزكى نفوسهم وما أحلى كلامهم وما أروع حجهم وما أصفى قلوبهم.

حج أنس – رضي الله عنه – فما سمعوه يتكلم إلا بذكر الله، أو أمر بمعروف، حتى حل من إحرامه، ثم قال: "هكذا يكون الإحرام". وقيل لابن عمر – رضي الله عنهما– ما أكثر الحاج ! فقال: "بل ما أقلهم". يعني بهم أهل الإخلاص فإنهم قليل. وقال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –: "تشعرون وتغبرون وتتفلون وتضحون لا تُريدون بذلك شيئًا من عرض الدنيا، ما نعلم سفرًا خيرًا من هذا".

وقال شريح – رحمه الله –: "الحاج قليل والركب كثير، ما أكثر من يعمل الخير، ولكن ما أقل الذين يُريدون وجه الله". ولذلك كان شريح – رحمه الله – إذا أحرم بالحج تعلوه السكينة والوقار من كثرة الصمت والتأمل والتذلل، والإطراق الله – عز وجل .. ومن خُشوع السلف – رحمة الله عليهم – في الحج أن علي بن الحسين – رحمه الله – أراد أن يُحرم، فركب دابته، فعلته الخشية واصفر لونه وارتعد ولم يستطع أن يُلبي، فقيل له: ما لك – رحمك الله ؟ فقال: "أخشى أن يُقال لي: لا لبيك ولا سعديك". وحج مسروق – رحمه الله – فما كان ينام إلا ساجدًا: يعني من حرصه على وقته، وشغله بعبادة ربه في الحج. وقال ضمرة بن ربيعة: حججت مع الأوزاعي – رحمه الله .. فما رأيتُه مُضطجعًا في ليل أو نهار كان يُصلي، فإذا غلبه النوم استند إلى قتب.

وكانت نساء السلف – رحمة الله عليهن – يبتعدن عن مخالطة الرجال ومزاحمتهن، ويحرصن على الحجاب والحشمة؛ فقد كانت عائشة – رضي الله عنها – . ورفيقاتها يكشفن وجوههن، فإذا حاذوا الرجال أسدلن الحجاب والخمار وقالت امرأة لعائشة – رضي الله عنها – طفتُ بالبيت سبعا واستلمت الركن مرتين أو ثلاثًا، فقالت لها عائشة: "لا أجرك الله، تدافعين الرجال ؟! ألا كبرت ومزرت". وكان السلف – رحمة الله عليهم – يرون أن من مات في الحج فقد اختار الله له خاتمة حسنة، وختم له بأجل الأعمال في بلد الله الحرام حيث قدم إلى الحج فقبض الله روحه في أحب البقاع إليه، وفي أحب الأعمال لديه. فالله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

ثم صلوا وسلموا على نبينا وحبيبنا وسيدنا محمد، فإن الله – عز وجل – قد أمرنا بالصلاة والسلام عليه؛ حيث قال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وثبت عنه – ﷺ – أنه قال: «من صلى علي حين يُصبح عشرًا، وحين يُمسي عشرًا، أدركته شفاعتي يوم القيامة». فاللهم صل وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وسيدنا وقدوتنا محمد وعلى آله وأزواجه وذرياته الطيبين الطاهرين، وسائر صحابته الكرام الأبرار، وخُص منهم أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين وعليا أبا الحسنين، وسائر الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين اللهم أعز الإسلام والمسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر دينك وكتابك وسُنَّة نبيك وعبادك الصالحين، اللهم انصر من نصر هذا الدين واخذل من خذل الدين بقوتك يا قوي يا عزيز. اللهم اجعل بلدنا هذا بلدًا آمِنًا مُطمئنا رخاء. وسائر بلاد المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه اللهم وفقه وأعنه وسدّده والبسه لباس الصحة والعافية يا رب العالمين، اللهم وفقه ونائبيه لما فيه صلاح البلاد والعباد، واجعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشر برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعفُ عنا، وارزقنا واجبرنا ، وارفعنا ولا تضعنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

ربَّنا تقبل توبتنا واغسل حوبَتَنا واهدِ قلوبنا، وثبت حُجَتنا، وسدّد ألسنتنا، واسلُل سخائِم صدورنا برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم وفق الحجاج لأداء مناسكهم ، اللهم وفقهم ويسر لهم برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم اجعل حجهم مقبولاً، وسعيهم مشكورًا، وذنبهم مغفورًا، وأرجعهم إلى بلادهم غانمين سالمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



ثالثاً: خُطبتي الاستسقاء

من المسجد الحرام

١- خطبة صلاة الاستسقاء

١٥-١-١٤٣٧هـ

الحمد لله، الحمد لله الرحيم الرحمن وسعت رحمته كل شيء وسبقت رحمته غضبه. الحمد لله الموصوف بصفات الكمال والجمال والجلال، المنزَّه عن العيوب والنقائص والمثال. الحمد لله ملجأ المضطرين وملاذ المستجيرين، وغياث المستغيثين ومجيب الداعين وأمل الراجين، ومفزع الخائفين وأنيس المستوحشين. الحمد لله ينزل الغيث وينشر رحمته ويرسل الرياح بشرًا بين يدي غيثه ومنَّته، يفرج كرب المكروبين ويشرح صدور المهمومين وينجد الملهوفين، ويرفع البلاء ويكشف الضراء، ذلكم الله ربكم لا إله إلَّا هو خالق كل شيء، أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، القادر القدير المقتدر يرينا البرق خوفًا وطمعًا، وينشئ السحاب ثقال. أحق من ذُكر وأرأف من ملك، وأجود من سُئِلَ وأكرم من أعطى، مدبرٌ حكيمٌ وعليمٌ قدير، لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأبصار والأفهام ولا يشبه الأنام، حيٌّ لا يموت قيومٌ لا ينام، يمسك السماوات والأرض أن تزولا، خلق الخلق وهو الغني عنهم سُبْحَانه، ورزقهم بلا كُلفةٍ ولا مؤونة، والخلق كلهم محتاجون إليه سبحانه، فقراء إليه وهو الغني الحميد الملك العظيم يدبر الكون ويصرفه، لا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه، من شأنه سبحانه أن يغفر ذنبًا ويفرّج كربًا، ويرفع قومًا ويخفض آخرين، يرزق من يشاء بغير حساب، يرسل السماء مدرارًا بفضله ورحمته، ويحبس قطرها بحكمته وعدله. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير من صلى وصام ودعا ربه واستسقى الغمام، شرح الله صدره وأعلى ذكره ورفع له قدره، وكفاه وأغناه وأواه ونصره، صلى عليه الله وعلى آله وأصحابه والتابعين، ما غردت الأطيار وتعاقب الليل والنهار. أما بعد...

فيا أيها المؤمنون! يا من خرجتم تجأرون إلى الله ربكم تستغيثونه ليسقيكم، وأظهرتم له الفقر والتذلل وهو الكبير الجبار المتكبر، وشكوتم إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جذب دياركم وتأخر الغيث عن بلادكم. سلامٌ عليكم، سلامٌ عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة، سلامٌ عليكم فإن ربكم لعفوٌ كريمٌ رحيمٌ منان، سلامٌ عليكم أجبتم داعي الله، وأحييتم سُنَّة نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأطعتم ولي أمركم فأبشروا، أبشروا وأمِّلوا خيرًا فإنكم إنما تسألون الله الملك، الذي لا تفنى خزائنه ولا تفنى كرائمه سبحانه.

أبشروا! أبشروا واستبشروا برحمة الله وفضله، فهو مالك الملك سبحانه، صاحب الزرع والضرع، والماء والغيث، الذي لا يقدر على إنزاله إلَّا هو سبحانه، وهو الذي يرسل الماء، وهو الذي يسوق الماء إلى الأرض الجُرز، ويرسل الرياح فتثير سحابًا، فيبسطه في السماء كيف يشاء، ويجعله كِسفًا فترى الودق يخرج من خلاله. أبشروا! أبشروا فلن نعدم خيرًا من ربٍّ يضحك من قنوط عباده وقرب ديارهم ويفرح بتوبتهم، أبشروا فإن ربكم كريمٌ رحيمٌ يستحي من

عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرًا، وقد وعد بالإجابة والإكرام وفتح بركات السماء والأرض لعباده المتقين، وبشر أهل الاستقامة أن يسقيهم ماءً غدقًا.

أما المستغفرون الله كثيرًا فقد استدروا رحمة الله واستنزلوا بركاته، وأمسكوا بمجاديح السماء فيوشك أن تفتح عليهم كأفواه القرب، وما دخل العباد على ربهم بأعظم من دخولهم عليه، من باب الفقر والتذلل له، والانكسار بين يديه، والانطراح على عتبة العبودية والمسكنة، أولئك الأكياس الموفقون، أولئك الأعلون المصطفون، أولئك أهل محبته وكرامته، المنكسرون لعظمته وجلالته. وقد خرج نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للاستسقاء متضرعًا متواضعًا، متبذلًا متخشعًا، مترسلًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يا عباد الله، يا مسلمون! إن ربكم كريمٌ ماجدٌ محسنٌ برٌّ رحيمٌ، يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، يريد أن يرحمكم ويتوب عليكم، ويكرمكم ويرزقكم، أبواب رحمته مفتوحة وأرزاقه [illegible] وخيراته متتابعة، ولا يهلك على الله إلَّا هالكٌ محروم، ولا يحرم العبد وتمنع عنه رحمة الله، إلَّا بسبب ذنوبه ومعاصيه. «**وإِنَّ العَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**».

يضعف الإيمان وتجف الأرواح، وتقسو القلوب، وتجدب الديار، وتقل الأمطار بشؤم أمراض القلوب وآفاتها، من الغل والحسد والحقد، والتكبر والتعالي والنفاق، وبما جرحته أيدي الناس، ويمنع القطر من السماء، ويؤخذ الناس بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولا تستجاب الدعوات بسبب منع الزكاة المفروضة، ونقص المكيال والميزان، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكل الحرام من رشوةٍ وخيانةٍ وبيوعٍ مُحرَّمة، وأشدها جرمًا وخطرًا أكل الربا، الذي لعنه الله في كل الشرائع السماوية، وتغلق أبواب الرحمة تنقص الأرزاق، وتتهاجر القلوب وتتناكر، وتفسد العلاقات.

ويشتد غضب الرب سبحانه ومقته، حين يفشوا عقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وتشيع الفاحشة وتتبرج النساء، ويغيب العدل ويكثر الظلم، ويخرج على الأمة السفيه الجاهل، فيسفك الدماء البريئة ويفجر المساجد ويقتل المصلين، ويكفِّر الحاكم وولي الأمر، والعالم والمجتمع المسلم، وتبتغى في المسلمين خطة ضيمٍ ونزاعٍ، وفُرقةٍ وشقاق.

أيها الناس! إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإن الله سبحانه لم يكن ليظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون، فعودوا إلى ربكم سبحانه، وأكثروا من الدعاء والتضرع والمسألة، وأسلموا له واستغفروه سبحانه، وأكثروا من الصدقة والبر والإحسان، وأصلحوا علاقتكم مع ربكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأصلحوا ما بينكم وبينه

عزَّ وجلَّ، ولتكن لكم خبيئةٌ من أعمالٍ صالحة لا يعلمها إلَّا الله عزَّ وجلَّ، وطهروا قلوبكم وسرائركم، واجتمعوا على ولاة أمركم وعلماءكم، وأحسنوا في علاقاتكم مع إخوانكم المسلمين، وعاملوا الناس بأخلاق النبوة وصفاء السريرة.

وعليكم بالجماعة والألفة، والمحبة والسمع والطاعة، وإياكم والخروج على ولاة الأمر! إياكم والغلو والاختلاف والنزاع والشقاق! ثم انظروا رحمكم الله كيف يفتح الله لكم أبواب رحمته وخيراته وبركاته، وينشر عليكم غيث رحمته، ويغمركم بفضله ورحمته وكرائم إحسانه جل في علاه.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلَّا الله الولي القوي المتين، لا إله إلَّا الله الغني الحميد، لا إله إلَّا الله الملك الحق المبين، لا إله إلَّا الله العزيز الجبار المتكبر الفعال لِمَا يريد، لا إله إلَّا الله غافر الذنب وقابل التوبِ شديد العقاب، ذي الطول والحول والقوة، لا إله إلَّا هو واليه المصير. اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلي آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

اللهم أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أنزل علينا غيثًا مغيثًا هنيئًا مريئًا غدقًا مغدقًا، اللهم أنزل علينا غيثًا عامًا سحًّا طبقًا مجلِّلًا، تنبت به الزرع والحرث، وتغيث به البلاد والعباد، وتجعله بلاغًا للحاضر والباد، اللهم سقيا رحمةٍ ولطف لا سقيا عذابٍ ولا هدمٍ ولا غرق، اللهم إن بالعباد والبلاد من اللأواء والضنك والمسغبة ما لا يُشكى إلَّا إليك، فأنزل علينا رحماتك وأفض علينا بركاتك، وافتح لنا من أبواب فضلك، فلا رب لنا سواك ولا مغيث لنا إلَّا إياك، وليس في الكون أحدٌ يقدر على إنزال الغيث إلَّا أنت وحدك سبحانك.

يا ماجد، يا واحد، يا أحد، يا صمد، يا حي، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام نسألك بأنك أنت الله لا إله إلَّا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحدًا، نسألك بأنك أنت الله لا إله إلَّا أنت الحي القيوم بديع السماوات والأرض. يا عليّ، يا عظيم، يا حليم، يا كريم، يا ذا العرش المجيد، يا فعالًا لِمَا يريد نسألك بملكك الذي لا يضام، وبعزك الذي لا يرام، وبنورك الذي ملأت به أركان عرشك أن تغيثنا وترحمنا، اللهم أغثنا وارحمنا، اللهم أغثنا غيثًا مريعًا نافعًا غير ضار، عاجلًا غير أجل، عاجلًا غير رائف. اللهم اسقِ عبادك وبهائمك، اللهم انشر رحمتك وأحيي بلدك الميت.

اللهم إنَّا نستغفرك إنك كنت غفارًا ونتوب إليك يا الله، ونرجو رحمتك ونخشى عذابك، فأرسل اللهم علينا السماء مدرارًا، اللهم أرسل علينا السماء مدرارًا ولا تمنع عنا رحمتك، ولا تعاملنا بما نحن أهله عاملنا بما أنت أهله، أنت أهل التقوى والمغفرة والكرم والرحمة، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وتقصيرنا وجهلنا، اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا، ورحمتك أرجى من عملنا، اللهم إنَّا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كبيرًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت، فاغفر

لنا مغفرةً من عندك وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم فأرسل علينا الرياح المبشرات، وأبسط السحاب وأنشئ الغمام الثقال، وسقها إلى العباد والبلاد برحمتك، وارحم الشيوخ الركع، والأطفال الرضع، والبهائم الرتع.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، سبحانك اللهم لا إله إلَّا أنت، سبحانك ربنا رب العزة والجلال عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

اقلبوا أرديتكم أيها المسلمون تفاؤلًا بالخير وتأسيًا بنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٢- خطبة صلاة الاستسقاء

٤-٤-١٤٣٧هـ

الحمدُ لله الحمد لله العلي الأعلى، الكريم العظيم ذي الأسماء والصفات العلى، خلق الخلق بلا تعب ولا حاجة، ورزقهم بلا مشقة ولا عنا، أحمده - سبحانه - وأشكره، وأثني عليه الخير كله، فهو للمجدِ والثناء أهل، وهو عالم السر وأخفى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثيل ولا نظير كتب مقادير الخلائق كلهم قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا**﴾ [سبأ: ٢]. يُدبَرُ مُلكَه بعلمه وقدرته وحكمته، يغفرُ ويرحم ويُعذِّبُ وينتقم، ويُغني ويُفقر، يرفعُ من يشاء بفضله، ويخفض من يشاء بعدله، يُعطِي ويمنع، ويُرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته فيتنزَّلُ الغيثُ على عباده من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد. يُوفَقُ ويخذل وهو الباسط القابِضُ النافع الضار، الخافِضُ الرافِعُ المحيي المميتُ الجبَّارُ القهارُ، له الأمرُ والخلق، ولا معقب لحكمه، ولا مُبدِّل لأمره، ولا راد لقضائه، ولا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه - سبحانه وتعالى -.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أعرفُ الخلق بربّه، وأتقاهم وأخشاهم له - سبحانه - خليل الرحمن وصفيه، ونبيه ونجيه، وعبده وكليمه ، صلى عليه الله وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين إلى يوم يُبعَثُ فيه الخلائِقُ ويقوم الناسُ فيه لرب العالمين. أما بعد: فإنكم - يا عباد الله - قد خرجتُم من بيوتكم ترجُون رحمة الله - سبحانه وتعالى ، وتخشون عقابه خاشعين لجلاله، متذللين لعظمته، مظهرين الفقر والحاجة إلى غناه ورحمته وقد شكوتُم جدب دياركم، وتأخر المطر عنكم. فأبشروا وأملوا خيرًا: فربكم - سبحانه - كريم جواد رحيم قد سبقت رحمته غضبه، يفتح أبواب فضله ورحمته على عباده. فيُغنِهم ويُكرمهم، ويسقيهم ويُغيثهم. وإذا هم تابوا وأنابُوا واستغفروا ربهم، أرسل السماء عليهم مدرارًا، وأمدهم بأموال وبنين وجنات وعيون، وزروع ومقام كريم. وهو - سبحانه وتعالى - مع سعة عفوه ورحمته شديد العقاب ذو الطول والقوة، يغضب إذا انتهكت محارمه، ولا يقوم لغضبه - سبحانه وتعالى - شيء. ويغارُ إذا ارتكبت المنكرات وضيعت الأمانات والواجبات ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الأعراف: ١٦٧]. ذلك لكي يعلم العباد جميعًا أن أعظم ما يُزيلُ النّعم ويُحلُّ النَقَم. ويمنعُ الخيرات والبركات، تلبس العباد بالمعاصي والذنوب ومجاهرتهم ربهم علام الغيوب، وإعراضهم عن التوبة والإنابة، وكراهيتهم وبغضهم للناصحين الصادقين وقد توعد الله - سبحانه وتعالى - الذين يمكرون السيئات أن يُعاقِهم في الدنيا بواحدة من عقوبات أربع، وقد يجمعها كلها حيث قال - سبحانه وتعالى -:﴿ **أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ**

اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

فكل من استمرأ المنكرات ومكروا السيئات، ولم يتوبوا إلى ربهم – سبحانه وتعالى .. فهم متوعدون إما أن يخسف الله تعالى بهم الأرض. كما فعل بقارون وغيره من الأفراد والأمم. وإما أن يأتيهم عذاب الله في صور وأشكال متنوعة، من حيث لا يشعرون ولا يتوقعون. وإما أن تأتيهم العقوبة الإلهية وهم ينقلبون في هذه الحياة في تجاراتهم وفي يقظتهم ومنامهم. وإقامتهم وظعنهم، وليسوا بمعجزين الله – سبحانه وتعالى .. وإما أن يحل عليهم سخط الله وهم في حالة خوفٍ وترقب لعذاب الله، أو يُصيبهم النقصُ في عافيتهم وصحتهم، وأموالهم ومعايشهم وحضاراتهم، فيشعرون بالنقص والتأخُر والرَّدَى يلفهم من كل أطرافهم ونواحيهم حتى يأتي عليهم أمر الله فيُصبحوا وقد خسروا كل شيء. عباد الله: وإن من أعظم عقوبات الذنوب والمعاصي: محق البركة من الحياة، فلا يشعر كثير من الناس ببركة حياتهم ولا أموالهم ولا أولادهم. ويفقدون طعم الإيمان وحلاوته، وبرد اليقين وطلاوته، وتُحيط بهم الهموم والأحزان والقلق والأنكاد، ويُمنع عنهم قطر السماء وبركة الأرض، ويظهرُ الفساد في البر والبحر، وذلك بسبب نزع البركة من أعمالهم وحياتهم وأنفسهم. وتلك عقوبة ربَّانيَّةً مُعجلة لكل من عاند ربه، وأصر على عصيانه. إن البركة في الأعمال والأرزاق والحياة فيض إلهي . وفتح رباني كريم يُكرم الله به أهل الإيمان والتقوى، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]. نعم يا مسلمون إنها بركات يفتحها الله عليهم من السماء والأرض بلا حساب ولا قيود يذوقون طعمها، ويتنعمون بها من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وتكسو نضرتها أرواحهم ووجوههم. بركاتٌ مُتعدّدة ومتنوعة لا تسعها العبارات ولا تبلغ حقيقتها الكلمات، ولا يعرفها إلا من ذاقها وشعر بها. وهي تترقرقُ مُنسكِبةً إليه في رزقه وصحته وأهله وماله، وطمأنينة نفسه، وراحة باله وانشراح خاطره إنها بركات من الله بركات من التوفيق الإلهي في اغتنام الأوقات والساعات، وطيب العيش والرّضا والقناعة تجعل حياة العبد هنيةً رضيَّةً عليَّةً مُباركةً؛ لأنه أخذ بأسباب البركة ومفاتيحها من الإيمان والتقوى والاستغفار والدعاء والصدق مع الله ومع الناس، واتباع السنة ظاهرًا وباطنا والرضا عن الله وعن أقداره وبر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الناس كافة. وابتعد عن كل ما يُغضب الرب – سبحانه وتعالى . ويمحق البركة من الحياة من ذنوب القلوب، واللسان، والجوارح، وشح النفوس، واستيلاء الجشع والطمع، وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام ومنع الزكاة وأكل الربا والحرام، والتعدي على الناس وظلمهم، مما هو من أعظم أسباب محق

البركات ونزول العقوبات وتغير الأحوال، ونقص الخيرات، وقلة الأمطار. وتنافر القلوب، وتباغض النفوس. عباد الله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، عنده – سبحانه وتعالى – بركات كل شيء، وبيده مقاليد السماوات والأرض، ومفاتيح خزائن الخيرات وختم الجود والكرم وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، يده – سبحانه – ملأى بالخيرات لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار. أرأيتُم ما أنفق – سبحانه – منذ أن خلق السماوات والأرض .. هل نقص ذلك من ملكه شيء؟ فاخلعوا من قلوبكم عبودية الخلق، وانزعوا من نفوسكم الرغبة والرهبة من المخاليق الضعفاء، وتوكَّلوا على الحي الذي لا يموت، واسألوه – سبحانه ، وأنيبُوا إليه وتوبوا إليه، واعتصموا بحبله، وأكثروا من الاستغفار في كل أحوالكم يُفرج الله همومكم. ويكشف كروبكم ويرزقكم من حيث لم تحتسبوا.

وحسبكم أنكم بالاستغفار قد أمسكتُم بمجادِيح السماء، فيُوشِكُ أن يُغيثكم الله ويسقيكم برحمته وكرمه، وادعوا الله وأنتُم موقنون بالإجابة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء، ولا يُعجزه شيء. فاللهم إنا نستغفرك إنك كنتَ غفَّارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا ، اللهم إنا نستغفرُك إنك كنتَ غفَّارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا ، اللهم إنا نستغفرك من جميع الذنوب والخطايا ونتوب إليك. ربنا اغفر لنا هزلنا وجدنا، وخطأنا وعمدنا، وكل ذلك عندنا. ربَّنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا عظيمًا، ربَّنا إننا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كبيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لنا مغفرةً من عندك، وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إنك أنت الله لا إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين اللهم إنك أنت الله لا إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوًا أحد، أنزل علينا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين، اللهم إنك أنت الله لا إلا أنت الحي القيوم بديع السماوات والأرض، أنزل علينا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين. اللهم غيثًا هنيئًا مريئًا، غدَقًا مُغدِقًا، مُجلّلاً عاما سحًا طبقًا، تُغيثُ به البلاد والعباد، وتجعله بلاغا للحاضر والباد.

اللهم يا غني يا كريم يا جواد يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالاً لما يُريد إن بالعباد والبلاد من اللأواء والمسكنة والحاجة ما لا يُشكى إلا إليك، اللهم أنزل علينا غيثًا مُغيثًا مُرتعًا ،مُربعًا، عاجلاً غير أجل، اللهم سُقيا رحمة، لا سُقيا عذاب ولا هدم ولا غرق. اللهم اسق عبادَك وبهائمك ، اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيي بلدك الميت، إنك على كل شيء قدير اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبُّه وترضاه ، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه، وفقه ونائبيه لما فيه خير البلاد والعباد. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. عباد

الله: إن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قلبَ رداءَه في صلاة الاستسقاء، فاقلبُوا أرديَتكم تأسِيًا بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وتفاؤلاً بالخير والصلاح.

رابعاً: خُطب الكسوف والخسوف

من المسجد الحرام

١- خطبة صلاة الخسوف ١٤ صفر ١٤٢٩هـ

بعنوان: وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا

الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذرياته، وصحابته الكرام، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

وبعد: أيها المسلمون: لقد كسفت الشمس في عهد النبي ﷺ في يومٍ شديد الحر، فخرج النبي ﷺ من بيته فزعًا مذعورًا، وتوجّه إلى مسجده الشريف، وثاب النّاس إليه، ثم نودي بأن الصلاة جامعة؛ فصلّى بهم النبي ﷺ صلاةً طويلةً جدًا، حتى إن بعض صحابته الكرام، غُشيَ عليهم،. وجعلوا يخرون، ثم خطب فيهم خطبةً بليغةً مهيبةً جليلةً صحح فيها بعض المفهومات المغلوطة، وذكّر فيها ووعظ، وزجر فيها وأنذر، وذكّر فيها عباد الله ورغبهم وخوّفهم عليه الصلاة والسلام، وبالنظر في الروايات الواردة الصحيحة في خطبته ﷺ بعد صلاة الكسوف؛ نجد أن هذه الخطبة العظيمة قد حوت معاني جليلة، ودلالات عميقة، وعالجت بعض قضايا عقيدة وأخلاقية واجتماعية، نذكر منها ما تيسر فيها في هذه العُجالة.

بيّن النبي ﷺ في خطبته العظيمة أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل وإنهما لا ينخسفان ولا ينكسفان وأن انكسافهما وانخسافهما، لا يُفسّر تفسيرًا طبعيًا، فلكيًا، كونيًا، ظواهريًا، فقط، ولا يُفسر كذلك بموت أحدٍ عظيم أو حياته.

بل التفسير النبوي الصحيح لهذه الآية العظيمة أن كسوف الشمس وخسوف القمر؛ آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده

إنذارٌ للبشرية جمعاء لتُصححَ مسارها، وتُعدّل طريقها، وتعودُ لخالقها ومولاها سبحانه وتعالى، وفي ذلك أيضًا ردٌ وإبطالٌ لاعتقاد كثير من الناس أن للكواكب تأثيرًا لأحداث الأرض، وكذلك بيّن النبي ﷺ في خطبته العظيمة، التصرف الصحيح إذا حصل الخسوف والكسوف وهو أن يفزع الناس إلى الصلاة والذكر والدعاء والاستغفار والصدقة والإعتاق - أعني إعتاق المماليك والعبيد -

حتى ينجلي الكسوف والخسوف، هذا هو التصرف الصحيح، هذا هو التصرف النبوي الذي أرشدنا إليه النبي ﷺ ، هذا التصرف النبوي الشريف خالفه كثير من الناس اليوم، فبعضهم ينظر إلى الكسوف والخسوف على أنه فرصة للنظر والتسلية فقط، وبعضهم يعرض عنه ولا ينظر إليه ويغفل عن هذه الآية العظيمة ولا يتفكر فيها، ولا يتأمل في الحكمة التي من أجلها وقع هذا الكسوف والخسوف، وقد ذكر بعض أهل العلم أن من حكمة وقوع الكسوف والخسوف تقديم نموذجٍ لما سيحصل يوم القيامة – نسأل الله العافية والسلامة – هذا هو التصرف الصحيح. كثيرٌ من الناس اليوم وكثيرٌ من البشرية تعيشُ غفلةً عظيمة، غفلةً كبيرة، غفلةً عن الله عز وجل وعن الدار الآخرة، وكذلك أيها الإخوة، بيّن النبي ﷺ في خطبته العظيمة أنه توجد انحرافات وأخطاء وهذه الانحرافات والأخطاء والذنوب هي سبب لغضب الربّ سبحانه وتعالى، فيغار عز وجل؛ فيُرسل بالآيات تخويفًا وتحذيرًا وإنذارًا، ذكر النبي ﷺ في خطبته أن الله عز وجل يغار من عبده أن يزني، ويغار إذا زنت أمته، وذكر الزنا في خطبة النبي ﷺ إنما هو إشارةٌ إلى بقية الكبائر والمحرمات، ولكن تخصصيه بالذكر في هذه الخطبة العظيمة إشارةٌ إلى أن الزنا – نسأل الله العافية والسلامة – من أشد الكبائر إفسادًا للحياة العامة والأخلاقية والاجتماعية في المجتمع، ولذلك يغضب الربُّ عز وجل فيغار سبحانه وتعالى فيرسل بالآيات تخويفًا وتحذيرًا وإنذارًا.

وفي رؤيته ﷺ أن أكثر أهل النار هم النساء وأن سبب أكثريتهم في النار أنهن يكفرن العشير ويكفرن الإحسان وفي هذا بيانٌ وإشارة لأهمية العلاقات الزوجية وأن دوام هذه العلاقات حفظٌ للمجتمع، وأمنٌ لهذا المجتمع. وكذلك رؤيته ﷺ للمرأة التي حسبت تلك الهرّة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكلُ من خشاش الأرض

في هذا الأمر، في هذا الخبر الذي أخبرنا به النبي إشارةٌ أيها الأخوة إلى ضرورة شيوع الرحمة بين أفراد المجتمع لأن الله عز وجل يُعذّب من لم يرحم الحيوان فكيف بمن لم يرحم إخوانه المسلمين؟

ما حاله عند الله عز وجل ؟ من لم يرحم إخوانه المسلمين جديرٌ أن يُعذّب في النار – نسأل الله العافية والسلامة – وكذلك رؤيته ﷺ لعمرو بن لُحي الخزاعي يجرُّ قُصبه في نار جهنم لأنه من أول غيّر دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأول من سيّب السوائب، وفي هذا الخبر الذي أخبرنا عنه النبي ﷺ في رؤيته لعمرو بن لحيّ في نار جهنم إشارةٌ إلى أن تغيير المفهومات الصحيحة للأمة وإفساد عقيدتها وبثّ الأفكار المضللة والانحرافات والآراء والأهواء الضالة وخاصة بين فئة الشباب أن هذا ذنبٌ عظيم يغضب الله منه فيغار؛ فيرسل بالآيات تخويفًا وتحذيرًا. وكذلك أيها الإخوة ذكر النبي ﷺ في خطبته العظيمة أنه رأى الجنّة ونعيمها، ورأى النّار وأهوالها، وأخبر أن

الناس يُفتنون في قبورهم مثل قريبًا أو مثل فتنتهم بالمسيح الدجال، وأنهم يُسألون في قبورهم عن النبي ﷺ ما علمهم به؟ ما علمهم بهذا النبي الكريم ﷺ ؟ فأما المؤمن الموفق فإنه سوف يجيب " هو محمدٌ رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى " وأما الكافر والمنافق والمرتاب " لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلته " هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ الجنة و النار وفتنة القبر من أعظم محرّكات القلوب إلى الله سبحانه وتعالى، وأنها من أعظم وسائل الثبات على دين الله عز وجل والاستمرار والدوام والثبات على الحق في هذه الحياة، وأن نسيانها والغفلة عنها؛ سببٌ لضعف الإيمان، وسبب لوقوع كثير من الناس في الذنوب والمعاصي والمخالفات والمنكرات التي تُغضب الله عز وجل فيغار سبحانه وتعالى فيُرسل بالآيات تخويفًا وتحذيرًا وإنذارًا.

أيها المسلمون: سؤال البشرية كلّها عن النبي ﷺ ما علمهم به، هذا السؤال العظيم أيها الإخوة دليلٌ باهر على فضل هذا النبي الكريم ﷺ ومكانته العظيمة عند الله ومنزلته الرفيعة ومدى احتفاء الله به واحتفاله به ﷺ ، وأن الله عز وجل أوقف البشرية كلها حتّى تؤمن بهذا النبي ﷺ وتُصدّق به، فهل يعي ذلك من يتجرأُ على مقام النبوة؟ بالسخرية والاستهزاء ؟ وهل يرعوي من يفعلُ ذلك ؟ وهل تفهم البشرية كُلّها أن الله عز وجل لا يقبل من أحدٍ صرفًا ولا عدلًا حتى يؤمن بهذا النبي ﷺ ، وحتّى يُصدّق به رسولًا ونبيًا من عند الله عز وجل. أيها الإخوة : خطبة النبي ﷺ بعد صلاة الكسوف خطبةٌ عظيمةٌ جليلةٌ مهيبةٌ بليغة، مليئة بالدروس والعبر والحِكم، والدلالات العميقة وما ذكرناه فيه كفاية لضيق الوقت، والله عز وجل هو الموفق والمعين.

وصلى الله وسلّم وبارك على رسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

٢- خطبة صلاة الكسوف ٢٩ محرم ١٤٣١هـ

بعنوان: المنهج النبوي في تربية الأمة وتزكيتها.

الْحَمْد لله، نَحْمَدُه وَنَسْتَعِينُه وَنَسْتَغْفِره، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَسَيِّئَات أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه الله فَلَا مُضِل لَهُ، وَمَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَد أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْده وَرَسُوله، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّاتِهِ وصَحَابتِهِ الكِرَام، والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ، وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا. أمَّا بَعد:

فقد انكسفت الشمس في آخر حياة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فخرج من بيته فزعًا يجر رداءه، ثم صلَّى بالناس صلاةً طويلةً، ثم خَطَبَهم خُطبة بليغة. وأخبرهم -عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلام- أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، يُخَوِّف الله بكسوفهما من يشاء من عباده. والله-عز وجل- يُرسِل بالآيات تخويفًا وتحذيرًا للبشرية كلما حادت وانحرفت عن المنهج الحق وعاندت ربها وجاهرته بالمحرمات ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[آل عمران:٢٨].

عباد الله، في مثل هذه المحافل الكبار يتوجب التنبيه على بعض أصول الدين وكُلِّياته العظيمة؛ التي بإذن الله-عز وجل- تعصم من الخَطَلِ والزلل، ونتبين بها مواقع الخلل، فنحاول بقدر ما نستطيع أن نُصلح من أحوالنا، والله-عز وجل- لا يُغيِّر ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وإن من أهم هذه الأمور التي يُذَكَّر بها في مثل هذا المجمع المبارك؛ المنهج النبوي العظيم الرفيع في تربية الأمة وتزكيتها. ذلكم المنهج النبوي الرباني العظيم الذي غفلنا عنه كثيرًا، ونسيناهُ كثيرًا، وقصَّرنا في تطبيقه كثيرًا؛ فأصاب الأمة ما أصابها، وتأخر نصر الله-عز وجل- وتمكينه لها.

إن هذا المنهج النبوي العظيم لن نستطيع أن نحيط به في عُجالة كهذه، ولكن حسبي -أيها الإخوة- أن أُشير إلى أربع قضايا كبرى مهمة تكشف لنا جانبًا من معالم هذا المنهج النبوي في تربية الأمة وتزكيتها، هذه القضايا الأربع لها أثرها البالغ في تربية النفوس والقلوب وتشكيل العقول كما يحب ربنا سبحانه وتعالى.

أول هذه السمات والقضايا التي تكشف لنا جانبًا من معالم منهج النبي -صَلَّى اللهُ عَليهِ وآله وسلَّم- في تربية الأمة وتزكيتها: أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ربَّى هذه الأمة على توحيد مصدر التَّلقي والاستدلال؛ فلا أهواءٌ شخصية، ولا رغباتٌ ولا مطامع، وفلسفاتٌ مادية، ولا آراءٌ ضالة، ولا أفكار منحرفة، ولا عاداتٌ وأعرافٌ

وتقاليد بالية، ولا تقديسٌ لآراء الرجال وشخصياتهم، بل هو القرآن والسنة ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء:٤٥].

وقال الله -عز وجل-: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]. وثبت عنه -صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُم بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدي: كِتَابَ اللَّهِ، وسُنتي». ولما رأى -عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلام- في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة غضب -عليه الصلاة والسلام- غضبًا شديدًا، وقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ أنتم يا ابْنَ الخطَّاب؟ واللهِ لقد جِئتُكم بها بيْضاء نَقيَّة، والله لو كان موسى حيًّا، ما وَسِعَه إلاَّ اتباعي».

فبقدر قُرب الأمة من هذا الوحي الإلهي ومن هذا المنهج النبوي يُنزِل الله-عز وجل- نصره وتأييده وتمكينه، وإذا بعدُت الأمة عن هذا الوحي الإلهي؛ فلا تسَل عن الفوضى الفكرية والعَقدية والمنهجية والأخلاقية التي سوف تَهوي إليها، ولذلك يرسل الله بالآيات تخويفًا وتحذيرًا.

وثاني هذه القضايا التي تكشف لنا جانبًا من معالم هذا المنهج النبوي في تربية الأمة وتزكيتها: أن أهم قضية كان النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يكررها دائمًا، ويرددها، ويغرسها في نفوس وعقول وقلوب أصحابه: قضية التوحيد والعقيدة الصحيحة؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- يعلم أن أساس الدعوة هي التوحيد، وأول الدعوة هو التوحيد والدعوة إلى العقيدة الصحيحة.

والقرآن كله من أوله إلى آخره إنما هو حديث عن التوحيد وثمراته وصُوره ووسائله وأساليبه وجزاء أهله ولوازمه وشروطه، وحديثٌ عن الشرك ووسائله وصوره وثمراته وجزاء أهله، والسنة إنما هي تطبيقات عملية لذلك وشروحات مفصلة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف:١٥٨]

وثالث هذه القضايا التي تكشف لنا -أيها الإخوة- جانبًا من معالم هذا المنهج النبوي في تربية الأمة وتزكيتها: أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- كان إذا أمر الأمة بأمرٍ أو نهاهم عن أمر كان هو أول الممتثلين للأمر والنهي عليه الصلاة والسلام؛ امتثالًا لقول الله -عز وجل- فيما قَصَّه علينا على لسان شُعيب -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:٨٨].

وكان النبي –عليه الصلاة والسلام– قرآنا يمشي على الأرض كما وصفته عائشة –رضي الله عنها–: «**كان خُلُقَهُ القرآن**». والنبي –عليه الصلاة والسلام– يعلم يقينًا أن التربية بالقدوة من أعظم وسائل التأثير في العقول والقلوب؛ ولذلك تأثَّر الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– بقدوتهم –عليه الصلاة والسلام– أيَّما أثر وأعظم الأثر.

فيا ليت المربّين والموجِّهين يفهمون هذه القضية حق الفهم ويَعُوها حق الوعي. يا ليتهم يعلمون أن من أعظم أسباب إعراض ثُلة من الناس عن التمسك بالدين هو ما يرونه من قدوات سيئة ونماذج مع الأسف يخالف فِعلها قولها، بعيدة عن هَدي المصطفى –صلى الله عليه وسلم–.

ورابع هذه القضايا التي تكشف لنا جانبًا من معالم المنهج النبوي في تربية الأمة وتزكيتها: أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– كان يحرص دائمًا حرصًا عظيمًا أكيدًا على أن يربط الأمة كلها برباط الأُخوة الإيمانية الصادقة؛ تحقيقًا لقول ربنا –سبحانه وتعالى–: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[الحجرات:١٠]،ولعلمه –صلى الله عليه وسلم– أنه لن يزيل العداوات والشحناء والبغضاء والتفرق والعصبيات والتحزبات المرزولة والأنانية وحُب الذات وحُب المادة والأثرة، لن يزيل ذلك كله من النفوس إلا إخوة إيمانية صادقة قوية راسخة.

ولذلك ربَّى الصحابة على هذا الأمر العظيم، وربط بين المهاجرين والأنصار برباط الأخوة؛ فجاءت صور مشرقة، ونماذج مُنيفة عالية سامقة، لم يسمع التاريخ بمثلها ولا بقريب منها. وكانوا كما قال الله –عز وجل–:﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾[الفتح:٢٩]، وقال: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة:٥٤].

فالأمة إذا تربت على هذا الخُلق العظيم، خُلق الأخوة الإيمانية الصادقة يُنزِل الله نصره وتأييده وتمكينه. وإذا تربت على التفرق والتنازع والشحناء والبغضاء والتفاخر بالأحساب والأنساب والعصبيات، وغير ذلك؛ فإن الله يرسل بالآيات تخويفًا وتحذيرًا.

تِلكم –أيها الإخوة– يا عباد الله، يا أمة الإسلام، تِلكم بعض السمات والقضايا الكبرى التي تكشف لنا جانبًا من معالم هذا المنهج النبوي العظيم في تزكية الأمة وتربيتها، أحببتُ أن أُذكِّر بها نفسي وإخواني في هذا المجمع المبارك، في هذا اليوم العظيم يوم الجمعة، في هذا المكان العظيم المبارك؛ لعل الله أن يصلح أحوالنا. ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[آل عمران:١١٠].

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين. اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل الدين، بقوتك يا قوي يا عزيز. اللهم أصلح أئمتنا وولاة

أمورنا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفقهم لما تحب وترضى، وأجرِ الخير على أيديهم يا رب العالمين. اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعفُ عنّا، وارزقنا واجبرنا، وارفعنا ولا تضعنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وكن معنا ولا تكن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وانصرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، وانصرنا على من بغى علينا. اللهم لا تُشمت بنا عدوًا ولا حاسدًا، اللهم لا تُشمت بنا عدوًا ولا حاسدًا، اللهم لا تُشمت بنا عدوًا ولا حاسدًا. ربنا تقبل توبتنا واغسل حوبتنا واهدِ قلوبنا وثبت حُجتنا، وسدد ألسنتنا، واسْلل سخائم صدورنا برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

٣- خطبة صلاة الخسوف ١٣ رجب ١٤٣٢هـ

بعنوان: الفتن وطرق الوقاية منها

الْحَمْد لله، نَحْمَدُه وَنَسْتَعِينُه وَنَسْتَغْفِره، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَسَيِّئَات أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِل لَهُ، وَمَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَد أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْده وَرَسُوله، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْواجِهِ وذُرِّيَّاتِهِ الطَّيبين الطَّاهرين، وسَائر صَحَابتِهِ الكِرَام والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعد:

فإنه لم يحصل خسوف ولا كسوف في عهد النبوة طيلة ثلاث وعشرين سنة إلا في آخر حياته صلى الله عليه وآله وسلم، حينما كسفت الشمس، فخرج من بيته -صلى الله عليه وآله وسلم- فزعًا مذعورًا يجر رداءه، ثم صلى بالناس صلاة طويلة مهيبة، رأى فيها الجنة والنار.

ثم خطبهم -عليه الصلاة والسلام- خطبة بليغة عظيمة، ومما بيَّن فيها -عليه الصلاة والسلام-: أن الحكمة من الخسوف والكسوف هي تخويف الله -عز وجل- لعباده، وتحذيره لهم، كما قال -عز وجل-: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[الإسراء:٥٩].

ثم أمرهم -صلى الله عليه وآله وسلم- أن يُكثروا من الصلاة والاستغفار والتوبة والتضرع إليه سبحانه، والصدقة والعِتاق؛ لأن هذه الأمور هي التي تُنَجِّي من عذاب الله بإذن الله -عز وجل-، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:٤٣]. وقال سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:٦٤].

أيها الإخوة، يأتي خسوف القمر في هذه الليلة متميزًا عن غيره من المرات السابقة؛ فهو أطول خسوف منذ أربعين سنة كما قال ذلك المختصون، ثم إنه يأتي في وقت تمر فيه الأمة الإسلامية بأخطر منعطفاتها في تاريخها المعاصر.

ولا يشك العقلاء أن ما أصاب أُمتنا من أحداث شرقًا وغربًا أن ذلك الفتن العِظام التي تدع الحليم حيرانًا مندهشًا؛ لكثرتها وتتابعها وتسارعها وتنوعها. ولعل الذي أصاب الأمة من هذه الغمة أن ينجلي وينكشف عاجلًا وقريبًا -بإذن الله- كما سينجلي خسوف القمر، وإن طال.

أيها المسلمون، لقد حذرنا النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- من الفتن وأنواعها ما ظهر منها وما بطن، فقد حذرنا -عليه الصلاة والسلام- من فتنٍ كبار وصغار، وفتنٍ عامة وخاصة، وفتنٍ كقطع الليل المظلم؛ يُصبح الرجل مؤمنًا فيها ويمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرض من الدنيا قليل.

وحذرنا -صلى الله عليه وآله وسلم- من فتنٍ تموج كموج البحر، ومن فتنٍ لا تدع بيتًا من البيوت إلا دخلته، ومن فتنٍ تُعْرَكُ الْأُمَّةُ فِيهَا عَرْكَ الْأَدِيمِ، ومن فتن التنازع والاختلاف وقبض العلماء وموتهم وانتشار الجهل، وغير ذلك من أنواع الفتن العظيمة. ومن فتن القتل، وسفك الدماء والهرج حتى لا يدري القاتل لم قَتل، ولا يدري المقتول فيما قُتل.

وحذّرنا أيضًا -عليه الصلاة والسلام- من أعظم أنواع الفتنة وأشدها خطرًا؛ ألا وهي الفتنة الكبرى والبَلَية العظمى فتنة المسيح الدجال. حذرنا -عليه الصلاة والسلام- من كل أنواع هذه الفتن وبيَّنها لنا، فقد قام -صلى الله عليه وآله وسلم- كما صحَّ عنه، قام في الناس يومًا خطيبًا من بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر، ومن بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ومن بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب، ولم يدع -صلى الله عليه وآله وسلم- فتنة فيما بينه وبين قيام الساعة إلا ذكرها ووصفها، وذكر أسماء أصحابها وعلاماتهم، حَفِظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه.

ومن أراد التفصيل في هذه الفتن وأنواعها، فليراجع دواوين السنة المتكاثرة، وليس هذا هو الذي يعنينا الآن -أيها الإخوة- في هذا المقام؛ إنما الذي يعنينا أن نتعرف المنهج الصحيح في التعامل مع هذه الفتن، وأن نعرف الوسائل والسُّبل التي تُنجينا بإذن الله -عز وجل- من هذه الفتن، ما ظهر منها وما بطن، والتي تتوالى على الأمة من كل حدبٍ وصوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وسأذكر -أيها الإخوة- في هذه الدقائق بعضًا من هذه الوسائل التي تُنجينا بإذن الله -عز وجل- من شرور الفتن وأخطارها المدْلَهِمة؛ أول هذه الوسائل وأهمها وأعظمها:

الاعتصام بالكتاب والسنة: وذلك بالعمل بهما، وتطبيقهما، والتحاكم إليهما، والرجوع إليهما، والرد إليهما في كل أمر وفي كل تنازع واختلاف. ففي الكتاب والسنة يا مسلمون الخير التام، والعلم التام، والنور التام، والهدى التام، وفيهما العصمة والنجاة من كل بلاء وشر.

يقول الله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:٥٧]، ويقول سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)﴾[المائدة:١٥-١٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران:١٠١]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنفال:٢٤-٢٥].

وصحَّ عنه –صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم– أنه قال: «**إنه من يَعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسُنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضُّوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**». والنصوص –أيها الإخوة– في هذا الأمر وفي هذا المعنى كثيرة جدًا.

وثاني هذه الوسائل التي تُنجي بإذن الله –عز وجل– من شرور الفتن وأخطارها المدلهمة: لزوم العبادة والتقوى والصبر، هذه الأمور العظيمة التي يفرط فيها كثير من الناس في أيام الفتن والمحن واختلاط الأمور. العبادة –أيها الإخوة– صلة العبد بينه وبين ربه؛ العبد أحوج ما يكون إلى ربه في كل وقت وفي كل حين، وبخاصة في أوقات الفتن والمحن واختلاط الأمور وتشابك الأحداث. يقول الله –عز وجل–: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾ [الطلاق:٢]، يعني من كل شدة وفتنة وقعت بالناس.

ويقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**﴾[الأنفال:٢٩]، يعني يجعل لكم نورًا وفرقانًا تُفرِّقون فيه بين الحق والباطل. وثبت عنه –صلى الله عليه وآله وسلم– أنه قال: «**العبادة في الهَرج كهجرة إليَّ**»، يعني: العبادة في أوقات الفتن والمحن واختلاط الأمور تُعد كهجرة إليه صلى الله عليه وآله وسلم.

وثالث هذه الأمور –أيها الإخوة– التي تنجي بإذن الله– عز وجل– من الفتن وشرورها: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، والحذر كل الحذر من الخروج على ولاة الأمر ومخالفة إجماع علماء الأمة الربانيين الراسخين. أيها الإخوة، إن من أهم الوسائل التي تُنجي بإذن الله– عز وجل– من الفتن وشرورها أن يلزم الإنسان الجماعة، ويحذر من الفُرقة والنزاع، وأن يحرص الإنسان على وحدة الصف واجتماع الكلمة على ولاة الأمر وعلماء الأمة، وأن يحذر كل الحذر أن يكون داعية شر وفتنة وبلاء وخروج ومظاهرات وزعزعة للأمن والاستقرار.

يا مسلمون، لأن يكون الإنسان ذَنَباً في الحق والجماعة خيرٌ له وأسلم عند الله من أن يكون رأسًا في الباطل والفتنة والشر. خير له وأسلم عند الله من أن يكون مُفتَتِح باب ضلالة وسفك للدماء وإزهاق الأرواح البريئة.

وفي هذا المعنى أيها الإخوة، يقول الله– عز وجل–: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[النساء:٥٩]، ويقول سبحانه: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[النساء:١١٥].

وثبت عنه –صلى الله عليه وآله وسلم– أنه قال كما في مسند أحمد بسند حسن: «**الجماعة رحمة والفُرقة عذاب**». وثبت عنه –صلى الله عليه وآله وسلم– في الصحيح أنه قال: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه؛ فإنه ليس أحدٌ يُفارق الجماعة شبراً فيموت، إلا مات ميتة جاهلية.**»

ورابع هذه الأمور –أيها الإخوة– التي تنجي بإذن الله– عز وجل– من شرور الفتن وأخطارها المدلهمة: ضرورة التشاور، وتبادل الآراء، والرجوع إلى ولاة الأمر وعلماء الأمة عند حصول الأحداث ونزول الفتن. وضرورة التأني

والتروي والتثبت والتمهل والتأكد من الأخبار وغيرها، وأن يحذر الإنسان كل الحذر من العجلة والطيش والتهور والتسرع وتصديق الأخبار الكاذبة والإشاعات المغرضة.

يقول الله- عز وجل- في هذا المعنى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]. ويقول أيضًا –سبحانه وتعالى-: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[الروم:٦٠]،ويقول سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩]، ويقول: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:٣٨].

وقد طبَّق النبي –عليه الصلاة والسلام- هذا المبدأ العظيم في حياته عليه الصلاة والسلام؛ فقد كان –صلى الله عليه وآله وسلم- وهو المؤيَّد بالوحي الإلهي، كان كثير المشاورة لأصحابه؛ شاورهم في بدر، شاورهم في أُحد، شاورهم في الخندق، شاورهم في مواطن كثيرة.

وهذا عمر –رضي الله عنه- الفاروق، المحدَّث الملهم، لم تكن تنزل به نازلة أو تعترضه مسألة إلا جمع لها المهاجرين والأنصار. واقرءوا التاريخ –إن شئتم-؛ لكي تعرفوا أن الإعراض عن التشاور وأن العجلة والطيش والتهور والاستبداد بالرأي، أنَّ ذلك من أعظم أسباب حصول الفتن العظيمة التي عصفت بأمتنا، كفتنة ابن الأشعث المشهورة المعروفة وكان منها ما كان من آثار سلبية على الأمة، وكفتنة هجوم التتار على بلاد المسلمين وسبب ذلك، وغير ذلك –أيها الإخوة- من النماذج في التاريخ.

أيها المسلمون هذه بعض الوسائل والسبل التي تُنجي بإذن الله–عز وجل- من الفتن وشرورها وأخطارها المدلهمة. وهذه الجمل التي ذكرتها تحتاج إلى بَسطٍ وشرح طويل، لكن ما ذكرته فيه كفاية وتذكير وذكرى، وما تركته من وسائل وسُبل أكثر وأكثر. فالله- عز وجل- نسأله –سبحانه وتعالى- أن يمن علينا بإصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين.. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين. اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشدًا تُعِز فيه أهل طاعتك، وتهدي فيه أهل معصيتك.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفق عبدك خادم الحرمين لما تحب وترضى. ووفق نائبيه لكل خير يا رب العالمين، اللهم ألبسهم لباس الصحة والعافية، اللهم ألبسهم لباس الصحة والعافية، واجعلهم يا ربنا يا إله العالمين مفاتيح للخير، مغاليق للشر برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أصلح جميع قادة المسلمين، اللهم أصلح جميع قادة المسلمين، اللهم أصلحهم واجعلهم رحمة على رعاياهم وشعوبهم يا رب العالمين. اللهم إنا نسألك خشيتك في السر والعلانية. والقصد في الغنى والفقر، وكلمة الحق في الرضا والغضب.

اللهم إنا نسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع. ونسألك الرضا بعد القضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك؛ في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين. اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وزدنا ولا تنقصنا، وكن معنا ولا تكن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وانصرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من بغى علينا، وانصرنا على من عادانا. اللهم لا تُشمت بنا عدواً ولا حاسدًا، اللهم لا تُشمت بنا عدواً ولا حاسدًا.

ربنا تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، واهدِ قلوبنا، وثبِّت حُجتنا، وسَدِّد ألسنتنا، واسلل سخائم صدورنا، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللهم إذا أردت بخلقك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

٤- خطبة صلاة الكسوف ٢٩ ذو الحجة ١٤٣٤هـ

بعنوان تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى

الْحَمْد لله، نَحْمَدُه وَنَسْتَعِينُه وَنَسْتَغْفِره، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَسَيِّئَات أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه الله فَلَا مُضِل لَهُ، وَمَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَد أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْده وَرَسُوله، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وَأزْواجِهِ وذُرْيَّاتِهِ الطَّيِّبين الطَّاهرين، وسَائر أَصْحَابِهِ الكِرَام الأبْرَارِ الأطْهَار، والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ. أمَّا بَعد:

أمة الإسلام، فقد كسفت الشمس في آخر حياته -صلى الله عليه وآله وسلم- في يومٍ شديد الحر، فخرج من بيته -عليه الصلاة والسلام- فزعًا مذعورًا يجر رداءه، فصلى بالناس صلاة طويلة رأى فيها الجنة والنار، ورأى فيها عمرو بن لُحي يجر قُصْبه في جهنم، ورأى المرأة التي حبست الهرة.

ثم خطب فيهم -عليه الصلاة والسلام- خطبة عظيمة بليغة، بيَّن فيها -عليه الصلاة والسلام- أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته؛ إنما يُخَوِّف الله بهما عباده وينذرهم بهما لعلهم يرجعون ويَذَّكرون ويتوبون.

وبيَّن أيضًا -عليه الصلاة والسلام- أن الواجب حين حصول الكسوف هو التوجه إلى الله- عز وجل- والعودة إليه والتوبة والاستغفار والصدقة والصلاة والدعاء والعتاق حتى يكشف الله هذا البلاء ويزيل هذه الغمة.

وبيَّن أيضًا -عليه الصلاة والسلام- خطورة بعض الذنوب؛ كالشرك والزنا والظلم، في إشارةٍ منه -عليه الصلاة والسلام- إلى أن الذنوب والمعاصي هي سبب كل بلاء وشر وفساد أصاب العالم العُلوي والسفلي، وما نزل بلاء إلا بذنب ولا رُفع إلا بتوبة. قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم:٤١]، وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[الشورى:٣٠].

أمة الإسلام، إن الأمة المسلمة اليوم تعيش أعنف تحدٍ لها، وأخطر منعطف في تاريخها؛ يتمثل ذلك في محاولات الأعداء الجادة تحريف وتبديل حقائق الدين، وتغيير معالمه وأخلاقه ومقوماته. ويتمثل ذلك كذلك في الضعف العام في الأمة في علاقتها بربها-سبحانه وتعالى- وعلاقتها بدينه، وفي الركود العلمي والحضاري، وفي التفرق والنزاعات والصراعات والخلافات التي تصطلي بنارها الأجيال المعاصرة.

ولن يُعيد للأمة عزها ومجدها وكرامتها وهيبتها، ولن ينتشلها من هذه الوهدة العلمية والحضارية إلا بأن تعود إلى ربها –سبحانه وتعالى–، إلا بأن تعود الأمة كلها حُكَّامُها ومحكوموها إلى ربهم –سبحانه وتعالى– عودة صادقة خالصة. هذه العودة المباركة الصادقة هي طوق النجاة بإذن الله، والسبيل الأوحد للعزة والنصر والتمكين للأمة في الأرض.

وإن من معالم هذه العودة الصادقة للمباركة التي نرجوها؛ تحقيق أصلين عظيمين جليلين هما قِوام الدين وأساسه المتين وركنه الركين، لا يقبل الله من عبدٍ صرفاً ولا عدلًا حتى يأتي بهما، وما دخل الضعف والنقص والشر والفساد على الأمة إلا حينما فرّطت فيهما وأخلَّت بهما، هذان الأصلان العظيمان الجليلان هما:

ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، وألا نعبده سبحانه إلا بما شرع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فبالأصل الأول نُحقق التوحيد والإخلاص لله الذي هو روح العمل وأساسه. وبالأصل الثاني نحقق المتابعة للنبي –صلى الله عليه وآله وسلم– التي تصحح العمل وتُباركه، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أعظم أركان الإسلام، وهذا هو معنى قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾[الفاتحة:٥-٦].

والعبادة هنا –أيها الإخوة– بمفهومها العام الشامل لجميع مجالات الحياة وشؤونها بلا استثناء. وقد دلَّت –أيها الإخوة– على هذين الأصلين العظيمين نصوص متكاثرة متوافرة في القرآن والسنة؛ كقوله –سبحانه وتعالى–:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤]، وقوله –سُبحانَهُ وتَعالَى–: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]، قوله –عزَّ وجَل–: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)﴾[يس:٦٠-٦١]، وكقوله –سُبحانَهُ وتَعالَى–: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر:٧].

وقوله –عزَّ وجَل–: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣]، وقوله: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥]، وقوله –صَلَّى اللهُ عَليهِ وَآله وسَلَّم–: «عَليكُم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأُمورِ»، وهناك نصوصٌ كثيرة جدًا في القرآن والسنة وكلام الصحابة –رَضِيَ اللهُ تعالى عنهُم– في تحقيق هذين الأصلين.

أمة الإسلام، إن هذين الأصلين العظيمين الجليلين؛ ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبده إلا بما شرع رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآله وسَلَّم، كفيلان –بإذن الله- بكل عناصر القوة والنصر والعزة والتمكين للأمة، ويضمنان –بإذن الله- كل وسائل السعادة والفلاح والحضارة والرقي والتقدم للأمة، وتاريخنا من أكبر الشواهد على هذا الأمر، ولا يُنكر ذلك إلا مُكابرٌ صاحب هوى.

إن هذين الأصلين العظيمين الجليلين؛ ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، وألا نعبده إلا بما شرع رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآله وسَلَّم هُما الحماية الكبرى والوقاية العُظمى من تحريف الدين وتبديل كُلِّياته، وتمييع مفهوماته المقررة، حمايةٌ ووقاية من تخليطات العقائد الباطلة والأفكار الضالة المنحرفة، والبدع والخرافات.

حماية ووقاية من محاولات الأعداء إغراق الأمة في أتون الشهوات ولهيب الشبهات، حماية ووقاية من تسلط الأعداء على الأمة بسبب تفرقها ونزاعها وصراعاتها التي تعصف بوحدتها، واجتماع كلمتها وأُلفتها وتآلفها.

أمة الإسلام، إن كل المخالفات والانحرافات التي تقع من البشرية اليوم شرقًا وغربًا، وما ينتج عنها من فسادٍ وبلاءٍ في البر والبحر؛ إنما ذلك كله بسبب مخالفة هذين الأصلين العظيمين. فكل بلاء –يا إخوة- يا مُسلمون، كل بلاءٍ وشرٍ وفسادٍ طَرَقَ العالم، فبسبب مخالفة المنهج الرباني الذي يقوم أساسه وعماده على هذين الأصلين العظيمين الجليلين. فهذه دعوة صادقة أيها الإخوة.

يا أمة الإسلام، هذه دعوة صادقة في هذا اليوم الذي لعله آخر أيام السنة، والذي كسفت فيه الشمس وربنا– سبحانه وتعالى- يستعتبنا فيه ويخوفنا وينذرنا. فهل نُعْتِبه سبحانه؟ هل نُعْتِبه عز وجل؟ وهل نعود إليه –عز وجل- بتحقيق هذين الأصلين العظيمين الجليلين؛ فلا نعبد إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبده سبحانه إلا بما شرع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم دون زيادة ولا نقصان، فيكون توجه الأمة كلها وقصدها إلى الله وحده لا شريك له، لا تلتفت يمنة ولا يسرة.

ويكون منهج الأمة كلها هو منهج محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام. نغلق كل الأبواب إلى ربنا إلا باب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ونغلق كل الطرق إليه سبحانه إلا طريق محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إننا إذا فعلنا ذلك يا أمة الإسلام، وحققنا هذين الأصلين، وتُبنا إلى ربنا ورجعنا إليه وعدنا إليه، فكم هي الأمراض والآفات والشهوات والشبهات والنزاعات والصراعات والخلافات والأفكار الضالة المنحرفة والعقائد الباطلة التي سوف تتهاوى أمام هذين الأصلين العظيمين؟! وماذا سيُنزل الله سبحانه وتعالى علينا إذا حققنا هذين الأصلين؟ ماذا سينزل الله علينا من ألوان العزة والنصر والتمكين والكرامة والهيبة.

هذه دعوة صادقة يا أمة الإسلام، في هذا اليوم الذي كسفت فيه الشمس، ونحن مُتفائلون بإذن الله أن يكون كسوفها إيذانًا بكسوف الشر وزواله عن هذه الأمة المباركة، أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

هذه دعوة صادقة من بيت الله الحرام، من مهبط الوحي أن نُربي أنفسنا ونربي أُمتنا على توحيد العبادة والقصد، وتوحيد مصدر التلقي والاستدلال؛ فلا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبده إلا بما شرع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، بدون زيادة ولا نقصان. هذا هو أساس عز الأمة ومجدها وكرامتها وهيبتها وحضارتها في ماضيها وفي حاضرها وفي مستقبلها بإذن سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٥٤) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)﴾[النور: ٥١-٥٧].

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين. اللهم أهلك أعداءك أعداء الدين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين. اللهم انصر من نصر الدين، واخذُل من خذل الدين. اللهم أصلح أحوال المسلمين في مكان، اللهم أصلح أحوال إخواني المسلمين في سوريا وفي مصر وفي العراق وفي أراكان وفي كل مكان يا رب العالمين، اللهم كن معهم ولا تكن عليهم، وانصرهم ولا تنصر عليهم، بقوتك يا قوي يا عزيز. اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمور، ووفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه، وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه، ووفق ولي عهده ونائبه لكل خير يا رب العالمين. اللهم أجرِ الخير على أيديهم، اللهم اجعلهم مفاتيح للخير، مغاليق للشر برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعفُ عنا، وارزقنا واجبرنا، اللهم اغفر لنا هزلنا وجدنا، وخطأنا وعمدنا، وكل ذلك عندنا. اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلما كثيرًا، اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كبيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت؛ فاغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا، ورحمتك أرجى من عملنا.

اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا، ورحمتك من عملنا، اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى من عملنا، فاغفر لنا يا ربنا في هذا اليوم، اغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا؛ إنك أنت الغفور الرحيم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خامساً: بعض خُطب الجمعة

التي أُلقيت خارج المسجد الحرام

١- خطبة الجمعة من جامع القاضي بالرياض

١١- ٦-١٤٣٥هـ

إنَّ الحَمْد لله، نَحْمَدُه وَنَسْتَعِينُه وَنَسْتَغْفِره، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه الله فَلَا مُضِل لَهُ، وَمَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَد أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُوله، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّاتِهِ الطَّيبين الطَّاهرين، وسَائر صَحَابتِهِ الكِرَام الأَبْرَارِ الأَطْهَار، والتَّابعِينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ. أمَّا بَعد:

فاتقوا الله عباد الله في السر والعلانية، واعلموا أن تقوى الله -عز وجل- هي أفضل الزاد في طريق السفر إلى الله -سبحانه وتعالى-، وإنه ليس من يقطع الطرق البطلَ، إنما من يتق الله البطل، ولستُ أرى جمع مال، ولكن التقي هو السعيد.

أيها المسلمون، ما أعطى الله -سبحانه وتعالى- البشرية جمعاء نعمة بعد الإسلام أعظم وأفضل وأسدى من نعمة القرآن؛ الذي ما أنزل الله مثله أبدًا ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ**﴾[الزمر:٢٣].

فهذا القرآن العظيم أفضل كتابٍ وأسدى كلام، هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، هو الفصل ليس بالهزل، فيه خبرُ ما قبله ونبأ ما بعده ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)**﴾[المائدة:١٥-١٦]. وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا**﴾[النساء:١٧٤].

أيها المسلمون، إن هذا القرآن العظيم بركة كُله، وخيرٌ كله، يُفيض على أهله ألوان من الخيرات والبركات في دينهم ودنياهم وأُخراهم. إن لهذا القرآن العظيم أثراً بالغًا في قلوب وعقول من قرأه وعَمل به. وإن مما يدلنا -أيها الإخوة- على مدى عظيم أثر هذا القرآن الكريم أن ننظر في هذا الجيل المبارك، جيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم؛ ذلك الجيل الفريد الذين رباهم النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بالقرآن، رباهم بالقرآن، نقلهم القرآن نقلة بعيدة، وأعاد القرآن صياغة عقولهم وقلوبهم وتصوراتهم وأفكارهم صياغة جديدة، وصبغهم بصبغة الله التي لا أحسن منها ولا أفضل ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً**﴾[البقرة:١٣٨].

أيها المسلمون، بحث العلماء -رحمة الله تعالى عليهم- مسألة إعجاز القرآن وكيف يكون، أين يكمن إعجاز القرآن؟ فمنهم من حصره في النظم والبلاغة والبيان والفصاحة، ومنهم من أشار إلى أن إعجاز القرآن يكمن في المكتشفات العلمية وتصديق القرآن لها، ومنهم من حضر إعجاز القرآن في تشريعاته العظيمة وأحكامه البليغة، ومنهم من أشار إلى أن إعجاز القرآن يكمن في إخباره بالمغيبات وأمور المستقبل.

والحق -أيها المسلمون- أن الإعجاز القرآني يشمل ذلك كله، وأن كل هذه الوجوه هي من إعجاز القرآن، كما أشار إلى ذلك وبيَّنه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في عدد من كُتبه، ومنها كتابه العظيم [الْجَوَابُ الصَّحِيحُ لِمَنْ بَدَّلَ دِينَ الْمَسِيحِ]، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم.

بيد أنَّ هناك وجهًا آخرًا -أيها المسلمون- من أوجه إعجاز القرآن هو من أجَلِّها قدرًا وأعظمها وأفخمها؛ وهو قدرة القرآن الفائقة على التغيير، قدرة القرآن المذهلة الهائلة الفَذَّة العجيبة على التغيير، تغيير أي إنسان من أي حالة يكون فيها، ليتحول من خلال القرآن إلى إنسان آخر، إنسان دبَّت فيه الحياة من جديد، إنسان نفخ فيه القرآن روحًا جديدة، وأنار له قلبه بنور الله -عز وجل-؛ فأصبح يمشي في الناس بنور الله -سبحانه وتعالى-.

ولذلك كان من أعظم أوصاف القرآن العظيم التي وصفها الله تعالى بها في كتابه: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾[الشورى:٥٢]، وصفه الله بأنه روح، وأنه نور؛ القرآن روح، القرآن نور، وقد أكد ذلك النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في الحديث الذي رواه مسلم قال: قال -عليه الصلاة والسلام-: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا وقَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُه وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، وإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

القرآن روح، القرآن نور. يتغير الإنسان بالقرآن تغيراً كاملًا، يتغير الإنسان بالقرآن تغيراً جذرياً؛ فيَصْلُح عقله وفِكره، وتصلح نفسه وروحه، ويصلح قلبه ووجدانه، وتصلح أعضاءه وجوارحه.

إن هذا القرآن -أيها الإخوة- يا مسلمون، إن هذا القرآن يعيد تشكيل العقل البشري من جديد، فيزيل كل الأفكار الخاطئة والتصورات المغلوطة والعقائد الباطلة، ويضع محلها ومكانها الأفكار الصحيحة والتصورات السليمة الواضحة، والعقائد الحقة الصادقة، وينفخ فيه روحًا من جديد، ويُنير له عقله من جديد بنور الله-سبحانه وتعالى-، فينتج هذا العقل البشري كل مفيد للبشرية.

ويجيب القرآن عن كثير من تساؤلات هذا العقل البشري التائب الحائر، ويضع لها أجوبةً وجواباً من الله-سبحانه وتعالى-. إن هذا القرآن العظيم ينقل القلب من المرض إلى الصحة، بل من الموت إلى الحياة، ينقل القلب من الهم والغم والحزن والقلق إلى الفرح والسرور والحبور والراحة والرَّوح.

ينقل القلب من سجن الهوى والشهوات إلى فضاء العفاف والنقاء والطُّهر، ينقل القلب من ظلمة المعاصي والشكوك والشبهات إلى ألوان الطاعات والاستقامة واليقين والرضا ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾[يونس:٥٧-٥٨]. فضل الله ورحمته القرآن، فبذلك فليفرحوا يعني بالقرآن، فليفرحوا بالقرآن هو خيرٌ مما يجمعون.

إن هذا القرآن العظيم ينفخ في القلوب الميتة، ويُنير العقول المظلمة، ويُذيب قسوة القلوب والأفئدة القاسية؛ فتتفق وتسري إليها الحياة من جديد ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ [الأنعام:١٢٢] يعني بالقرآن، أحسسناه بالقرآن.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:١٢٢]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول ما تسمعون، واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه والتابعين، وبعد...

أيها المسلمون، إن الحديث عن طريقة القرآن وأثره في النفوس وتغييره لها، حديثٌ طويلٌ تقسيمًا وتفريعًا وتطبيقًا. والحقيقة التي أقولها لكم أيها المسلمون، ويجب أن نفهمها حق الفهم ونعيها حق الوعي أن هذا القرآن العظيم لن يُحْدِث في النفس البشرية التغيير المطلوب والأثر المنشود، ولا يمكن أن يفتح للعبد كنوزه وخيراته وبركاته ونفحاته إلا بعدد من الوسائل المهمة جدًا، وبدون هذه الوسائل لا يُمكن للعبد أبداً أن يصل إلى هُدى القرآن والانتفاع به والتأثر به.

وسأذكر بعضًا من هذه الوسائل باختصارٍ شديد:

أولًا/ الإرادة الإلهية والتوفيق الرباني: فمن يُرِد الله –عزَّ وَجَل– أن يُطهِّر قلبه بالقرآن ويُزَكِّيَه ويهديه، طَهَّر وزَكَّاهُ وحده ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة:٤١]، وهذا يستوجب منّا –أيها المسلمون– أن نُكثر من الدعاء، وأن نُلح على الله –سبحانه وتعالى– أن يهدي قلوبنا بالقرآن وينورها ويطهرها في القرآن.

ثانياً/ إرادةٌ جازمةٌ صادقةٌ لإصلاح نفسه بالقرآن، وتغييرها بالقرآن والانتفاع بالقرآن والتأثر به، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد:٢١].

ثالثًا/ البعد كل البعد عن المعاصي والمخالفات والمحرمات؛ فإن هذه من أعظم الحُجب التي تحجبك عن الله –سبحانه وتعالى–، وتحجبك عن الانتفاع بالقرآن والاهتداء بهديه والتأثر به، يقول ربنا –عزَّ وَجَل–: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾[فصلت:٤٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[الإسراء:٤٥-٤٦].

رابعًا/ الإقبال على القرآن إقبالًا كُليًا وعدم السماح لأي رافدٍ آخر أو وسيلة أخرى أن تُشارك القرآن في الانتفاع والامتناع والاهتداء والتأثر: القرآن يا مسلمون، لا يقبل المشاركة، ولا يقبل المنازعة أبدًا. يقول الله –عزَّ

وجَل-: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:٣]، ورأى النبي -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم- في يد عُمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عنهُ- صحيفةً من التوراة، فغضب -عليه الصَّلاةُ والسَّلام- غضبًا شديدًا، وقال: «أَمُتَهوكون أنتم يا ابن الْخَطَّابِ؟ واللهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، واللهِ لَوْ كانَ مُوسَى حَيًّا ما وَسِعَهُ إِلَّا اتِّباعي».

خامسًا/ التدبر والتأمل والتفكر في آياته ومواعظه وهدايته؛ إن هذا التدبر والتفكر والتأمل في آيات القرآن ومواعظه من أعظم الوسائل المفيدة في الانتفاع بالقرآن والتأثر به والاهتداء به. يقول الله -عزَّ وجَل-: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]، ولكن المشكلة أن كثيرًا من القلوب قد علاها الران وأُقفلت بأقفال الشهوات والشبهات؛ فلذلك لم تنتفع بالقرآن ولم تستفد منه، ولم تهتدِ بهُداهُ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد:٢٤]، يعني: بل على قلوبٍ أقفالها.

سادسًا/ القرآن -أيها الإخوة- رسائل ربانية من البارئ -سُبحانَهُ وتَعَالَى- لعباده، فمن أخذ هذه الرسائل بقوة، من أخذها مأخذ الجِد وقام من فوره بالتطبيق والعمل والتنفيذ؛ انتفع بالقرآن أيما انتفاع، واهتدى بهديه، وتأثر بآياته ومواعظه، يقول الله -عزَّ وجَل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤]. ومن لم يكن كذلك، من لم يأخذ تعاليم القرآن ورسائل الرب -سُبحانَهُ وتَعَالَى- إلى عباده مأخذ الجد ولم يأخذها بقوة وفَرَّط فيها وأهملها؛ فإن القرآن لا يعني بالنسبة لهذا الرجل إلا مجرد ترانيم وتراتيل وأمانيّ كمن يحمل أسفارًا لا ينتفع بها، والوسائلُ في ذلك كثيرة.

ثم صلوا وسلموا على سيد البشرية..... وسراجها المنير؛ فإن الله -عزَّ وجَل- قد أمرنا بالصلاة والسلام عليه، حيث قال في مُحكم التنزيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]، وثبت عنه -صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم- أنه قال: «مَن صلى عَلَيَّ حين يُصْبِحُ عَشْرًا ، وحين يُمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْه شفاعتِي يومَ القيامةِ»، فاللهم صَلِّ وسلم وبارك وأنعِم على نبينا وحبيبنا وسيدنا وقدوتنا محمد، وعلى أزواجه وذرياته الطيبين الطاهرين، وسائر صحابته الكرام الأبرار الأطهار، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين. اللهم اجعل بلدنا هذا بلدا آمنًا مطمئنًا رخاءً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين. اللهم من أراد ببلادنا وعقيدتنا وأمننا بسوءٍ وكيدٍ فارْدُد كيده في نحره وأشغله بنفسه يا رب العالمين. اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفق ولي عهدنا، اللهم وفق ولي أمرنا وولي عهده لما تحب وترضى. اللهم اجعلهم مفاتيح للخير، مغاليق للشر برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعفُ عنا، وارزقنا واجبرنا، وارفعنا ولا تضعنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وكن معنا ولا تكن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثِرنا ولا تُؤثر علينا، وانصرنا على من ظلمنا، اللهم انصرنا على من عادانا، اللهم انصرنا على من قضى علينا، اللهم لا تُشمت بنا عدوًا ولا حاسدًا برحمتك يا أرحم الراحمين.

ربنا تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، واهدِ قلوبنا، وثبِّت حُجتنا، وسدد ألسنتنا، واسلل سخائم صدورنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

٢- خطبة الجمعة من باكستان

٥/٧/١٤٣٦هـ

الحمد لله، نحمده ونسعتينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن مُحمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذرياتهِ الطيبين الطاهرين، وسائر صحابته الكرام الأبرار الأطهار، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. **أما بعد:**

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنه ليس من يقطع طُرقًا بطلا وإنما من يتق الله البطل،

ولست أرى السعادة جمع مالٍ، ... ولكن التقي هو السعيدُ.

أيها المسلمون من أجل معالم هذَا الدين الإسلامي الحنيف، ومحاسنهِ الكُبرى أنه دين التسامح والرحمة واليُسر والإنسانية، فهو للناس كافة للعالمين بشيرًا ونذيرًا، يقومُ جمال الإسلام وبهاؤهُ وتأثيره عَلَى السماحة والعدل والرحمة والأخلاق الراقية؛ التي من أجلها دخل الناس في دين الله أفواجًا، لما فيه من قيمٍ أخلاقية وعقديةٍ وإيمانية عاليةٍ لا مثيل لها.

إن السماحة والتسامح من أجل القيم الإسلامية، وأعمقها أثرًا في النفوس في نفوس الناس جميعًا؛ ولذلك جاءت النصوص الشرعية بالقرآن والسُّنة؛ جاءت متكاثرةً متواترة بالحث عَلَى التخلق بهذا الخُلق الإسلامي النبيل.

وجاءت التطبيقات النبويةُ منه -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- في حياته؛ لتُبين الوجه المشرق لدين الله -سبحانه وتعالى-، واقتبس ذلك الصحابة الكرام والتابعون ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وإلى يومنا هذَا، وإلى يوم القيامة.

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾[البقرة:٢٥٦]، يعني لا تُكرهوا أحدًا في دخول الإسلام ولا تُجبروه؛ لأن الإسلام واضحٌ، واضحُ الدلائل والقيم والأخلاق العالية.

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾[البقرة:١٠٩].

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ**﴾[الجاثية:١٤]، وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ**﴾[البقرة:٢٨٠]. وقال سبحانه: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾[النور:٢٢].

وثبت عنه -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- أنه سُئل: "أي الأديان أحبُ إلى الله؟ فقال -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-: «**الحنيفية السمحة، الحنيفية السمحة**»"، فخصال الدين خصال الدين الإسلامي خصالٌ سهلةٌ سمحةٌ يسيرةٌ هي أحب الدين إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وإلى رسوله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ.

وقال أيضًا -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-: «**رحم الله رجلًا سمحًا إذا با ع وإذا اشترى، وإذا اقتضى**»، وسُئل -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عن الإيمان، ما هو الإيمان؟ فقال -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-: «**الصبرُ والسماحة، الصبرُ والسماحة**».

وقال -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- فيما صح عنه: «**ألا أخبركم بمن يحرُم عَلَى النار؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: كل قريبٍ هينٍ لين، كل قريبٍ هينٍ سهل**»، وقال -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-: «**إن هذَا الدين يُسر، إن هذَا الدين يُسر،إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يشادَّ الدِّينُ إلاَّ غلَبَه فسدِّدُوا وقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا**».

وغير ذلك كثيرٌ من النصوص في القرآن والسُّنة التي تحُثنا على التخلق بهذا الخُلق العظيم؛ التسامح والسماحة والعفو والصفح، والتيسير والتي تُبين كذلك أن السماحة خلقٌ عظيم مطلوبٌ ومقصودٌ في كل جوانب الدين وخصاله؛ سواءٌ كان في العبادات، أو كان في المعاملات، والتعاملات اليومية، أو كان في البيع والشراء، أو في الدَّين والاقتضاء والاستقضاء.

وكذلك في التعاملات اليومية في حياة الإنسان مع كل شرائح المجتمع وطبقات المجتمع بلا استثناء؛ مع الوالدين وهما أول هذه الشرائح وأولاها بالعناية مع الوالدين والزوجة والعيال والأهل والجيران والأصدقاء، والأصدقاء والناس كافة أن يبني الإنسان حياتهُ كلها في تعاملِهِ مع ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وفي تعامله مع الناس جميعًا على هذا الخُلق العظيم، على هذا الخُلق العظيم، ويجعلها تنطلقُ من هذه القيمة الخُلقية النبيلة، من هذه القيمة الخُلقية النبيلة التي هي من أجل صفات المؤمنين الصادقين.

كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في وصف المؤمنين الذين نجاهم الله من العقبة الكأداء في الدُنيا وفي الآخرة، قال سبحانه: ﴿**ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾[البلد:١٧]، فمن أجل صفات المؤمن أنه صاحبُ سماحةٍ وتسامحٍ ورحمةٍ ويُسرٍ وعفوٍ وصفح.

والمؤمن الصادق يُحب الناس ويُحبونه، يألف الناس والناس يألفونه، يُحب الناس والناس يُحبونه، وذلك لسهولته وليونتهِ وسماحتهِ؛ بخلاف الإنسان الفظ الغليظ القاسي المتشدد، فهذا الرجل لا يُحبُ الناس والناس لا يُحبونه، قال

-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩]. وقال -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-: «**المؤمنون هينون لينون**».

أيها المسلمون، المؤمن السمح الهين اللين يعيشُ في سعادةٍ وهناء وراحة بال؛ لأن الله يُحبُ السمحاء الرُفقاء الرحماء فيُحببهم إلى خلقه ويجعل الناس يميلون إليهم ويُحبونهم، ثم إن المؤمن السمح الهين اللين محبوبٌ ومرغوبٌ في التعامل معه في البيع والشراء والتقاضي وجميع أنواع التعاملات؛ قد حاز على ثقة الناس ومحبتهم فأمنوه ورغبوا فيه ومالوا إليه؛ لأنه يُعاملهم بالسماحة، يُعاملهم بالسماحة والرحمة والعفو والتقاضي، والعفو والتغاضي ولين الجانب.

وحتى إذا رأى فيهم مُخالفةً أو منكرًا من القول أو غيره فإنه ينصحهم باللين وبالرحمةِ وبالعطف واللُطف؛ لأنه يُريد الخير لهم، ويُريدُ الإصلاح، ولا يُريد بالنصيحة الفضيحة ولا التشهير ولا نشر الأخطاء والزلات والهفوات.

والمؤمنُ السمح الرحيم الذي تخلق بهذا الخُلق العظيم التسامح والسماحة والرحمة تظهرُ آثار السماحة واللين على صفحات وجهه؛ فتجدهُ مُشرقًا طلقًا، بسامًا بشوشًا قد علاهُ الرضا والحبور بخلاف الرجل الغليظ الشديد القاسي؛ فهو عابسُ الوجه، عابس الوجه مُقطبُ الجبين، شدد على نفسه فشدد الله عليه في حياته؛ فلا يهنأ بعيشهِ وحياته لا هو ولا من حوله من عيالهِ وأهلهِ وغيرهم.

والمؤمن الصادق سمحٌ ورحيمٌ مع العُمال والخدم، ومع أصدقائه جميعًا في العمل، ومع جيرانهِ، بل إنه سمحٌ ولينٌ زهينٌ حتى مع الحيواناتِ أكرم الله السامعين التي لا تفقهُ شيئًا؛ فلذلك أيها الإخوة كانت السماحةُ والتسامح والرحمةُ هي عنوان التوفيق الإلاهي والتسديد الرباني.

أيها المسلمون، طالب العلم الذي يطلب العلم الشرعي هو أولى الناس بخُلق السماحة والرحمة؛ فيكون سمحًا لطيفًا مع شيخهِ ومع زملائه الطُلاب، ويكون سمحًا ومتسامحًا ورحيمًا عند اختلاف الآراء في المسائل العلمية، فيكون سمحًا هينًا في عرض رأيه وفي النقاش، وقبول رأي الآخرين وعدم التعصب لأقوال العلماء.

بل إنه يرى أن كل أئمة الإسلام وعلمائه الكبار مثل الإمام أبي حنيفة النُعمان -رَحِمَهُ اللَّهُ-، والإمام مالك بن أنس -رَحِمَهُ اللَّهُ-، والإمام مُحمد بن إدريس الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ-، والإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ-؛ يرى أن هؤلاء كلهم علماءٌ كبار، وأولياءٌ عِظام مُجتهدون لهم الأجر والثواب عند الله؛ فلا يتعصبُ لأحدٍ منهم ولا يرفضُ رأي العلماء الآخرين وأقوالهم من أجل أنها خالفت مذهب شيخه؛ فليس ذلك من السماحة واللين والسهولة التي أمر الإسلامُ بها.

فالتسامح بين المذاهب الإسلامية، التسامح بين المذاهب الإسلامية والرحمة بينهم، والإنصاف والاعتذار لهم، وحملُ أقوالهم على المحامل الحسنة من أعظم محاسن الإسلام التي حث عليها وأمر بها، ولذلك كان أئمةُ الإسلام

الكبار كالإمام أبي حنيفة، والإمام مالك بن أنس، والإمام الشافعي، والإمام أحمد؛ كلهم يُحب بعضهم بعضًا، ويُجلُ بعضهم بعضًا، ويحترمُ بعضهم بعضًا، ويعرفُ بعضهم قدر بعض، ومنازلهم ومكانتهم، ويُنصفون بعضهم من بعض عند الاختلاف وعند غيره، وكانوا أيضًا يُربون طُلابهم ومن حولهم، يُربوهم على التسامح المذهبي، يُربوهم على التسامح المذهبي والرحمة بينهم.

أما التعصب المذهبيّ والنزاعُ والشقاق والخلاف والبُغض والكراهية من أجل بعض الخلافات في بعض المسائل اليسيرة؛ فليس ذلك من دين الله في شيء، ولا من خُلقِ التسامح والرحمة، وليس ذلك من أخلاق علماء الإسلام الكبار وأئمة المذاهب الأربعة المتبوعة، وغيرهم من علماء الإسلامِ وأئمته الكبار.

وقد أمرنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن نعتصمَ بدين الله، فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣].

أقول ما تسمعون؛ فإن كان حقًا فمن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وإن كان غير ذلك فإني أستغفرُ الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

وبعد أيها المسلمون؛

يُصور أعداء الإسلام في إعلامهم ووسائلهم المختلفة أن الإسلام دينُ العُنف، والإرهاب والتشدد، وهذا كلهُ من الكذب المتعمد، ومن مُحاولة تشويه الإسلام وصورته، وصورته الناصعة المشرقة، إن الإسلام دينُ التسامح والرحمة والسماحة واليُسر والسهولة، ولذلك كان الإسلام أسرع الأديان انتشارًا في العالم وأعظمها قبولًا ومحبةً عند الناس؛ لما رأوا فيه من صور التسامح والرحمة ما لا يوجد في غيره من الأديان.

وإنه لمن المعلوم المتواتر الذي لا يُنكرهُ إلاُ مكابر أن أصحاب الديانات الأخرى من اليهودية والنصرانية والمجوس والصابئة قد عاشوا في ظل حُكم الإسلام قرونًا طويلةً لهم كرامتهم وذمتهم وعهودهم، ولهم الأمن والأمان، ويأخذون حقوقهم كاملةً وافرة، ولا يُعتدى عليهم، ولا يُسمح لأحدٍ بذلك أبدًا.

والذين عاشوا بين المسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم؛ رأوا عدل الإسلام ورحمتهُ وحفظه لهم، رأوا عدل الإسلام ورحمتهُ وحفظهُ لهم وسماهم الإسلام أهل الذمة، سماهم الإسلام أهل الذمة لماذا؟ لأن لهم ذمةً وحقًا في أعناق المسلمين، وقد جعل الفقهاء في كتبهم ومتونهم الفقهية أبوابًا خاصةً في شرح حقوق أهل الذمة، وما لهم من حقوقٍ وواجباتٍ على المسلمين.

إن هذا التعامل الراقي الذي لقيه أصحاب الديانات الأخرى المبني على التسامح والسماحة والرحمة هو الذي جعل الكثير منهم يدخلون في دين الله أفواجًا، ويتأثرون بهذا الخُلق الرفيع للإسلام وأهله؛ فأين الذين يدَّعون ويزعمون أن الإسلام دينُ الإرهاب والعنف والتشدد والتطرف؟!

لقد كان النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- يقوم بدعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويزورهم في بيوتهم ويزور مرضاهم، ويأمر الابن اليهودي أن يبُرَّ أباه اليهودي ويُحسن إليه، وحرَّم النبي -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- الاعتداء عَلَى أهل الذمة من اليهود والنصارى وغيرهم، والمستأمنين من المشركين وغيرهم، وجعل من يعتدي عليهم لا يشمُ رائحة الجنة، وحرم قتلهم وسفك دمائهم والاعتداء عَلَى أعراضهم وأموالهم وكرامتهم، أو ظُلمهم وتكليفهم من العمل ما لا يُطيقون.

ومن سماحة الإسلام مع أصحاب الديانات الأخرى أنه حرَّم قتل النساء والصبيان والأطفال وكبار السن في الحروب والمعارك، وأمر المسلمين أن لا يبدأوا بالقتال حتى يعرضوا الإسلام عَلَى الكُفار، فإن قبلوا الإسلام كفوا عنهم وتركوهم، وإلا فالجزية التي فيها حفظ لدمائهم وأعراضهم وأموالهم؛ فإن لم يقبلوا قاتلهم، وهذا من أعظم صور السماحة والتسامح مع الكُفار.

وقد أمر النبي -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- أصحابه الكرام إذا فتحوا مِصر أمرهم أن يستوصوا بأهلها خيرًا، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**إذا فتحتم مُصرًا فاستوصوا بأهلها خيرًا؛ فإن لهم ذمةً ورحمًا**».

ومن سماحة الإسلام وتسامحه مع أصحاب الديانات الأخرى أن النبي -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- استقبل وفد نصارى نجران، استقبل وفد نصارى نجران في المسجد في مسجدهِ الشريف واستضافهم، بل وسمح لهم أن يُصلوا صلاتهم في مسجدهِ الشريف، وكان رفيقًا بهم ورحيمًا -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-، وربط ثمامة بن أوثال في سارية المسجد وهو مُشرك، ثلاثة أيام ربطه في المسجد وهو مُشرك؛ ليرى ما عليه المسلمون من تسامحٍ ورحمةٍ وسماحة؛ فشاهد من صلاة المسلمين ورحمتهم وتسامحهم معه ما جعله يُعلن إسلامه بعد ثلاثة أيام تأثرًا بهذا الدين العظيم دين الرحمة والتسامح.

وكان له -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- غلامٌ يهوديٌ يخدمه -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-؛ رأى هذَا الغلام من سماحة النبي -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- وطيب مُعاملتهِ وأخلاقه وسماحتهِ ورحمته ما جعله يُسلم في أخر حياته؛ "لما مرض هذَا الغُلام اليهودي زارهُ النبي -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- وعرض عليه الإسلام وقال له: «**أسلم**»، فنظر الغُلام إلى أبيه، فقال الأبُ اليهودي قال له: "أطع أبا القاسم، أطع أبا القاسم"، فأسلم الغُلام، ففرح النبي -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- وخرج وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»".

وقد رأى عُمر -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ وأرضاه- رجلًا يهوديًا من أهل الذمة يسأل الناس عَلَى أبواب المساجد؛ فنظر إليه عُمر نظرة إشفاقٍ ورحمة، وقال له: "**والله ما أنصفناك أن أخذنا منك مالك في شبيبتك، ثم ضيعناك في شيبتك**"، وأمر له بمالٍ من بيت مال المسلمين، يُغنيه حتى يموت.

ومن صور التسامح العظيمة في الإسلام أنه أمر المسلمين لما فتحوا بلاد الكُفار؛ أمرهم أن لا يهموا الكنائس ولا البيَّع ولا الصوامع ويُبقوها كما كانت، ولا يُجبروا اليهود والنصارى عَلَى دخول الإسلام، ولم يُكرهوهم عَلَى ذلك، لا الرُهبان ولا الأحبار ولا غيرهم، بل ترك لهم حُرية الديانة، وحُرية العقيدة والعبادة.

فأين ذلك أيها الإخوة، أيها المسلمون؟ أين ذلك ممن يزعمُ أن الإسلام دينُ الإرهاب ودين العُنف والتطرفِ والتشدد؟! أيها المسلمون لقد جاء الإسلام بكل خير، وسعادةٍ وأمنٍ وأمان للبشرية جمعاء، وهذا الخير والأمن والبركة التي جاء بها الإسلام تشمل أبناء المسلمين فيما بينهم، يجب أن يكون المسلمون فيما بينهم رُحماء كما وصفهم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾[الفتح:٢٩]، متسامحون، يُسامحُ بعضهم بعضًا، ويُعاملُ بعضهم بعضًا بالأخلاق الراقية والرحمة والعفو والصفح.

وكذلك بينهم بين المسلمين وبين غير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى والفِرق الأخرى يجب أن يكونوا على قدرٍ عالٍ من التسامح والسماحة والرحمة، وهذا الأمرُ العظيم من أجلَّ مقاصد الإسلام الكُبرى ومحاسنهِ العُظمى التي لا توجد في غيره من أصحاب الديانات الأخرى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[المتحنة:٨].

ثم صلوا وسلموا على سيد البشرية وهاديها، وسَراجها المنير؛ فإن الله -عَزَّ وَجَلَّ- قد أمرنا بالصلاة والسلام عليه، حيث قال في مُحكم تنزيله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[الأحزاب:٥٦].

وثبت عنه -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- أنه قال: «**من صلى عليَّ حين يُصبح عشرًا، وحين يُمسي عشرًا أدركته شفاعتي يوم القيامة**»، فاللهم صل وسلم وبارك وأنعم عَلَى عبدك ورسولك سيدنا وحبيبنا وقدوتنا مُحمد، وعلى أزواجهِ وآلهِ وذُرياتهِ الطيبين الطاهرين، وعلى سائر صحابتهِ الكرام الأبرار أبي بكرٍ وعُمر وعُثمان وعلي وبقية الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشِرك والمشركين، اللهم أنصر دينك وكتابك وسُّنة نبيك -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- وعبادك المسلمين في كل مكان، اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ

وكيد فأردد كيدهُ في نحره، وأشغلهُ بنفسه، وأجعل تدميرهُ في تدبيره يا رب العالمين، اللهم وفق ولاة أمور المسلمين جميعًا للعمل بكتابك، وتحكيم سُّنة نبيك -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-، اللهم اجعلهم رحمةً عَلَى رعاياهم وشعوبهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم وفق ملك ورئيس هذه البلاد المباركة، بلاد الباكستان، اللهم وفقه ووفق حكومتهُ وقيادتهم لكل خيرٍ يا رب العالمين، اللهم وفق خادم الحرمين الملك سلمان ونائبيه لكل ما تُحب وترضى، واجعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشر واجر الخير عَلَى أيديهم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعفُ عنا، وارزقنا وأجبرنا، وارفعنا ولا تضعنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم وفقنا لمرافقة نبيك -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- في جناتٍ نعيم، واسقنا من حوضه الشريف شربةً لا نظمأ بعدها أبدًا برحمتك يا أرحم الراحمين، وصل الله وسلم وبارك عَلَى نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٣- خطبة الجمعة من إسلام أباد

١٢/٧/١٤٣٦هـ

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣].

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، فما رفع الله بلالًا الحبشي إلا بالإسلام والتقوى، وما وضع الله أبا لهبٍ القُرشي وأرداهُ في النار إلا الكُفر والشرك، لعمرك ما الإنسان إلا بدينه، لعمرك ما الإنسان إلا بدينهِ؛ فلا تترك التقوى اتكالًا على النسب، فقد رفع الإسلام سلمان فارسي، وقد وضع الشِرك النسيب أبا لهب.

نعم أيها المسلمون، نعم أيها المسلمون إنه الإسلام، إنه الإسلام العظيم دين الرحمة والتسامح والسماحة والعدل الذي هدى الله به الناس، وأنار لهم الطريق فدخلوا في دين الله أفواجًا.

إنه الإسلام العظيم الذي جمع الله تعالى به الناس بعد فُرقةٍ وشقاق، الإسلام العظيم الذي نصرهم الله به بعد الهزيمة، وألَّف بين قلوبهم بعد التنافر والخصومات، وأعطاهم كل عناصر القوة، والاتحاد والتآلفِ والمحبة والاتفاق.

إنه الإسلام العظيم الذي حرَّم الاختلاف المذموم والنزاع والتفرق والشقاق، وأخبرهم وأكد لهم في مئات الآياتِ والأحاديث أن إلههم واحد، أن إلههم واحد، ونبيهم واحد، ودينهم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة، وصلاتهم واحدة، وصيامهم وزكاتهم، وحجهم إلى بيتِهِ الحرام واحدة، وعقيدتهم واحدة، ومنهجهم بما يدلُ عليه الكتاب والسُّنة واحد، فلِما الاختلاف إذًا؟!

لا يجوز بعد ذلك أن يتفرقوا ويختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات، ولا يصح أن يتنازعوا فيفشلوا فيتشرذموا فيفشلوا وتذهب ريحهم.

أيُها المسلمون، إن الأمة من شرقها إلى غربها لن تعود إلى سابق عزها ومجدها إلا بالإسلام العظيم، ولن يكتمل إسلامها، ولن يتحقق لها النصر على الأعداء إلا بوحدتها واجتماعها، إلا بوحدتها واجتماع كلمتها وتآلفها ومحبتها، واتفاقها، ووالله الذي لا إله غيره؛ لو كانت الأمةُ الإسلامية كلها على قلب رجلٍ واحد، متمسكين بإسلامهم وكتاب ربهم، وسُّنة نبيهم -صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسلَّمَ-، متفقين متآلفين متوحدين مجتمعين على كلمةٍ واحدة، لنصرها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ووضع لها المهابة والإجلال في قلوب أعدائها، ولما استطاع الأعداء أن يمسوها بسوء ولا يضروها بشيء.

إن اتفاق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ووحدتهم، واجتماع كلمتهم هو من أجلّ وأعظم قواعد الإسلام وأصوله، وأصبح اليوم من أوجب الواجبات ومن أهم الضرورات الملحة التي لا تقبل التأخير ولا التسويف في مواجهة الأخطار المحدقة، في مواجهة الأخطار المحدقة بالأُمة، فالله تعالى يقول وقوله الحق: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[آل عمران:١٠٣].

لقد جاء هذا النَّبِيّ الكريم –صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ– إلى المدينة مُهاجرًا، وكان أهلها مازالت بينهم الشحناء والبغضاء، وتذكر أيام النزعات والخصومات التي كانت بينهم في الماضي، بين الأوس والخزرج فوحدهم رسول الله –صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ– وألَّفَ بين قلوبهم فصاروا أنصار الله وأنصار رسولهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ.

ثم ألَّفَ –صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ– ألَّفَ وأخا بينهم وبين المهاجرين فصارت هذه المؤاخاة التأريخية بين المهاجرين والأنصار صارت نموذجًا ومثالًا من أروع الأمثلة وأعظم الأدلة على أن الإسلام دين الأخوة والمحبة والتآلفِ والتسامح، وبسبب هذه الألفة والمحبة والاجتماع ووحدة الصف واتفاق الكلمة؛ نصر الله الصحابة –رَضْيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُم–، ونصر أمة الإسلام في بدرٍ الكُبرى، وفي الخندق، وفي فتح مكة، وفي حُنين، وفي تبوك.

ولما حصل لهم ما حصل في معركة أُحد؛ أنزل الله تعالى قوله العظيم: ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[آل عمران:١٥٢]، وأنزل أيضًا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– قوله العظيم: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾[آل عمران:١٦٥]، يعني كيف يكون هذا؟ ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥]، ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ مما جعل الصحابة –رَضْيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُم– وأرضاهم يعرفون ويتيقنون أن التفرق والتنازع والاختلاف من أهم أسباب وسُنن الهزيمة والخسارة؛ فتوحدت كلمتهم واجتمعت قلوبهم، ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها في أقل من نصفِ قرنٍ من الزمان.

ولما اجتمع المسلمون وتوحدوا استطاعوا أن يُعيدوا المسجد الأقصى إلى الإسلام والمسلمين في معركة حطين المشهورة، واستطاعوا أيضًا بفضل الله تعالى بعد ذلك أن يدحروا التتار والمغول بفضل الله، ثم بفضل توحدهم واجتماع كلمتهم ونبذهم الفُرقة والنزاع والاختلافات المذمومة، وكانوا كما قال النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ–: «**المؤمن للمؤمن كالبُنيان يشدُ بعضهُ بعضًا**».

كونوا جميعًا يا أمتي إذا	**اعترى خطٌ ولا تتفرقوا آحادًا**
تأبى الرماح إذا اجتمعنا تكسرًا	**وإذا افترقنا تكسرت أفرادًا**

أقول ما تسمعونه، فإن كان حقًا فمن الله وحده لا شريك له، وإن كان غير ذلك فاستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من ذنب؛ واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله وبعد.

أيها المسلمون، إن الإسلام دين المحبة والوئام والتسامح، يؤكد في عشرات النصوص الشرعية أن اجتماع الكلمة وتآلف القلوب واتحاد المسلمين من أفخمِ وأعظم أبواب التوفيق الإلاهي والنصر الرباني، ولم يُقدس الله أمةً متناحرةً متنازعةً متفرقة، يشيعُ بينهم التنافرُ والعداوات والخصام والشِقاق.

إن أُمة الإسلام اليوم أحوج ما تكون إلى طرح الخلافات والأهواء الشخصية والنزاعات المختلفة جانبًا؛ لكي تتوحد تحت كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله"، فيكونون على قلبِ رجلٍ واحد؛ فيرضى الله عنهم ويُرضيهم، وتحصلُ لهم البركة والخير والصلاح والنجاح والفلاح والإمداد الإلاهي، وإذا رضي الله عن شيء أحبه وباركهُ وسددهُ ووفقه.

إن اجتماع المسلمين وتآلف قلوبهم واتحاد كلمتهم من أقوى الأسباب والعوامل التي تُمكن الأمة من مواجهة جميع الأخطار والتحديات المعاصرة والمختلفة، والتحديات المعاصرة المختلفة على كل المستويات، وهذا الاجتماع والاتحاد والاتفاق والوئام والوحدة من أهم الوسائل التي تؤكدُ للعالم وتُعلنُ بكل جلاءٍ ووضوح أن الإسلام دينُ الرحمة للبشرية جمعاء، ودين التسامح والمحب والألفةِ والعدالة.

وهذا الاجتماع والاتفاق والوحدة التي أكدها الإسلام، التي أكدها الإسلام وحث عليها؛ يقضي على كل أسباب النزاع والفُرقة والفشل والضعف، يقضي على كل أسباب الفشل والضعف والنزاعِ من التعصبِ المذهبي واختلاف الآراء، تبعًا لاختلاف الأهواء والتحاسدِ والتدابر والنفاق والشِقاق الذي يؤدي إلى التفرق والتشرذم والعزلة عن الأمة مما يفتح الباب على مصراعيه لشياطين الإنس والجن فيكيدوا لهذه الأُمة المباركة، ويسعوا إلى بقائها ضعيفةً متنازعةً متهالكة، كما قال النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-: «**عليكم بالجماعة، عليكم بالجماعة فإن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية**».

أيُها المسلمون، لقد أكد الإسلامُ تأكيدًا شديدًا على مبدأ الوحدة واجتماع الكلمة وتآلف القلوب؛ فألغى جميع الولاءات والفوارق الطبقية والعصبية والمذهبية التي تُفرقُ الكلمة وتُشتت الجهود وتبثُ روح الكراهية والشحناء والبغضاء، ولا تزيدُ المسلمين إلا وهنًا وضعفًا وتفرقًا؛ فلا ولاء إلا للإسلام، ولا عصبية إلا للإسلام، ولا راية إلا راية الإسلام، ولا منهج إلا منهج الإسلام.

قال -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- في خُطبته أيام التشريق في حجة الوداع: «**يا أيها الناس، إن ربكم واحد، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربيٍ على أعجميَّ، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**»، «**إن الله قد حرَّم بينكم، حرَّم بينكم دمائكم وأموالكم وأعراضكم كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا؛ ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم يا رسول الله قد بلغت، قال: اللهم فاشهد وليُبلغ الشاهد الغائب**».

كان بين أبي ذرٍ الغفاري -رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وبين بلالٍ الحبشي -رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُ- خصامٌ وكلامٌ ونزاعٌ في قضية ما؛ فسبَ أبو ذرٍ بلالٍ -رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وقال له: "يا ابن السوداء"؛ فحزن بلالٌ خزنًا شديدًا وذهب إلى النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- واشتكى له، فـ«**لقي النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- أبا ذرٍ الغفاري وقال له: أسببتَ بلالًا؟ قال: نعم، قال: أعيرتهُ بأمه؟ قال: نعم، قال: إنك أمرؤ فيك جاهلية، إنك أمرؤ فيك جاهلية**»، فوقع هذا الكلام من النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- على أبي ذرٍ الغفاري وقع الصاعقة، فقال: «**يا رسول الله، على حين ساعتي هذه من كبر السن، فقال النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-: نعم، هم إخوانكم، هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم**».

هذا هو الإسلام، هذا هو الإسلام دين الرحمة والتسامح والمحبة والألفة، هذا هو دينُ الإسلام، هذا هو الإسلام دين الرحمة والتسامح والمحبة والألفة، هذا هو دينُ الإسلام دين العدالة والأخلاق والقيم النبيلة، دينُ المحبة والاجتماع والوحدة والوئام، ثم صلوا وسلموا على سيد البشرية وهاديها وسراجها المنير؛ فإن الله -عَزَّ وَجَلَّ- قد أمرنا بالصلاة والسلام عليه، حيث قال في مُحكم تنزيلِهِ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[الأحزاب:٥٦].

وثبت عنه -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- أنه قال: «**من صلى عليَّ حين يُصبحُ عشرًا وحين يُمسي عشرًا؛ أدركتهُ شفاعتي**»، فاللهم صل وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا وحبيبنا وسيدنا وقدوتنا مُحمد وعلى آله وأزواجه وذرياتِهِ الطيبين الطاهرين، وعلى سائر صحابتِهِ الكرام الأبرار وخُصَّ منهم أبا بكرٍ الصديق، وعُمر بن الخطاب، وعُثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالبٍ، وبقية الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أنصر الإسلام والمسلمين، اللهم أنصر دينك وكتابك وسُنة نبيك-صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- وعبادك الصالحين، اللهم أنصر من نصر الدين، وأخذل من خذل الدين؛ بقوتك يا قوي يا عزيز.

اللهم وفق جميع ولاة المسلمين للعمل بكتابك وسُّنة نبيك -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-، اللهم اجعلهم رحمةً على شعوبهم ورعاياهم يا رب العالمين.

اللهم وفق حكومة دولة باكستان لما فيه الخير والصلاح، ووفق فخامة الرئيس لكل خيرٍ يا رب العالمين، اللهم اجعل باكستان بلدًا آمنًا مُطمئنًا يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، اللهم اجعلها آمنةً مُستقرةً مُطمئنةً يا رب العالمين.

اللهم وفق خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان وحكومتهُ الرشيدة لكل ما فيه الخير والصلاح يا رب العالمين، اللهم اجعلهم مفاتح الخير مغاليق للشر برحمتك يا ارحم الراحمين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا وارزقنا واجبرنا، وارفعنا ولا تضعنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وارفعنا ولا تضعنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وكن معنا ولا تكن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، اللهم أنصرنا ولا تنصر علينا، اللهم أنصرنا على من ظلمنا، اللهم أنصرنا على من بغى علينا، اللهم انصرنا على من عادانا، اللهم لا تجعلنا للشامتين والأعداء والحاسدين، اللهم انصرنا على الشامتين والأعداء والحاسدين برحمتك يا أرحم الراحمين، وبقوتك يا قوي يا عزيز.

اللهم اجعلنا لك ذاكرين، لك شاكرين، إليك مُخبتين أواهين مُنيبين، ربنا تقبل توبتنا واغسل حوبتنا واهدي قلوبنا، وسدد ألسنتنا وأسلل سخائم صدورنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وعافِ مُبتلانا ومُبتلى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم ارحمهم رحمةً من عندك يا رب العالمين، اللهم اجعل قبورهم روضةً من رياض الجنان، برحمتك يا أرحم الراحمين، وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا مُحمد وآله وصحبه أجمعين.

٤- خطبة الجمعة من الكويت ١٩/٤/١٤٣٧هـ

بعنوان/ السنن الإلهية

الحمد لله الذي خلق الخلق وأنشأ وبرى، وأبدع كل شيءٍ في الوجود وذرى، لا يعزب علمه ولا يغيب، ما ولج، وما خرج، وما نزل، وما علا. أحمده سبحانه وأشكره، وهو العلي الأعلى عالم السر والنجوى، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له خلق الأرض والسماوات العلي، وأودع فيهما من الحكم والمنافع ما أدهش الخلق والورى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوث من مكة أم القُرى، خير البشر وسيد الرسل بلا شكٍّ ولم ترَ، صلى عليه الله وعلى آله الطيبين الأطهار وأزواجه أمهات المؤمنين، وصحابته السادة الكرام أولي الأبصار والفضائل والنُّهى، والتابعين لهم بالحسنى في المنشط والمكره واليسر والعسر. أما بعد...

فاتقوا الله عباد الله، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له وأخلصوا له وراقبوه، تفوزوا بكل نعيمٍ وسعادةٍ وفلاحٍ في الآخرة والأولى. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[النور:٥٢]

أيها المسلمون: إن هذا الكون الفسيح وما حواه من عظيم صنع الله عزَّ وجلَّ وبديع آياته وحكيم أفعاله، يسير وفق سُننٍ ثابتةٍ وقواعد متقنة لا يحيد عنها ولا يميل، في إحكامٍ وثباتٍ واستقرار، لو اختل منها شيءٌ طرفة عين؛ لفسدت السماوات والأرض وما فيهن. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾[فاطر:٤١]

إن السنن الإلهية التي بثها الله تعالى في الأنفس والكون والمجتمعات، سُننٌ لا تتبدل ولا تتحول، سُننٌ ثابتةٌ مستقرةٌ مُطردة، وذلك من أعظم صفات السُنن الربانية ومعالمها؛ كما قال ربنا عزَّ وجلَّ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر:٤٣]، سُننٌ شاملةٌ للعالم كله علوية وسفلية، شاملةٌ للحياة كلها وأحداثها وتقلباتها، شاملةً للبشرية جمعاء، فما من شيءٍ في هذا الكون إلَّا وهو يسير على سُنَّةٍ ربانية. ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق:٣]. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد:٨].

إنها السُنن الإلهية الثابتة المطردة التي لا تحابي أحدًا دون أحد، ولا تجامل أمةً دون أخرى، ولا تقع على فردٍ وتترك آخر، فكل من حقت عليه سُنَّة الله، فهي واقعةٌ به بلا شك. عصى الرماة أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أُحد، فهزموا مع أنهم كانوا على الحق؛ لأن سُنَّة الله لا تحابي أحدًا، وليس بين الله وبين خلقه نسبٌ ولا خُلَّة إنما هو الإيمان والتقوى. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم﴾[الحجرات:١٣].

ونصر الله وإعزازه وإكرامه ينزل إلى الناس وفق سُننٍ دقيقةٍ محكمة، والهزيمة والذلة والهوان يستحقها الناس وفق سننٍ محددةٍ واضحة المعالم، وتلك صفةٌ أخرى من صفات السنن الربانية، أنها واضحة المعالم بينةٌ لا خفاء فيها ولا

غموض لمن لا خفاء بها ولا غموض، لمن تأمل وتفكَّر وأحسن استعمال عقله في استخراج واستنباط هذه السنن، ورأى كيف أن أحداث الكون والحياة والتاريخ والأفراد والأمم تسير وفق هذه السنن الربانية العجيبة، أما الغافلون واللاهون عن هذه السُنن فسوف تفاجئهم الأحداث، وستحق عليهم سُنن الله، وسيعضون أصابع الندم ولات ساعة مندم. ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾[غافر:٨٥]

أمة الإسلام: إن السنن الربانية في الأنفس والمجتمعات والآفاق كثيرة ومتنوعةٌ بتنوع تعليقاتها، فهناك سُننٌ كونيةٌ طبيعية، وهناك سُننٌ اجتماعية، وسُننٌ اقتصادية، وسُننٌ تاريخية، وسنن الملك والتمكين. وقد بيَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذه السُنن في كتابه، وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ، وأمرنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ننظر ونتأمل في الآيات والنُّذر وأيام الله وأحداث التاريخ؛ لنستخرج منها هذه السنن، حتى يحيا الإنسان في هذه الحياة حياةً كريمةً على بصيرةٍ ونورٍ وهدى من الله. ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران:١٣٧]. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[النساء:٢٦]

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وضَّح هذه السنن وبيَّنها، وهو يريد منا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن نتعلمها، ونتعرف عليها ونتفقه فيها؛ لكي نحسن الاستفادة منها في حياتنا وأمورنا، وتقدمنا وحضاراتنا، ولذلك كثر الحديث في القرآن عن أخبار الأولين، ومصارع المكذبين، وأحوال الأمم والممالك، ويتخلل ذلك الإشارة والتنبيه إلى هذه السنن؛ كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[إبراهيم:٥].

شرائع الله المحكمة تسير متوافقةً ومتآلفةً مع هذه السنن الربانية جنبًا إلى جنب، تسير متوافقةً ومتآلفةً جنبًا إلى جنبٍ مع هذه السنن الإلهية القاطعة المطردة، فلا تخالف ولا تضاد ولا تنافر بين شريعة الله المنزَّلة، وبين السنن الربانية المحكمة، التي أودعها الله تعالى في هذه الحياة، فالكل من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أمة الإسلام: إن هذه السنن الربانية منها ما هو عام يمكن لكل البشرية أن يستفيدوا منها، وهي ليست حكرًا على أحد، وهذه السنن العامة هي الأكثر عددًا والأوسع مساحةً في التاريخ البشري، كالسنن المتعلقة بالكون وجريان أمورٍ على وفق تدبير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعاقب الليل والنهار، وسير الشمس والقمر، وسنن الخلق والإنشاء ونزول الغيث، والاستفادة من خيرات الأرض ومفاتيح عمارتها في التقدم العلمي والحضاري، فكلما أحسنت البشرية فقه هذه السنن الربانية العامة، وأتقنت التعامل معها لتحقيق الاستخلاف والخير العام؛ عاشت عيشةً حسنةً، وهنئت في حياتها هناءً لا نظير له.

ولقد أبدع المسلمين الأوائل في الحضارة والتقدم والرقي؛ لاكتشافهم هذه السنن الربانية وحسن تعاملهم معها، فلَمَّا تخلوا عن ذلك، وغفلت الأجيال المتعاقبة عن سنن الله، ولم يحسنوا التعامل معها؛ جاءت الأمم الأخرى، فأمسكت بناصية التقدم والحضارة والقوة مستفيدةً من علوم المسلمين وتجاربهم، واكتشافهم سُنن الله في الكون والحياة، فعملوا على وفق هذه السنن الربانية، فاستحقوا طرفًا من عطاء الله، استحقوا طرفًا من العطاء الرباني المفتوح لكل من وافق السنن وأحسن التعامل معها؛ كما قال ربنا: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[الإسراء: ٢٠].

إنما ترونه يا إخوة، يا مسلمون، إنما ترونه من إغداق النعم، وفتح أبواب الدنيا على أفرادٍ وأممٍ وممالك، وهم بعيدون عن الله يفسدون في الأرض، قد غرقوا في شهوات الغي والضلال، إنما ذلك فتح استدراجٍ وإملاء، وقد يقول ذلك الاستدراج والإملاء، وقد يقصر سُنَّةً إلهيةً لا تتبدل ولا تتغير، إنه فتحٌ ماديٌ أجوف خلا من البركة والطمأنينة والرضا، كما بيَّن ذلك ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾[الأنعام: ٤٤-٤٥].

وقال عَلَيهِ الصَّلاةِ وَالسَّلام: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَبْدَ يُعْطِي مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدرَاج» أخرجه أحمد والطبراني بسندٍ صحيح.

إنها سُنَّة الاستدراج والإملاء التي غفل عنها قارون، حينما قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾[القصص:٧٨]، فخرج على قومه في زينته، وفتن به قومه الذين يريدون الحياة الدنيا وتمنوا مكانه، فخسف الله تعالى به الأرض. ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾[القصص: ٨١].

أيها المسلمون: ومن سُنن الله ثابتة المطردة، سننه المتعلقة بنصر دينه وشرعه ونصر المؤمنين، وسنن نزول العذاب والهلاك، وإهلاك الأمم الخارجة عن شرعه ودينه، فهذه سننٌ خاصةٌ بيَّنها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حيث جاء التأكيد الإلهي في آياتٍ عديدة، وفي أحاديث متنوعة، أن التوحيد والعقيدة الصحيحة هي السبيل الأوحد لنصر الأمة وتمكينها في الأرض. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[النور: ٥٥].

وبيَّن القرآن أن أعداء الله وأعداء رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهم وقتٌ وأجلٌ معين، فإذا جاء أجلهم نزل بهم العذاب، وقد يشك بعض الناس في ذلك؛ لِمَا يروا من تطاول أهل الكفر واستعلائهم، وما علموا أن ذلك كله

يجري وفق سُنَّةٍ ربانيةٍ لا تتغير ولا تتبدل، وأن سُنَّة الله في إهلاك الظالمين والطغاة قد تطول، ولَمَّا تتحقق على أرض الواقع، وقد تأتي أجيالٌ وتذهب أجيالٌ، ثم تقع سُنَّة الله في إهلاك الظالمين والطغاة، فلا يستأخرون عنها ساعةً ولا يستقدمون.

- **وبيَّن القرآن أن من السُنن الربانية:** و﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧]، وأن مخالفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وانتشار المعاصي والذنوب من أسباب الهلاك العام وفساد البر والبحر.

- **ومن أعظم السنن الربانية:** سُنَّة التغيير، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١]، فالبشر هم المسؤولون عن الصلاح والفلاح، وهم المسؤولون عن الانحطاط والفساد.

- **ومن أفخم السنن الربانية وأجلِّها قدرًا:** سُنَّة المداولة بين الناس، فيومًا رخاءٌ ويومًا شدة، ويومًا نصرٌ ويومًا هزيمة؛ ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[الأنفال:٣٧]، ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾[آل عمران:١٤٠].

وبيَّن القرآن أن من أعظم أسباب تغيُّر الأحوال، ونقص العافية والأرزاق وحلول العذاب، فشو الظلم وغياب العدل، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[القصص:٥٩]، وثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ! وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**».

والترف والإسراف في النعيم والانغماس فيه، ونسيان شرع الله عزَّ وجلَّ، بابٌ من أعظم أبواب العذاب والهلاك، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[الإسراء:١٦].

ومن سنن الله العظيمة: أن يدفع الله الشر بالخير، والضلال بالهدى، والمفسدين بالمصلحين، وتلك سُنَّة التدافع الكبرى، ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٢٥١]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، والصلاة والسلام على خليل الرحمن النبي العدنان، وعلى أبويه الرسولين الكريمين إبراهيم وإسماعيل، وعلى الآل الطاهرين الطيبين والصحابة الأكرمين والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد...

فيا أيها المسلمون: إن أحداث الكون والحياة والتاريخ، وسير الأمم وارتفاعها وانخفاضها، ورغد عيشها وبؤسه، وضيقه وبحبوحته، وقيام الممالك وزوالها، كل ذلك يتم ويمضي ويسير وفق سُننٍ ربانيةٍ لا تتبدل، ولا تتغير، راسخةٍ ثابتةٍ، ومتكررةٍ مع وجود الحال المقتضي لذلك، والمطلوب من المسلم أن يتعرف على هذه السنن الربانية الإلهية، من خلال الآيات والنذر وأيام الله، والتأمل في التاريخ الغابر وقراءته قراءة عبرةٍ وعِظة، والتفكر في الأحداث والمواقف؛ لاكتشاف هذه السنن التي هي غايةٌ في الدقة والعدل والثبات والاطراد، وفي ذلك فوائد وثمراتٌ لا تحصى.

فالمسلم الذي يفقه هذه السنن العامة والخاصة يعرف كيف تسيء أقدار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتتبين له غاياتها وعللها، ويرزق البصيرة والطمأنينة والثقة بالله، وينظر في الأحداث بنورٍ من الله، وتعظم في قلبه الثقة بربه والإيمان وتقوى صلته بخالقه؛ لأنه يعلم أن الأمور كلها بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو مقدر الأقدار ومُصرف الأكوان لا إله إلَّا هو. وقد جعل الله عزَّ وجلَّ لكل شيءٍ سببًا، وقدرًا وحكمةً، وغايةً وأجلًا، والمسلم الواعي الذي يفقه هذه السنن ينتفع بها في حياته ومعاشه، وعزِّه ونصره، فإن موافقة السنن الإلهية من أكبر أسباب النجاح والفلاح، والحياة الطيبة والتقدم والحضارة.

وهذه السنن الربانية الصارمة القاطعة تؤكد أن هذه الحياة ليست فوضى ولا عبثًا، بل هي حياة جدٍّ وعملٍ وإنتاج، من يعمل خيرًا يجز به، ومن يعمل سوءًا يجز به. وهذه النظرة الإيجابية للسنن الإلهية تُحيي في الإنسان الشعور بالمسئولية والأمانة، والعزة والثقة بالنفس، بخلاف من يهمل هذه السنن ولا يقيم لها وزنًا ويغفل عنها، فتراه يعيش حياة العبثية والتفريط والتواكل والتبعية والانهزامي، وتلك سُنَّة الله الجارية على كل من أعراض عن أسباب النصر والعزة والتمكين.

أيها المسلمون: لقد تحدث القرآن في سورٍ كثيرةٍ عن هذه السنن الإلهية وأفاض فيها بأسلوبه المعهود، حلاوةً وطلاوةً في آل عمران، والأعراف، والأنفال، ويوسف، وهود، وإبراهيم، والإسراء، والكهف، والنور، وغير ذلك من سور القرآن الكثيرة، وتكاثرت النماذج والأمثال النبوية في السُّنَّة المطهرة، وفي السيرة الشريفة.

فدونكم يا مسلمون كلام الله، وسُنَّة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسيرته العطرة، ففيها الحث على الخير كله وبيان أصوله وكلياته، وفيها التحذير من الشر كله وبيان أصوله وكلياته، والموفق السعيد من وفقه الله وبصَّره، وزكى

قلبه ونوَّره، والمخذول من حُرِم هدي الله عزَّ وجلَّ، المخذول من حُرِم من هدي ربه سُبْحَانه واتبع هواه، وغفل عن سُنَّة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ف ﴿كَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف:٢٨].

ثم صلوا وسلموا على سيد البشرية وهاديها وسراجها المنير، فإن الله عزَّ وجلَّ قد أمرنا بالصلاة والسلام عليه، حيث قال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]، وثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند الطبراني وغيره، أنه قال: «أَتَانِي آتٍ فَبَشَّرَنِي، أَنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَة، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ صَلَوَات، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَات، وَكَتَبَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَات، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سيئات».

فاللهم صلِّ وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك، حبيبنا وسيدنا وقدوتنا وإمامنا محمد، وعلى آله الطيبين الأطهار، وأزواجه أمهات المؤمنين، وسائر صحابته الكرام الأبرار، وخُصَّ منهم: أبا بكرٍ الصديق، وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين، وعليًّا أبا الحسنين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر دينك وكتابك وسُنَّة نبيك وعبادك الصالحين، اللَّهُمَّ أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أصلح أحوالهم في فلسطين والشام والعراق وفي اليمن، بقوتك ورحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ اجعل بلاد الكويت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، اللَّهُمَّ وفق أمير البلاد وولي عهده وألبسهم الصحة والعافية، اللَّهُمَّ وفقه وخادم الحرمين الشريفين لِمَا فيه صلاح البلاد والعباد، واجعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشر، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنا، وارزقنا وأجبرنا، وارفعنا ولا تضعنا، وأكرمنا ولا تهينَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وكن معنا ولا تكن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وارفعنا ولا تضعنا، وزدنا ولا تنقصنا، اللَّهُمَّ انصرنا على من ظلمنا، اللهم انصرنا على من عادانا، اللهم انصرنا على من بغى علينا، اللهم لا تشمت بنا عدوًا ولا حاسدًا، برحمتك يا أرحم الراحمين. ربنا تقبل توبتنا، واغسل حولتنا، واهد قلوبًا، وسدد ألسنتنا، واسلل سخائم صدورنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

٥- خطبة الجمعة من جامع السويدان في الشرقية ٢٤ / ٧ / ١٤٣٨هـ

بعنوان / عبادة السر

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلَّا هو إليه المصير، أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ولا نظير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، كمَّل المقامات العليا كلها مقام العبودية، ومقام الدعوة، ومقام التبليغ والرسالة، فجعله الله خير رسله وسيد أنبيائه، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذرياته، وصحابته الكرام الأبرار الأطهار وتابعيهم بإحسانٍ ما تعاقب الملوان وأشرق القمران.

أما بعد...

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإنها خير الزاد وأجمل اللباس، والخير في الحال والمآل، وما استقرت التقوى في قلب أحدٍ من عباد الله، إلَّا فتح الله تعالى عليه من واسع فضله ما لا يخطر له على بال. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[الطلاق:٢].

أيها المسلمون: إن من أوجب الواجبات في هذا الزمان الذي نعيش فيه أمواجًا متلاطمة، وهديرًا متلاحقًا، وسيلًا جارفًا من الشهوات والأهواء والأفكار والفتن.

إن من أوجب الواجبات في هذا الزمان، أن يعتني كل واحدٍ منا بقلبه وفؤاده، تربيةً وعملًا وسلوكًا وإخلاصًا وإيمانًا، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا ينظر إلى صورنا وأموالنا ومناصبنا وأنسابنا، وليست هذه كلها ليست في ميزان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيئًا يذكر ولا أمرًا ذا بال، إذا لم يكن معها نيَّةٌ صالحةٌ وعملٌ صالح، بل إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا، وعباداتنا وأخلاقنا، وهممنا وإراداتنا وأفكارنا، فإن صلحت صَلحت الحياة كلها، وإن فسدت فسدت الحياة كلها. ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر:١٩].

فالقلب هو محل نظر الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو أساس الهدى والإكرام، وأساس الضلال والعذاب. ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٤﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الحج:٥٤-٥٥].

وقد بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن من أعتنى بقلبه فزكَّاه وربَّاه، على التوحيد والإيمان والخلق الحسن، فقد أفلح غاية الفلاح وهو السعيد حقًّا، والفائز حقًّا، والمحظوظ حقًّا. وبيَّن سبحانه أن من دسَّ نفسه بالمعاصي والسيئات، وأهمل

قلبه وتربيته وسلوكه، فهو الخاسر حقًّا وإن كان في دنياه فائزًا، وهو الشقي الخائب وإن كان في دنياه محظوظًا. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس: ١٠].

عباد الله: وإن من أعظم ما يُزكِّي القلوب ويطهرها ويُربّيها، عبادة السر والصالحات في الخلوات، هذا العمل العظيم الجليل من أشرف وسائل تزكية القلوب وصلاحها، وهو من أنبل علامات الإخلاص لله تبارك وتعالى، والمقصود بـ "**عبادة السر**" التعبد لله عزَّ وَجلّ بالأعمال الصالحات في الخفاء بعيدًا عن أعين الناس، حيث لا يعرفك أحدٌ إلَّا الله، ولا يراك أحدٌ إلَّا الله، ولا يطلَّع عليك أحد إلَّا الله، فتتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالنوافل والمستحبات، وتجتهد له بالطاعات والإخلاص، وتربي نفسك في الخلوة بين يدي العليم العزيز سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بألوان الطاعات.

وتتذلل له جلَّ في علاه، وتُمرّغ الوجه بين يدي رب العباد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في مكانٍ خالٍ من الناس، لا تنتظر من أحدٍ ثناءً، ولا تنتظر من أحدٍ مدحةً وشكرًا، متوجّهًا بوجهك إلى رب السماء وحده سُبحانه، قد قطعت علائقك بالأسباب كلها، وألقيت نفسك بين يدي سيدك ومولاك، تتلذذ بلذيذ مناجاته سبحانه، وتتنعم بنعيم خطابه وقرآنه، وتتضرع إليه في سكون الليل وهدأته. قد خلعت من قلبك المخلوقين، وألقيت عن نفسك عناء وتتبع ثنائهم ورضاهم، فلا همَّ لك إلَّا ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا إرادة لك إلَّا في رضاه ومرضاته.

فيا لله! يا لله ما أطيبها من حياة! ويا لله ما أجملها من لذةٍ وفرحٍ وحبورٍ وسرورٍ! عبادة السر يا لها من عبادة لو عقل الناس ذلك! ويا لها من تأثرٍ على القلب والنفس والسلوك، تُغني عن كثيرٍ من الكلام والخطب!

عبادة السر والطاعات في الخلوات دليلٌ على صدق الإيمان وصحة الإخلاص لله عزَّ وَجلَّ، والطهارة من الرياء والشرك؛ لأن العبد يحرص على إخفاء العمل ولا يحب أن يطلع عليه أحدٌ من الخلق، ويكره الثناء والمدح ولا يحب الشهرة والظهور، ولا يجتمع في قلب عبدٍ إخلاصٌ ونفاقٌ أبدًا ولا إيمانٌ ورياء، ولا عملٌ في السر وحبٌّ للظهور والثناء والمدح، فهما نقيضان لا يجتمعان أبدًا، فما أحب عبدٌ الشهرة والثناء، إلَّا خرج الإخلاص من قلبه ولابد.

عبادة السر والطاعات في الخلوات، والصالحات في السر سببٌ للبركة والخيرات والنماء والزيادة، وأساسٌ متينٌ لحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإكرامه لعبده، والله إذا أحب عبدًا أحبته السماوات والأرض، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْخَفِيَّ النَّقِيَّ». عبادة السر –يا عباد الله، يا مسلمون–، عبادة السر والصالحات في الخلوات أمانٌ بإذن الله تعالى من مصارع السوء، وسوء الخاتمة، وسوء المنقلب في المال والأهل، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء.

وقد نجَّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، نجَّاه من بطن الحوت، ونجى نوحًا عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام من الكرب العظيم، ونجى لوطًا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام من القرية التي كانت تعمل الخبائث، وكشف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الضُّر عن أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وآتاه أهله ومثلهم معهم، واستجاب سبحانه لزكريا عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فأصلح له زوجه ورزقه الذرية بعد أن كان عقيمًا، بعد أن بلغ من الكبر عتيًا وكانت امرأته عاقرًا.

ثم بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سبب هذه الفضائل وهذه الخيرات، وسبب إنجائه لهم من الكربات، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠].

وثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيٌّ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ»، «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيٌّ» يعني عملٌ يعمله في الخفاء «مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ»، فالخبيئة الصالحة والنية الطيبة، والتعبد لله في الخلوات من أشرف الأعمال عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأحبها إليه عزَّ وَجلَّ، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجازي عليها أجرًا لا يخطر على بال أحد.

- فالرجل الذي تصدَّق بصدقة فأخفاها؛ حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، يظله الله الكريم في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله، بسبب هذه الخبيئة الصالحة.

- والرجل الذي دعته امرأةٌ ذات جمالٍ ومنصب، فقال: إني أخاف الله.

- والرجل الذي ذكر الله خاليًا، ففاضت عيناه وبكى من خشية الله، كلهم يظلهم الله الكريم في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله؛ بسبب هذه النية الطيبة والخبيئة الصالحة من الأعمال.

فهذه دعوةٌ صادقةٌ لكل إخوان المسلمين، أن يجعلوا لأنفسهم عبادةٍ وطاعاتٍ ثابتةً دائمةً في السر لا يطلع عليها أحدٌ إلَّا الله وحده، يتقربون بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويزكون بها أنفسهم، ويربُّون بها قلوبهم، ويصلحون بها أمراض أفئدتهم ونفوسهم، عسى الله أن يصلح أحوالنا جميعًا، ويزكي أعمالنا ويطهرها من الرياء والسمعة وحب الشهرة والثناء.

وإنه حقيقةً لمن المؤسف أن يعمل العبد العمل وهو يريد مدح الناس وثنائهم، أو تراه يجتهد في العمل علانيةً حيث يراه الناس، فإذا خلَا بربه كسل وفتر وارتكب ما حرم الله، وقد ثبت في الحديث الصحيح: «أَنَّ نَاسًا يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ كَجِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا، وَلَا يُقْبَل مِنْهَا عَمَلًا وَلا يُلْقِى لَهَا بَالًا»؛ بسبب أن هؤلاء القوم قد عملوا تلك الأعمال رياءً وسمعةً، وحبًّا للثناء والظهور من أجل الناس، وإذا خلوا بمحارم الله انتهكوها، ولم يراقبوا ربهم سبحانه في سرهم وغيبهم، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآلة وصحبه والتابعين، وبعد...

أيها المسلمون: إن تربية القلوب بعبادة السر والطاعات في الخلوات جانبٌ مهم من جوانب التربية، قَلَّما يتفطن إليه المربون وقليلٌ من الناس من يفعله، بينما كان هذا الأمر العظيم عند سلفنا الصالح بمنزلةٍ عظيمةٍ جدًا، وكانوا يحرصون على عبادة السر وعمل الصالحات في الخلوات، وأن يكون للإنسان خبيئةٌ من عملٍ صالح، وكانوا يربون أنفسهم وغيرهم على هذا الأمر العظيم، **والمواقف المشهودة في ذلك كثيرةٌ جدًا**:

- جاء رجلٌ إلى أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ تعَالىَ عَنْهَا وأرضاها يشتكي من قسوة قلبه، فقالت له: ﴿امسح على رأس اليتيم﴾.

- وقال الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿اجعلوا لكم خبيئةً من عملٍ صالح، كما أن لكم خبيئةً من عملٍ سيء﴾.

- وقال أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ: ﴿اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك، اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك﴾.

- وقال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللهُ: ﴿لأن يستر الرجل الزهد عن الناس خيرٌ له من أن يظهره﴾.

- وكان عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ يقاتل في أرض المعركة، ويضع اللثام على وجهه حتى لا يعرفه أحدٌ من الناس، وكان عمل الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ، كان عمله كله سرًّا، إن كان يجيء الرجل وقد نشر الربيع المصحف في بيته يريد أن يقرأ القرآن، فيدخل عليه الرجل فيغطيه بثوبه.

- وسجن أحد أصدقاء عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ بسبب دينٍ ركبه، فجاء عبد الله إلى صاحب الدين وأعطاه دينه كله كاملًا، وحلَّفه ألَّا يخبر أحدًا من الناس ما دام عبد الله حيًّا، فخرج الرجل المديون من السجن وقد قُضي دينه وهو لا يعلم أن عبد الله بن المبارك هو الذي قضى عنه الدين، ولذلك كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يقول: "ما رُفع ابن المبارك إلَّا بخبيئةٍ كانت له". "ما رفع ابن المبارك" يعني ما رفعت منزلته في الدنيًا "إلَّا بخبيئةٍ كانت له".

- وصام داود بن هند رَحِمَهُ اللهُ، صام أربعين سَنةً صيام تطوع وأهله لا يعلمون عن صيامه شيئًا، وكان خرَّازًا يحمل غدائه من عندهم في الصباح، فيتصدق به في الطريق ثم يرجع إليهم في المغرب فيتعشى معهم.

● وقالت امرأة حسان بن أبي سنانٍ رَحِمَهُ اللهُ: "كان حسَّان يجيء فيدخل معي في فراشي في الليل، فإذا علم أني نمت سلَّ نفسه فخرج، وقام يصلي ويقرأ القرآن ويبكي".

● وكان ناسٌ من فقراء المدينة يعيشون ولا يدرون من أين يأتيهم رزقهم، لا يدرون من أين كان يأتيهم معاشهم، وكانوا يصبحون ويرون أكياس الدقيق والطعام على أبواب بيوتهم، فلما توفي زين العابدين على بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ ورضي عنه، فقدوا أكياس الدقيق والطعام، فعلموا أن زين العابدين هو الذي كان يأتيهم بأكياس الدقيق والطعام كل ليلة، ويضعها عند باب بيوتهم ثم يذهب في خفاء الليل.

وزاد يقينهم أنه هو الذي كان يأتيهم بأكياس الدقيق والطعام، أنه لَمَّا غُسِّلَ رَحِمَهُ اللهُ وجدوا بظهره سوادًا وأثرًا؛ بسبب أنه كان يحمل بنفسه أكياس الدقيق والطعام على ظهره، فينقلها إلى بيوت الأرامل والفقراء في المدينة.

● وقد سُئِّلَ ابن مبارك رَحِمَهُ اللهُ، سُئِّلَ عن إبراهيم بن أدهم، قال: ﴿قد سمع من الناس وله فضلٌ في نفسه، صاحب سرائر ما رأيته يظهر تسبيحًا ولا شيئًا من الخير أمام الناس﴾.

● وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ما رأيت أحدًا ارتفع مثل مالك بن أنس إمام دار الهجرة رَحِمَهُ اللهُ، ليس له كثير صيامٍ ولا صلاةٍ، إلَّا أن تكون له سريرةٌ صالحة.

● وقد كان السلف رَحِمَهُم اللهُ يحرصون على أكل الحلال وإطابة الطعام، ويعدون ذلك من أجلِّ الأعمال وجلائل الصالحات، التي كانوا يحرصون عليها حرصًا شديدًا، وكانوا يرون أن إجابة الدعاء والبركة في الأموال والحياة، والأهل والأولاد والعمر تكون ما تكون إذا طيَّب الإنسان كسبه وماله، فلم يأكل حرامًا، ولم يلبس حرامًا، وابتعد كل البعد عن ألوان المكاسب المحرَّمة من ربا وغش، وسرقةٍ واحتيالٍ، وتزويرٍ وأكل أموال الناس بالباطل.

أيها المسلمون، يا عباد الله: النماذج المشرقة من السلف الصالح رَحِمَهُم اللهُ في عبادة السر والطاعة في الخلوات أكثر من أن تحصى، وكل ذلك تأكيدٌ على أهمية عبادة السر، وحرص السلف الصالح رَحِمَهُم اللهُ على إخفاء الصالحات وأثرها في صلاح القلوب والنفوس، وتخليصها من شوائب الرياء والسمعة، وفساد النيات ومحق بركتها وثمرتها.

ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، عند الطبراني بسندٍ حسن، قال عَلَيْهِ الصَّلاةِ وَالسَّلام: «**ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ: الَّذِي إِذَا انْكَشَفت فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجلَّ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ وَيَكْفِيهِ، فَيَقُولُ الله: "انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي كَيْفَ صَبَرَ لِي بِنَفْسَه"، وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسْنَةٌ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَن، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، فيقول الله عزَّ وَجلَّ: "انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يَذر شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرُنِي وَلَوْ شَاءَ لَرَقَدَ"، وَالَّذِى إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ، فَسَهِرُوا ثُمَّ هَجَعُوا، قَامَ هُوَ مِنَ السَّحرِ فِي ضَرَّاءٍ وَسَرَّاء**».

ثم صلوا وسلموا على سيد البشرية وهاديها وسراجها المنير، فإن الله عزَّ وجلَّ قد أمرنا بالصلاة والسلام عليه، حيث قال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦].

وثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَة، صلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَات، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَات، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَات، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَات». فاللهم صلِّ وسلم وبارك وأنعم على نبينا وحبيبنا وسيدنا وقدوتنا محمد، وعلى آله وأزواجه وذرياته الطيبين الطاهرين، وخُصَّ منهم: أبا بكرٍ الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذي النورين، وعليًّا أبا الحسنين، وسائر التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر من نصر دينك، وأخذل من خذل دينك بقوتك يا قوي يا عزيز، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفق ولي أمرنا لِمَا تحبه وترضاه، اللهم وفق ولي أمرنا ونائبيه لِمَا فيه صلاح البلاد والعباد، واجعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشر، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أصلح أحوالهم في فلسطين والشام، وفي العراق، وفي أراكان، وفي اليمن، وفي كل مكانٍ برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين المرابطين على الحدود، اللهم انصرهم نصرًا مؤزرًا، اللهم كن لهم عونًا وظهيرًا ومؤيدًا ونصيرًا، بقوتك يا قوي يا عزيز.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينا إذا كانت الحياة خيرًا لنا، وتوفنا إذا كانت الوفاة خيرًا لنا، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، اللهم إنَّا نسألك نعيمًا لا ينفد وقرة عينٍ لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مُضلِّة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

٦- خطبة الجمعة في الزلفي ١٨ / ٤ / ١٤٣٩هـ

بعنوان / فضل المساجد

الحمد لله المتفردِ بالبقاء والكمال، المستحق للعظمة والكبرياء والجلال، أحمدهُ سبحانه وأشكره، وأثني عليه الخير كله وهو الكبير المتعال.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، ولا نظير ولا شبيه ولا كفأ له، وليس لهم من دونه من وال، وأشهد أن مُحمدًا عبدهُ ورسوله النبي المجتبى والخليل المصطفى؛ الذي لا عِدل له من البشر لا في الماضي ولا في الحال ولا في المآل، صلى عليه الله، صلى عليه الله ما أشرق صُبحٌ وأسفر وأضاء ليلٌ وأنور، صلى عليه الله وعلى آله وأزواجهِ وذرياتهِ الطيبين وصحابتهِ الكرام الأبرار والتابعين لهم بإحسانٍ في كل الأزمنة والأمكنة والأحوال.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وراقبوه في الإسرار والإعلان فإنه منْ ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[الطلاق: ٢-٣].

واعلموا عباد الله أنه ليس من يقطعُ طُرُقًا بطلًا، إنما من يتق الله البطل، ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقي هو السعيدُ، أيُّها المسلمون، إن من محاسن هذا الدين الإسلامي العظيم أنه أتى بما يُلبي أشواق الروح والعقل والفكر، ولم يدع العناية بحاجات الجسد وما ينفعه في توازنٍ بين مُتطلبات الروح والجسد، وتكاملٍ عجيب أثمر هذا الإنسان المسلم السوي الذي فتح الدُنيا وملأها حضارةً ومجدًا وتقدمًا، وما كان ليتم له ذلك لولا جلالة هذا الدين، لولا جلالةُ هذا الدين المتين وعظمتهُ في تشريعاتهِ وتعاليمه التي كفلت الحياة الطيبة الكريمة للمُسلمين ولغيرهم في ظلالِه وروحه.

إن تلبية حاجات الروح وأشواق القلوب والعقول لا تتمُ إلا بالصلة برب العالمين -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، والارتباط به -عَزَّ وَجَلَّ- هذه الصلة الروحية العظيمة التي تتضح أعظمُ ما تتضح في الصلاة التي هي عمادُ الدين ورُكنهُ الركين، التي هي عمادُ الدين ورُكنهُ الركين، ولما علِمَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ما للصلاة من أهميةٍ عُظمى في تقوية الصلة به -عَزَّ وَجَلَّ-، وشحن الأرواح بشحنات الإيمان والتزكية؛ شرَعَ لعبادة أماكن مُعينةً يجتمعون فيها يؤدون فيها هذه الصلوات، ويتصلون برب الأرض والسماوات فيُفيضُ عليهم سبحانه ألوان الطُمأنينة والسعادة والسكينة.

ومن هنا أيها الإخوة الكرام تبرز لنا الأهمية الكُبرى للمساجد في الإسلام، فهي أحد أهم وسائل الصلة برب الأرض والسماء وخالقِ هذا الإنسان، ويعلمُ ما خلق -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وهي متنزلُ الرحمات، ومنبعُ الخيرات وأساسُ الفضائل والبركات.

إن المسجد يا عباد الله هو بيت الله، يأتيه المسلمون فيطرحون أحقادهم ومطامعهم وأدواء قلوبهم على عتبات بابه، ويدخلونه بقلوبٍ صافيةٍ هانئةٍ متصلةٍ برب الكون، متجهةٍ إلى السماء، متحليةٍ بالخشوع والطاعات، ثم يقومون فيه في صفٍ واحد، ثم يقومون فيه صفًا واحدًا متماسكًا كالبُنيان المرصوص؛ لا فرق بين أميرٍ ومأمور، وغنيٍ وفقير، وشريفٍ ووضيع، أكتافهم متزاحمة، وأقدامهم متراصة، وجباههم على الأرض يستوون في شرف العبودية وشِرعة العبادة؛ ولذلك كان الذين يرتادون المساجد ويتعادونها ويُحافظون على الصلاة فيها، كانوا هم أولياء الله وأحبابهُ وأهل الإيمان: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[التوبة:١٨].

إن المسجد يا عباد الله أهم ركيزةٍ في بناء المجتمع المسلم؛ فهو أعظمُ وسيلةٍ لتقوية روابط الأخوة والمحبة، والأواصر الإيمانية بين المسلمين بالتقائهم مراتٍ عديدةٍ في اليوم، بالتقائهم مراتٍ عديدةٍ في اليوم الواحد، والتقائهم أسبوعيًا في يوم الجُمعة العظيم، وهذا من أعظم الوسائل في زيادة الحُب والتآخي بين المسلمين وتصفية شوائب النفس وآفات الأخوة.

إن المسجد يا عباد الله هو مدرسةُ المسلمين العلمية والثقافية والفكرية والدعوية والتربوية، فليس المسجدُ مكانًا للصلاة فقط، بل له رسائل بل له رسالةٌ عظيمةٌ في نشر الوعي والعلم والمعرفة؛ من خلال ما يُقام فيه من خُطب الجُمع والأعياد والدروس العلمية والمناشط الدعوية المتزنة القائمة على الوسطية واليُسر والسماحة.

إن المساجد هي مراكزُ مُقدسة يشع منها النور والخير والبركة والرحمة، وهي مراكزُ أمنٍ وأمانٍ وطمأنينة، وهي مراكز أمنٍ وأمانٍ وطُمأنينة للفرد والمجتمع ولكل أصحاب الحاجات والمشكلات؛ أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن تُرفع وتُقام ويُعتنى بها، ورتَّب على ذلك أعظم الجزاء والأجر والمثوبة كما قال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾[النور: ٣٦-٣٧].

وبيَّن النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-: «أن من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة»، وتوعد -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كل من منع مساجد الله أو سعى في خرابها، فقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:١١٤].

وما ذلك الوعيد يا عباد الله ما ذاك الوعيد الشديد إلا تبيانًا لأهمية المساجد ومكانتها، وأن الواجب هو تعظيمها واحترامها وإجلالها، وتمكينها من أداء رسالتها السامية وأهدافها المنشودة.

إن أول عملٍ يا عباد الله، إن أول عملٍ قام به النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- حينما هاجر إلى المدينة: هو أن قام ببناء المسجد النبوي الشريف، بعد أن ترك الناقة تمشي حتى بركت بأمر الله في هذا الموضع الذي فيه المسجد اليوم، وقام هو -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- وأصحابهُ ببناء المسجد من طينٍ ولبنٍ وسعف النخل.

فصار مسجدهُ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- هو أساس الخيرات والبركات ومركز الصلاح والإصلاح؛ فيه يجتمع الصحابة -رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُم- يسمعون كلام الله، ويُصلون خلف النَّبِيّ الأعظم -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-، ويسمعون كلام الله منه -عليه الصلاة والسلام-، وفيه يتعلمون العلم النافع، وفيه يتعلمون العلم النافع، ويتواصلون، وتزيد أواصر المحبة بينهم، وفيه كان النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- يُجيشُ الجيوش، ويبعث البعوث والسرايا، ويُداوي الجرحى، ويأوي فيه الضعفاء والغرباء والفقراء؛ الذين سموا بعد ذلك بأهل الصُفْة.

وبحقٍ كان مسجدهُ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- منارة الهدى الكُبرى ومعلم الصلاح والإصلاح، ومنبع العلمِ والنور، ومُلتقى المؤمنين بسيدهم ونبيهم -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-، يتلقون منه كل ما ينفعهم في دينهم ودُنياهم وأخراهم.

وهو الجامعةُ الكُبرى التي تخرج منها جيل الصحابة العظيم، ففتحوا الدُنيا شرقًا وغربًا؛ منطلقين في ذلك من رسالة المسجد الشاملة الكاملة المتنوعة؛ التي لا تقتصرُ على جانبٍ واحدٍ فقط وتُهملُ الجوانب الأخرى؛ حيث إنهم قد علموا أن للمسجد رسائل متنوعة علميةً وإيمانيةً وعباديةً وفكريةً وثقافيةً واجتماعيةً وتربويةً وحضاريةً وأخلاقية؛ فتحققت فيهم مقاصدُ الإسلام ومحاسنه، وأدوا رسالة ربهم كما علمهم النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- حينما أُنزل عليه وحيٌ من السماء يُتلى إلى قيام الساعة: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

وحينما كان -عليه الصلاة والسلام- يُرددُ على مسامع أصحابهِ دائمًا: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها**»، أخرجهُ مُسلم.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**ما توطن رجلٌ مُسلمٌ المساجد للصلاة والذِكر إلا تبشبش الله له من حين يخرجُ من بيته؛ كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدَمَ عليهم**»، ونفعنا بما فيه من الآيات والذِكر الحكيم.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين نبينا مُحمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ على يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون، إن لبيوت الله -عَزَّ وَجَلَّ- حُرمةً عظيمةً ومكانةً جليلة، احتفى بها الإسلام واعتنى بها عنايةً بالغة، واحتفى بها حفاوةً لا مثيل لها، فقد أمر ببنائها وتشييدها، ورتب على ذلك الأجر العظيم في الجنة، وإن خير ما صُرفت فيه الأموال والجهود هو ما كان في بيوت الله لإقامة شرائع الدين، وربط المسلمين بمصدر كرامتهم وعزهم وفلاحهم، فجزى الله خيرًا من قام ببناء هذا الجامع المبارك وكتب لهم الأجر، وعوضهم خيرًا وأخلف عليهم خيرًا ورزقهم الأجر والثواب في الدُنيا والآخرة.

عباد الله، إن من عناية الإسلام بالمساجد أن سَّن لها آدابًا وأحكامًا كثيرة لا يُمكننا الإحاطة بها في هذه العُجالة، وحسبُنا أن نُشير إلى ذلك إشارةٍ موجزةٍ سريعة؛ فالإسلام حث المسلمين أن يأخذوا زينتهم ويتطهروا ويتنظفوا ويستعدوا حينما يريدون الذهب إلى بيوت الله: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[الأعراف:٣١].

وقد كان الحسن بن علي -رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُ- سيدُ المسلمين كان إذا أراد الذهاب إلى المسجد لبس أحسن ثيابهِ وأجملها، ويقول: "**إن الله جميلٌ يُحبُ الجمال، وإني أحبُ أن أتجمل لربي**".

وكذلك حث الإسلام على العناية بالمساجد وتطيبها وتنظيفها وبالمرافق الملحقة بالمسجد، وقد حزن النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- يومًا على تلك المرأة السوداء التي كانت تُنظفُ مسجدهُ -عليه الصلاة والسلام- حينما ماتت وذهب إلى قبرها وصلى عليها ودعا لها.

ومن أراد الذهاب إلى المساجد فعليه بالسكينة والوقار والهدوء، وله بكل خطوةٌ حسنة ومحو سيئة ورفع درجة، والدخول للمسجد بالقدم اليُمنى، ثم يُصلي ركعتين تحية المسجد، ويحرصُ على أن يُصلي في الصف الأول، ويحرصُ على تسوية الصفوف وترتيبها في الصلاة، وليحرص المسلم على أن لا يصدر منه أي عبثٍ أو رفع صوتٍ أو تصرفٍ لا يليقُ بكرامة المساجد وحُرمتها، فإن المساجد بُنيت للعبادة وإقامة ذكر الله، ولم تُبن لأي أغراضٍ أخرى أو أهدافٍ ضارةٍ بالمسلمين.

وليحذر المسلم أن يأتي إلى المسجد بهيئةٍ أو لباسٍ لا يليقُ بمكانة المسجد، أو تكون رائحتهُ كريهةٌ في فمهِ أو ملبسه؛ ولذلك «**نهى النَّبِيّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- عن أكل الثوم والبصل لمن أراد الدخول إلى المساجد**»، و«**نهى عن البُصاق ونحوه في المساجد**»؛ صيانةً لها وإكرامًا لها من صنوف الأذى، و«**نهى عن تخط الرِقاب والتفريق بين اثنين في صلاة الجُمعة**»، «**ونهى عن إنشاد الضالة أو التبايع في المساجد**» حفاظًا على جلالتها وقُدسيتها أن تُهان بمثل هذه الأمور التي لا تصلحُ في المساجد، وقال -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-: «**إذا رأيتم الرجل يبيعُ أو يبتاع في المسجد؛ فقولوا له: لا أربح الله تجارتك**».

وثبت أيضًا عنه -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ- أنه قال: «**من سمعَ رجلًا ينشدُ ضالةً في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك؛ فإن المساجد لم تبن لذلك**».

عباد الله، أمر الشرع الحكيم أن تُقام الصلوات في المساجد، وقد هم النَّبِيّ -عليه الصلاة والسلام- بتحريق بيوت الذين يتخلفون عن صلاة الجماعةِ بلا عُذرٍ شرعي؛ ولذلك كان الصحيح من أقوال أهل العلم أن صلاة الجماعةِ واجبةٌ على الرجال، ولا يجوز التخلفُ عنها إلا لعُذرٍ شرعي، وأما النساء فإنها لا تجب عليهم، لكن لا مانع من حضورهن إلى المساجد، كما قال -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»، ولكن تحضرُ متحجبةً متحشمةً بعيدةً عن الزينة والتبرج، و«**صلاتها في بيتها أفضل عند الله من صلاتها في المسجد**» كما ثبت عنه -صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ-.

عباد الله، صلوا وسلموا على رسول الله، حيث أمركم الله بذلك فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[الأحزاب:٥٦].

هذا ما تيسر جمعه و إعداده، والله أسأل أن ينفع بهذه الخطب القيّمة، وأن يكتب أجر قائلها، و يجعله في موازين حسناته يوم يلقى الله عز وجل، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدّين، و الحمدلله رب العالمين.

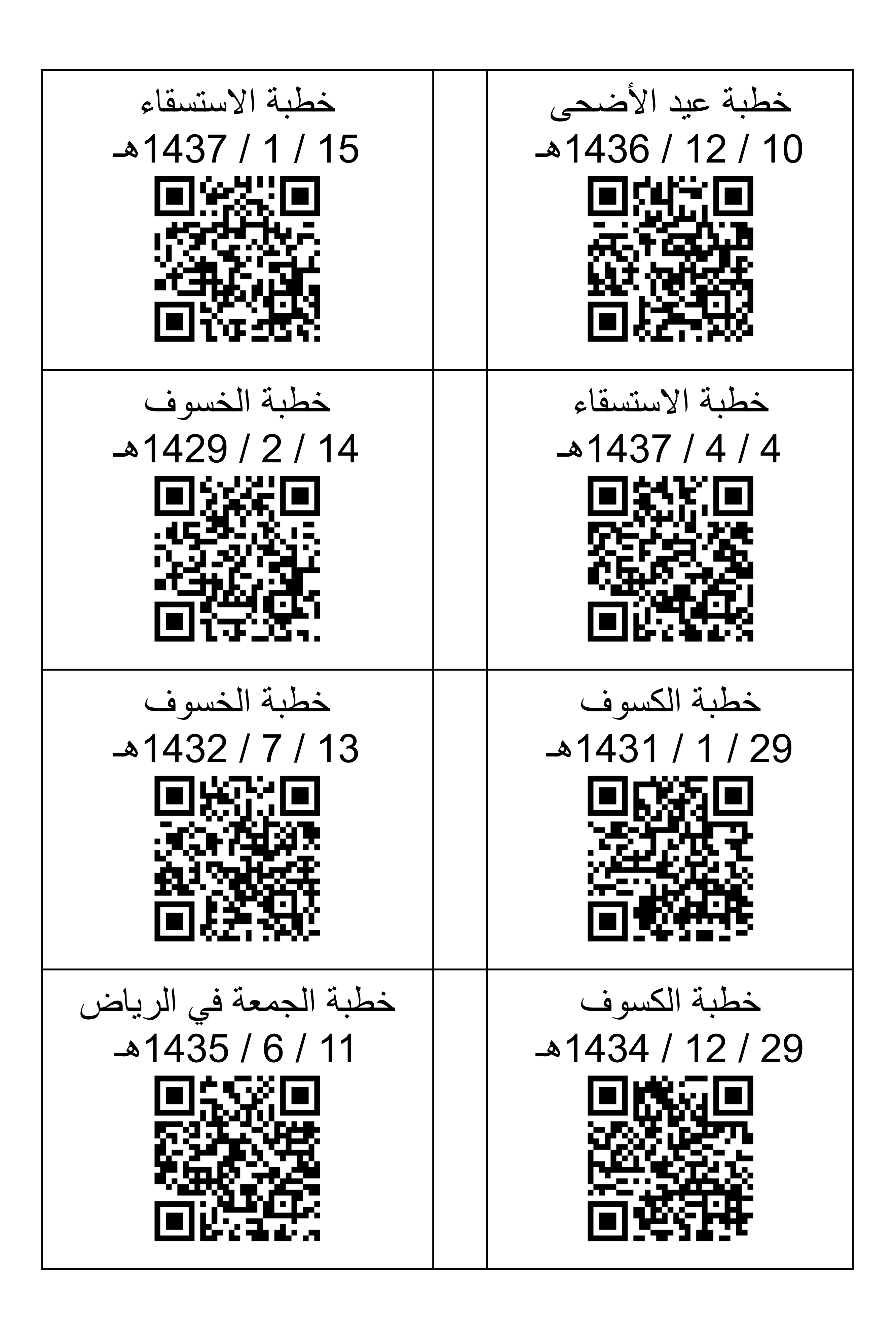
وفيما يلي (باركود) مرئي لجميع الخُطب :



التوحيد وعلاقته بالحج 20 / 11 / 1436هـ	أم لم يعرفوا رسولهم 10 / 1 / 1437هـ
نعمة العقل 15 / 2 / 1437هـ	العدل والإنصاف 14 / 3 / 1437هـ
فضائل الأمة المحمدية 3 / 5 / 1437هـ	تحقيق الأمن الاجتماعي 23 / 6 / 1437هـ
الجزاء من جنس العمل 6 / 8 / 1437هـ	حال المسلم بعد رمضان 3 / 10 / 1437هـ

ما هو الحج المبرور ؟ 14 / 12 / 1437هـ		عظم خلق الملائكة 9 / 11 / 1437هـ
صفات المنافقين 1 / 4 / 1438هـ		تعظيم جناب النبي ﷺ 4 / 2 / 1438هـ
جنّة الدنيا 2 / 8 / 1438هـ		حقيقة السنن الإلهية 27 / 5 / 1438هـ
خلق المروءة 20 / 10 / 1438هـ		فضل العشر الأواخر 21 / 9 / 1438هـ

التسليم لأوامر الله تعالى 17 / 12/ 1438هـ		العبودية في السراء والضراء 16 / 1 / 1439هـ
الإيمان بالقضاء والقدر 14 / 2 / 1439هـ		الاعتصام بثوابت الشريعة 11 / 4 / 1439هـ
الفرح بالله تعالى 16 / 5 / 1439هـ		خطورة العجلة 14 / 6 / 1439هـ
الدِّين .. أحكامٌ وآداب 11 / 8 / 1439هـ		سيدة نساء أهل الجنة 14/ 11 / 1439هـ



خطبة عيد الأضحى 10 / 12 / 1436هـ		خطبة الاستسقاء 15 / 1 / 1437هـ
خطبة الاستسقاء 4 / 4 / 1437هـ		خطبة الخسوف 14 / 2 / 1429هـ
خطبة الكسوف 29 / 1 / 1431هـ		خطبة الخسوف 13 / 7 / 1432هـ
خطبة الكسوف 29 / 12 / 1434هـ		خطبة الجمعة في الرياض 11 / 6 / 1435هـ



خطبة الجمعة في باكستان 5 / 7 / 1436هـ		خطبة الجمعة في إسلام أباد 12 / 7 / 1436هـ
خطبة الجمعة في الكويت 19 / 4 / 1437هـ		خطبة الجمعة في الشرقية 24 / 7 / 1438هـ

خطبة الجمعة في الزلفي

18 / 4 / 1439هـ



للملاحظات والاستفسارات:

